الصحيح من سيرة النبي الأعظم

٢

الصحيح من سيره النبى الاعظم صل الله عليه و اله المجلد2

اشاره

سرشناسه : عاملی، جعفر مرتضی، 1944- م.

عنوان و نام پدیدآور : الصحیح من سیره النبی الاعظم صلی الله علیه و آله وسلم / جعفرمرتضی العاملی

مشخصات نشر : سحرگاهان، 1419ق. = 1377.

مشخصات ظاهری : ج 10

شابک : 130000ریال(دوره کامل) ؛ 130000ریال(دوره کامل) ؛ 130000ریال(دوره کامل) ؛ 130000ریال(دوره کامل) ؛ 130000ریال(دوره کامل) ؛ 130000ریال(دوره کامل) ؛ 130000ریال(دوره کامل) ؛ 130000ریال(دوره کامل) ؛ 130000ریال(دوره کامل) ؛ 130000ریال(دوره کامل) ؛ 130000ریال(دوره کامل)

وضعیت فهرست نویسی : فیپا

یادداشت : عربی.

یادداشت : کتاب حاضر در سالهای مختلف توسط ناشرین مختلف منتشر گردیده است.

یادداشت : افست از روی چاپ بیروت: دار السیره

یادداشت : جلد دهم: الفهارس

یادداشت : کتابنامه

موضوع : محمد صلی الله علیه و آله وسلم ، پیامبر اسلام، 53 قبل از هجرت - 11ق. -- سرگذشتنامه

موضوع : اسلام -- تاریخ -- از آغاز تا 41ق.

رده بندی کنگره : BP22/9/ع 2ص 3 1377

رده بندی دیویی : 297/93

شماره کتابشناسی ملی : م 77-15929

ص: 1

اشاره

ص: 2

ص: 3

ص: 4

ص: 5

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

الحمد للّه رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالک يوم الدين، إياک نعبد و إياک نستعين، إهدنا الصراط المستقيم.

و الصلاه و السلام على محمد المصطفى، خاتم الأنبياء و المرسلين، و آله الكرام البرره الطيبين الطاهرين.

و اللعنه على أعدائهم أجمعين، من الأولين و الآخرين، إلى يوم الدين.

و بعد ..

فإننى إذ أقدم إلى القراء الكرام هذا الكتاب: (الصحيح من سيره النبى الأعظم صلى اللّه عليه و آله و سلم) أو (المصطفى من سيره المصطفى) أرى لزاما علىّ أن أشير- بإختصار- إلى الامور التاليه:

1- لقد اعتمدت- بالدرجه الأولى- فيما كتبته هنا على مؤلفات القدماء. أما مراجعتى لمؤلفات المعاصرين، فلا تكاد تذكر؛ لأن ما راجعته منها، رأيت أنه- عموما- يكرر ما كتبه أولئک، إلا فى كيفيه التنسيق و التبويب و الإخراج، ثم التبرير و التوجيه له. بزياده: أنهم يظهرون

براعتهم و تفوقهم فی ترصیف الکلمات البراقه، و صیاغه الجمل و العبارات الرنانه فی تأییده و تأکیده. من دون أی تحقیق له، أو تدقیق فیه، صحه و فسادا؛ حتی لیخیل إلیک: أن تلک النصوص جزء من الوحی الإلهی، الذی لا یتطرق إلیه الشک، و لا یرقی إلیه الریب، مهما کانت متناقضه و متنافره؛ إذ لا بد من الجمع بینها، و تمحّل الوجوه لها، و لو کانت مما یأباه کل عقل، و لا یقره وجدان، و لا یرضاه ضمیر، حتی إذا لم یمکن ذلک فلا بد من السکوت عنها، و الاعتراف بالعجز عن فهم حقیقه الحال فیها، و ذلک هو أضعف الإیمان.

2- لقد انصبّ اهتمامی فی هذا الکتاب علی الناحیه التحقیقیه حول صحه، و عدم صحه الکثیر مما یدّعی أنه سیره نبویه، أو تاریخ إسلامی. و لکن بالمقدار الذی یتناسب مع کتاب کهذا، یرید أن یعطی صوره متقاربه الملامح، قدر الإمکان عن فتره زمنیه ثریه بالاحداث و المواقف الحساسه، و قد کانت و لا تزال محط النظر- بشکل رئیسی- لأهل المطامح و الأهواء السیاسیه، و المذهبیه، و غیرها.

بل هی أخطر و أهم مرحله تاریخیه علی الإطلاق؛ لأنها غیّرت جذریا، و لیس فقط أصلحت کل الأسس و المنطلقات الخاطئه لکل قضایا و شؤون الإنسان و الإنسانیه جمعاء.

و قد کانت المهمه فی الحقیقه شاقه و صعبه للغایه. و لکننی رضیت بتحمل ذلک، لأننی أدرکت مدی حاجه المکتبه الإسلامیه إلی جهد کهذا، مهما کان ناقصا و محدودا؛ لیکون النواه و الخطوه الأولی علی طریق اعتماد المنهج التحقیقی العلمی فی التعرف علی قضایا التراث، بصوره شموlet، و مستوعبه.

3- و قد یلاحظ القاری ء لهذا الکتاب بعض الفجوات فیه، أو مدا و جزرا فی الشموlیه و الاستقصاء.

و له أن يرجع ذلک إلى أن هذا الكتاب قد أعدّ فى فترات زمنيه متباعده، فرضها واقع الظروف التى تمنع الإنسان من الاستفاده من عنصر الوقت على النحو الأفضل و الأمثل.

كما أنه لا يمكن استبعاد حالات النشاط و الخمود الفكرى التى تعترى الانسان تبعا لتفاوت حالات الهدوء و الاستقرار، الأمر الذى يؤثر بشكل واضح على طبيعه ما يكتب، و يظهر فيه شيئا من التفاوت و الاختلاف فى مستوى التعرض لبحوثه و قضاياه.

4- حيث إن التاريخ الاسلامى- كما سنرى- قد تعرّض لمحاولات جادّه للتلاعب فيه من قبل أصحاب الأهواء السياسيه و المذهبيه و غيرها، و تسرّبت إليه بعض الترهات و الأباطيل من قبل أهل الكتاب و غيرهم، ثم حاولت الأيدى الأثيمه و الحاقده أن تعبث به تحريفا، أو تزييفا، فقد أصبح البحث، و الوصول إلى الحقائق فيه على درجه كبيره من الصعوبه، إن لم يصل إلى حد التعذر أحيانا، فقد كان لا بد لنا من أخذ الأمور التاليه بنظر الاعتبار:

أ: إن الاعتماد على نوع معين من المؤلّفات و المؤلفين ربما يتسبب فى حرمان القارى ء من الاطلاع على نصوص تناثرت هنا و هناک، و استطاعت أن تخترق الحجب، و تقفز فوق الحواجز الثقيله، و تصل الينا سليمه- إلى حدّ ما- من التحريف، حين لم ير فيها السياسيون المحترفون خطرا، و لا رأى فيها المتمذهبون المتعصبون ضررا؛ فتركها هؤلاء و أولئک، ليتلقفها عشاق الحقيقه القليلون جدا؛ بعيدا عن غوغائيه المتعصبين، و فى مأمن و منأى من جبروت و تعنت الأشرار المحترفين.

ب: إننا رأينا- و الحاله هذه- أن البحث فى الاسانيد، و الإعتماد عليها كمقياس و معيار نهائى فى الردّ و القبول، إنما يعنى: أن علينا أن نقتنع بنصوص قليله جدا، لا تكاد تفى حتى بالتصور العام، و بالفهرسه

الإجماليه للسيره النبويه المباركه، فضلا عن تفصيل أحداث تاريخ صدر الإسلام.

و لسوف نخسر كثيرا من النصوص الصحيحه، التى لم توفق لسند تتوفر فيه أدنى شرائط القبول.

هذا بالإضافه إلى أن الباحث سوف يفقد حريه الحركه، و الربط و الاستنتاج، و لسوف لن يكون لفهمه العميق للأجواء و الظروف و للإتجاهات السياسيه و الفكريه و غيرها الذى اكتسبه من الممارسه الطويله، أيه فعاليه تذكر فى استخلاص الحقائق، التى أريد لها- لسبب أو لآخر- أن تبقى طى الكتمان، ورهن الإبهام و الغموض.

هذا عدا عن المشكلات الكبيره التى تواجه الباحث، و لا بد له من التغلب عليها، ليمكن للبحث السندى، أن يكون مقبولا و معقولا لدى أرباب الفكر، و أساطين العلم و المعرفه.

و أهم هذه المشكلات هى مشكله المعايير و المنطلقات و الضوابط للبحث السندى، و موازين القبول و الرد فيه. و التى يرتكز بعضها على أسس عقائديه أوليه، يتطلب البحث فيها وقتا طويلا، و جهدا عظيما. إن لم ينته إلى الطريق المسدود، و يعود ممجوجا و عقيما فى اكثر الأحيان؛ حيث يصّر البعض على اتخاذ منحى لا يتسم بالنزاهه و لا بالموضوعيه، خصوصا فى النواحى العقائديه. و لا نملک إزاء هذا النوع من الناس إلا أن نقول:

قاتل اللّه الأهواء، و العصبيات، و المصالح الشخصيه و الفئويه.

و على هذا الأساس نقول: إننا إذا كنا قد بحثنا- أحيانا- فى الاسانيد، فقد اعتمدنا فى ذلک الطريقه المعقوله و المقبوله، المبتنيه على قاعده: الزموهم بما الزموا به أنفسهم. ثم الطرق التى يتوافق عليها إن لم يكن كل فأكثر أهل الفرق، و تؤدى إلى نتيجه مقبوله لدى الجميع، و إن

كان منشأ هذا القبول يختلف بين هؤلاء و أولئک فی أحيان كثيره.

ج: لقد حتم علينا ذلک المنهج، بالإضافه إلی ما تقدم: أن نتخذ من المبادئ الإسلاميه، و من القرآن، و من شخصيه و خصائص، و أخلاق الرسول الاعظم (صلی اللّه عليه و آله و سلم) أساسا لتقييم كثير من النصوص المعروضه، و الحكم عليها بالرد أو القبول من خلال انسجامها مع ذلک كله، أو عدم انسجامها معه.

و ذلک ينسحب علی كل شخصيه استطعنا الحصول علی فهم عام لسيرتها، و لخصائصها و أخلاقها، و مواقفها، و اتجاهاتها.

د: هذا بالاضافه إلی الكثير من أدوات البحث، التی توفرها الممارسه الطويله فی هذا الاتجاه، كتناقض النصوص، و الامكانيه التاريخيه، من خلال المحاسبات التاريخيه الدقيقه. و غير ذلک من وسائل استفدنا منها فی بحوثنا هذه، مما سوف يقف عليه القارئ الكريم لهذا الكتاب.

5- و بعد، فإن الكل يعلم: ان المسلمين قد اهتموا بتدوين تاريخ الإسلام، بشكل لا نظير له لدی أی من الأمم الأخری، فهو بحق و برغم كل المحاولات أثری تاريخ أمه و اغناه علی الإطلاق.

و حيث إن البحث فی جميع جوانبه أمر متعسر، بل متعذر علينا، فقد آثرنا الاكتفاء بالبحث فی جانب يستطيع أن يهيئ لنا تصورا عاما، و هيكليه متقاربه الملامح و السمات، عن حياه نبينا الأكرم محمد (صلی اللّه عليه و آله و سلم).

6- لسوف يجد القارئ لهذا الكتاب أننی حاولت الإقتصار علی أقل قدر ممكن من الشواهد و الدلائل و مصادرها المأخوذه منها. مع علمی بأن بالامكان حشد أضعاف ذلک فی تأييد و تأكيد الحقائق التی أوردتها بشكل عام.

7- اننى قد نسبت كل شى ء استفدته أو استشهدت به إلى قائله، أو كاتبه و ناقله، فأما الافكار التى لا مصدر لها، فهى جهد شخصى، لم أعتمد فيه على أحد.

8- و أخيرا، فقد كانت الفرصه تسنح أحيانا، فى فترات الاحساس بشى ء من النشاط الفكرى لتسجيل بعض الملاحظات أو الإلتفاتات أو التفسيرات لبعض المواقف أو القضايا و الأحداث.

و هى و إن كانت لا تصل فى الأكثر إلى مستوى البحث الكامل و الشامل؛ لأنها جاءت على الأكثر بصوره عفويه، و مرتجله، لم يسبقها إعداد، و لا مراجعه، و لا مطالعه. إلا أنها تعتبر- على الأقل- بمثابه استراحات للقارئ الكريم، كما كانت استراحات للكاتب نفسه من قبل.

و للقارئ الخيار بعد هذا فى أن يحكم لها أو عليها. و إذا كان حكمه لها فهو بالخيار أيضا فى أن يتلمس فيها شيئا من العمق، أو بعضا من الجمال.

و فى الختام، فإننى أرجو من القارئ الكريم أن يتحفنى بآرائه، و مؤاخذاته و لسوف أكون له من الشاكرين.

و الحمد للّه، و الصلاه و السلام على عباده الذين اصطفى محمد و آله الطيبين الطاهرين.

ايران- قم المشرفه 16/ 12/ 1400 ه. ق.

جعفر مرتضى الحسينى العاملى

ص: 11

ص: 12

القسم الأول: ما قبل البعثه

اشاره

ص: 13

ص: 14

الفصل الأول: ما قبل الميلاد

اشاره

البدایه الطبیعیه:

إن من البدیهی: أن البدایه الطبیعیه و المعقوله لتاریخ الإسلام، و أعظم ما فیه و هو سیره النبی الأکرم (صلی اللّه علیه و آله و سلم) تحتم علینا اعطاء لمحه خاطفه عن تاریخ ما قبل البعثه، و ما اتصل بها من احداث سبقتها، لنتعرف علی الأجواء و المناخات التی انطلقت فیها دعوه الدین الحق، و هو دین الإسلام فنقول:

الوضع الجغرافی لشبه جزیره العرب:

هی شبه جزیره مستطیله یحدها شمالا: الفرات، و آخر قطعاتها بادیه الشام و السماوه، و فلسطین، و شرقا خلیج فارس، و جنوبا خلیج عدن، و المحیط الهندی، و غربا: البحر الأحمر (1).

و لا یعنینا الوضع الجغرافی هنا إلا فی النواحی التالیه:

الأولی: إنه لم یکن فی جزیره العرب حتی نهر واحد، بالمعنی الصحیح للکلمه (2)، و أکثرها جبال، و أودیه، و سهول جرداء، لا تصلحا.

1- راجع: المفصل فی تاریخ العرب قبل الإسلام: ج 1 ص 140 فما بعدها.
2- المفصل فی تاریخ العرب قبل الإسلام: ج 1 ص 157 فما بعدها.

للزراعه و العمل. و من ثم فهى لا تساعد على الإستقرار، و تنظيم الحياه.

و من هنا فقد كان أكثر سكانها، بل قيل: خمسه أسداسهم من البدو الرحل، الذين يمسون فى مكان، و يصبحون فى آخر.

الثانيه: إن هذا الوضع قد جعل هذه المنطقه فى مأمن من فرض السيطره عليها، من قبل الدولتين العظميين آنئذ: الرومان، و الفرس، و غيرهما؛ فلم تتأثر المنطقه بمفاهيمهم و أديانهم كثيرا. بل لقد هرب اليهود من حكامهم الرومان إلى جزيره العرب، و احتموا فيها فى يثرب (المدينه) و غيرها.

و قد نشأت عن هذا الوضع للجزيره العربيه، ظاهره الدويلات القبليه، فلكل قبيله حاكم، و كل ذى قوه له سلطان.

الثالثه: إن هذه الحياه الصعبه، و هذا الحكم القبلى، و عدم وجود روادع دينيه، أو وجدانيه قويه، قد دفع بهذه القبائل إلى ممارسهالإغاره و السلب ضد بعضها البعض، كوسيله من وسائل العيش أحيانا، و أحيانا لفرض السيطره و السلطان، و أحيانا أخرى للثأر و إدراک الأوتار، إلى آخر ما هنالک، فتغير هذه القبيله على تلک؛ فتستولى على اموالها، و تسبى نساءها و أطفالها، و تقتل أو تأسر من تقدر عليه من رجالها. ثم تعود القبيله المنكوبه لتتربص بهذه الغالبه الفرصه لمثل ذلک، و هكذا.

و من هنا، فإن من الطبيعى أن يكون شعور أفراد كل قبيله بالنسبه لأبناء قبيلتهم قويا جدا، بدافع من شعورهم بالحاجه إلى بعضهم البعض للدفاع عن الحياه، و الكفاح من أجلها، مما كان سببا قويا لزياده حدّه التعصب القبلى، الذى لا يرثى، و لا يرحم، و لا يلين، حيث لا بد من الوقوف إلى جانب إبن القبيله، سواء أكان الحق له، أو عليه، حتى لقد قال شاعرهم يتمدحهم بذلک:

لايسألون أخاهم حين يندبهم فى النائبات على ما قال برهانا

و من الجهه الأخرى، فإن القبيله تتحمل كل جنايه أو جريمه يرتكبها أحد أبنائها، و تحميه من كل من أراده بسوء. بل يكون أخذ الثأر من غير الجانى إذا كان من قبيلته كافيا و شافيا للموتورين، الذين يريدون شفاء ما فى نفوسهم، و إدراک أوتارهم.

الحضر فى شبه جزيره العرب:

أما الحضر فى جزيره العرب، و هم الذين يسكنون المدن، و يستقرون فيها، فإنهم و إن كانوا فى حياتهم أرقى من العرب الرحل، إلا أن رقيهم هذا لم يكن بحيث يجعل الفارق بينهما كبيرا.

و من هنا، فإننا نلاحظ تشابها كبيرا فيما بينهما فى العقليه، و فى المفاهيم، و فى العادات و التقاليد، و أساليب الحياه، و بدائيتها. هذا إن لم نقل: إن العرب الرحل كانوا أصح أبدانا، و أفصح لسانا، و أقوى جنانا، و أصفى نفسا، و فكرا و قريحه.

و لكن امتياز هؤلاء و أولئک فى بعض الأمور لم يكن إلى الحد الذى يحتم على الباحث فصل الحديث عنهما، و لا سيما بالنسبه الى أولئک الحضريين الذى يسكنون الحجاز.

و الخلاصه: إننا إذا كنا لم نجد فى تاريخ ما قبل الإسلام ما يبرر نسبه التفوق إلى أحد الطرفين على الآخر، كما يتضح من كلمات أمير المؤمنين الآتيه و غيرها، فليس فى فصل الحديث عنهما كبير فائده، و لا جليل أثر.

الحاله الإجتماعيه عند العرب:

و إن من يطالع كتب التاريخ سيرى بوضوح إلى أى حد كانت الحاله الإجتماعيه مترديه فى العصر الجاهلى. و قد قدمنا: ان السلب و النهب و الإغاره، و التعصب القبلى، و غير ذلک قد كان من مميزات الإنسان

العربى، حتى إنه إذا لم تجد القبيله من تغير عليه من أعدائها أغارت على أصدقائها، و حتى على أبناء عمها، يقول القطامى:

و كن إذا أغرن على قبيل و أعوزهن نهب حيث كانا

أغرن من الضباب على حلال (1)و ضبه إنه من حان حانا

و أحيانا على بكر أخيناإذا ما لم نجد إلا أخانا

و لقد رأينا: أن تلک الظروف الصعبه، و الفقر و الجوع، و الخلافات التى كانوا يعانون منها، و المفاهيم الخاطئه التى كانت تعيش فى أذهانهم- و خصوصا عن المرأه-.

و كذلک ظروف الغزو و الإغاره، التى تعنى سبى النساء و الأطفال، قد دفعتهم إلى قتل أو وأد أولادهم، و لا سيما البنات. و كان ذلک فى قبائل تميم، و قيس، و أسد، و هذيل، و بكر بن وائل (2).

بل إننا نستطيع أن نعرف مدى شيوع الوأد بينهم من تعرض القرآن لهذه المسأله، و ردعه لهم عنها، و إدانتها، قال تعالى: وَ لا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ مِنْ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَ إِيَّاهُمْ (3).

و قال أيضا: وَ إِذَا الْمَوْؤُدَهُ سُئِلَتْ* بِأَىِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ (4).

كما أننا نجده (صلى اللّه عليه و آله و سلم) قد نص على ذلک فى بيعه العقبه و قد قال محمد بن إسماعيل التيمى، و غيره- تعليقا على هذا:

خص القتل بالأولاد؛ لأنه قتل و قطيعه رحم؛ فالعنايه بالنهى عنه آكد؛9.

1- الضباب إسم قبيله. و الحلال: المجاور.
2- راجع شرح النهج للمعتزلى ج 13 ص 174.
3- سوره الأنعام، الآيه: 151.
4- سوره التكوير، الآيات: 8- 9.

و لأنه كان شائعا فيهم، و هو وأد البنات و قتل البنين، خشيه الإملاق إلخ (1)).

و يقول البعض: (كان هذا الوأد- على رأى بعض الباحثين- فى عامه قبائل العرب) يستعمله واحد، و يتركه عشره؛ أو كان على الاقل معروفا فى بعض القبائل كربيعه، و كنده، و تميم (2).

المرأه فى الجاهليه:

و قد كانت حياه المرأه فى الجاهليه أصعب حياه؛ حيث لم يكن لها عندهم قيمه أبدا، و قد كتب الكثير عن هذا الموضوع؛ و لذا فلا نرى حاجه كبيره للتوسع فيه، و يكفى أن نذكر هنا قوله تعالى:

وَ إِذا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَ هُوَ كَظِيمٌ، يَتَوارى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ ما بُشِّرَ بِهِ، أَ يُمْسِكُهُ عَلى هُونٍ، أَمْ يَدُسُّهُ فِى التُّرابِ، أَلا ساءَ ما يَحْكُمُونَ (3).

و سياق الآيه الكريمه يشير إلى كثره ذلک و شيوعه فيهم.

و من ذلک نعرف ان الخضرى قد حاول تكذيب القرآن، حينما ادعى: أن العربى قبل الإسلام كان يحترم المرأه و يجلها (4).

نعوذ باللّه من الخذلان، و من وساوس الشيطان.

كما أن فيه تكذيبا للخليفه الثانى عمر بن الخطاب، الذى يقول:

(و اللّه، إن كنا فى الجاهليه ما نعد للنساء أمرا حتى أنزل اللّه فيهن ما أنزل،20

1- فتح البارى ج 1 ص 61.
2- راجع: النظم الإسلاميه ص 442/ 443.
3- النحل: 58- 59.
4- محاضرات تاريخ الأمم الإسلاميه للخضرى ص 17- 20

و قسم لهن ما قسم) (1).

شواهد عن حاله العرب فی الجاهلیه:

و عن حاله العرب فی الجاهلیه یکفی أن نذکر بعض ما قاله سید الخلق بعد الرسول علی أمیر المؤمنین (علیه السلام) فمن ذلک قوله (علیه السلام) (بعثه و الناس ضلال فی حیره، و حاطبون فی فتنه، قد استهوتهم الأهواء، و استزلتهم الکبریاء، و استخفتهم الجاهلیه الجهلاء، حیاری فی زلزال من الأمر، و بلاء من الجهل) (2).

و قال (علیه السلام): (و أنتم معشر العرب علی شر دین، و فی شرّ دار، تنیخون بین حجاره خشن، و حیات صم، تشربون الکدر، و تأکلون الجشب، و تسفکون دماءکم، و تقطعون أرحامکم، الأصنام فیکم منصوبه، و الآثام فیکم معصوبه) (3).

و قال (علیه السلام): (فالأحوال مضطربه، و الأیدی مختلفه، و الکثره متفرقه، فی بلاء أزل، و أطباق جهل، من بنات موؤوده، و أصنام معبوده، و أرحام مقطوعه، و غارات مشنونه) (4).

و کلمات أمیر المؤمنین هنا حجه دامغه علی کل مکابر متعصب.

و هناک کلمات کثیره له (علیه السلام) فی هذا المجال؛ فمن أرادها فلیراجع نهج البلاغه و غیره.7.

1- صحیح البخاری ط سنه 1309: ج 3 ص 133.
2- نهج البلاغه الذی بهامشه شرح الشیخ محمد عبده الخطبه 91. و الإمامه و السیاسه: ج 1 ص 154.
3- نهج البلاغه، عبده، الخطبه 25.
4- نهج البلاغه، عبده، الخطبه 187.

و يقال: إن المغيره بن شعبه قد قال ليزد جرد: (.. و أما ما ذكرت من سوء الحال، فما كان أسوأ حالا منا، و أما جوعنا فلم يكن يشبه الجوع، كنا نأكل الخنافس و الجعلان، و الحيات، و نرى ذلک طعامنا. أما المنازل فإنما هى ظهر الأرض. و لا نلبس إلا ما غزلنا من أوبار الإبل، و أشعار الغنم؛ ديننا أن يقتل بعضنا بعضا، و أن يبغى بعضنا على بعض، و ان كان أحدنا ليدفن إبنته و هى حيه، كراهيه أن تأكل من طعامه) (1).

و لابن العاص أيضا كلام يشير إلى بعض ذلک؛ فمن أراده فليراجعه فى مصادره (2).

علوم العرب:

لقد أوضح لنا الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) فى كلماته المتقدمه حاله العرب، و مستواهم العلمى و الثقافى، و أنهم كانوا يعيشون فى ظلمات الجهل، و الحيره، و الضياع.

و هذا يكذب كل ما يدعيه الآخرون- كالآلوسى و غيره- من أن العرب كانوا قد تميزوا ببعض العلوم، كعلم الطب، و الأنواء، و القيافه، و العيافه، و السماء، و نحو ذلک ..

و قال بعضهم: (خصت العرب بخصال: بالكهانه، و القيافه، و العيافه و النجوم، و الحساب) (3).

فإن ما كان عندهم من ذلک هو مجرد ملاحظات بسيطه ساذجه،3.

1- البدايه و النهايه ج 7 ص 42 و الطبرى ج 3 ص 18. و حياه الصحابه ج 1 ص 220 و لكلامه هذا نص آخر ذكره فى الأخبار الطوال ص 121.
2- مجمع الزوائد ج 8 ص 237، عن الطبرانى و حياه الصحابه ج 3 ص 770 عن المجمع.
3- الموفقيات ص 362/ 363.

مبنیه علی الحدس و التخمین، متوارثه عن مشایخ الحی و عجائزه.

و هذا هو رأی ابن خلدون أیضا، الذی کان یری: أن علم الطب عندهم لا یتعدی معلومات أولیه، و ملاحظات بسیطه، لا تستحق أن تسمی علما، و لا شبه علم.

و مثل هذا یقال عنهم فی علم الانواء و السماء؛ فضلا عما یسمی بالقیافه، و العیافه. هذا عدا عن أن بعض هذه الأمور، لا تستحق أن یطلق علیها إسم (علم).

و یکفی أن نذکر هنا: أنهم کانوا أمیین، لا یعرفون القراءه و الکتابه أصلا، إلا من شذ منهم، حتی لیذکرون: انه (صلی اللّه علیه و آله و سلم) أرسل رساله إلی قبیله بکر بن وائل؛ فلم یجدوا قارئا لها فی القبیله کلها.

و قرأها لهم رجل من بنی ضبیعه فهم یسمون: بنی الکاتب (1).

و یروی البلاذری: أن الاسلام قد دخل، و فی قریش سبعه عشر رجلا فقط، و فی الأوس و الخزرج فی المدینه إثنا عشر رجلا یعرفون القراءه و الکتابه (2).

و قال ابن عبد ربه: (جاء الإسلام و لیس أحد یکتب بالعربیه غیر سبعه عشر إنسانا). ثم عدهم فذکر علیا (علیه السلام) أولا (3).7.

1- مجمع الزوائد ج 5 ص 305، و قال: إن رجاله رجال الصحیح، عن أحمد، و البزار، و أبی یعلی، و الطبرانی فی الصغیر، عن أنس، و مرثد بن ظبیان. و راجع: کشف الأستار، عن مسند البزار ج 2 ص 266. و المعجم الصغیر ج 1 ص 111.
2- فتوح البلدان ط أوروبا ص 471 فما بعدها، و ص 80 فی القسم الثالث من الطبعه التی حققها صلاح الدین المنجد. و إن کنا نناقش فی بعض من عدّهم فی من یکتب أو یقرأ کعمر بن الخطاب، الذی سیأتی فی قضیه إسلامه: أنه لم یکن یعرف حتی القراءه.
3- العقد الفرید: ج 4 ص 157.

و يرى إبن خلدون: أن أكثرهم كان لا يتقنها، بل كان بدائيا، و ضعيفا فيها بشكل ملحوظ.

و يلاحظ من أسمائهم: أن أكثرهم قد تعلمها بعد ظهور الإسلام، و ذكر إسم على (عليه السلام) يدل على ذلك.

بل ربما كانوا يعتبرون القراءه و الكتابه عيبا؛ فقد قال عيسى بن عمر: (قال لى ذو الرمه: إرفع هذا الحرف. فقلت له: أتكتب؟ فقال بيده على فيه، أى أكتم على؛ فإنه عندنا عيب) (1).

و فى حديث أبى هريره: تعربوا يا بنى فروخ، فإن العرب قد أعرضت، أى عن العلم (2).

هذا، مع أن قريشا كانت أعظم قبيله شأنا و خطرا، و نفوذا فى الحجاز كله.

و مع أن التجاره تتطلب مثل ذلک عاده، و كان الأوس و الخزرج أيضا فى المرتبه الثانيه بعد قريش، تحضرا و نفوذا فى الحجاز.

فإذا كان مستواهم الثقافى هو هذا، فمن الطبيعى ان يصير لليهود عموما و للنصارى- و لو بصوره أضعف- هيمنه فكريه كبيره، و أن ينظر إليهم العرب نظره التلميذ إلى معلمه، و لربما نشير إلى ذلک فيما يأتى إن شاء اللّه تعالى.

هذا، و من الأمور الجديره بالملاحظه هنا: أن أميه العرب كانت هى السر فى قوه الحافظه عندهم. و لكنها عادت إلى الضعف التدريجى،6.

1- الشعر و الشعراء لابن قتيبه ص 334. و التراتيب الإداريه: ج 2 ص 248.
2- مشكل الآثار: ج 3 ص 56.

حسب نسبه اعتمادهم على الكتابه فى العصور المتأخره، إبتداء من عصر التدوين.

و لسوف نشير إن شاء اللّه تعالى فى غزوه بدر من هذا الكتاب، الى مدى الأهميه التى اولاها الاسلام لمحو الأميه، حتى لقد ورد أنه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) قد جعل فداء الأسير فى غزوه بدر تعليم عشره من أطفال المسلمين القراءه و الكتابه كما سيأتى. و قد كانت بدر أدق مرحله يمر بها الإسلام و المسلمون فى دعوتهم الى اللّه، و حربهم مع المشركين.

و خلاصه القول: إن جهل العرب كان هو الحاكم المطلق، و لا نلاحظ أيه ظاهره للنبوغ فيهم قبل الإسلام، بل على العكس من ذلک يمكن ملاحظه الكثير مما كان يزيدهم إمعانا فى الجهل و الحيره و الضياع

ميزات و خصائص:

لقد امتاز العرب قبل الإسلام ببعض الصفات التى تمدحهم الناس و أثنوا عليهم لأجلها. و هى صفات قليله بالنسبه الى ما يقابلها من صفات و عادات ذميمه. و لكننا إذا دققنا النظر فيها فإننا لا نجد فيها ما يوجب مدحا بل ربما كانت فى كثير من الاحيان موجبه لعكس ذلک تماما.

لأن ما يعطى للشى ء قيمته الحقيقه من أى نوع كانت هو دوافعه و منطلقاته، و أهدافه. و نحن لا نجد فى تلک الأمور المنسوبه الى العرب ما يبرر تمدحهم من أجلها؛ لا من حيث المنطلقات و الدوافع، و لا من حيث الأهداف و الغايات، كما سنرى.

ولكن حين جاء الإسلام، و تغيرت تلک الدوافع و الأهداف، أصبحت تلک الصفات ذات قيمه، و صاروا يستحقون عليها التكريم و التقدير.

من امتيازات العرب:

لقد امتاز العرب بالصفات التاليه:

1- بالكرم و حسن الضيافه- و هذا هو الأمر الوحيد الذى احتج به أبو سفيان على صحه دينه!! حيث قال لكعب بن الأشرف: (أديننا أحب إلى اللّه أم دين محمد و أصحابه؟ و أينا أهدى فى رأيک، و أقرب الى الحق؟ إنا نطعم الجزور الكوماء، و نسقى اللبن على الماء، و نطعم ما هبت الشمال.

فقال له إبن الأشرف: أنتم أهدى منهم سبيلا (!!!)) (1).

ولكن ذلک فى الحقيقه لا يمكن أن يعد فضليه للعرب، إلا إذا ثبت أن بذلهم للمال كان نابعا من إيمان العربى بمثل أعلى، يدفعه إلى البذل و العطاء، أو أنه كان نابعا من عاطفه إنسانيه، مصدرها رؤيا حاجه الآخرين، و التفاعل معها، بحيث يندفع إلى العطاء و البذل بنفسه، و من دون سؤال او تحريک.

مع أننا نجد أن الدافع لذلک كان فى كثير من الاحيان ليس هو المثل العليا، و لا العاطفه الإنسانيه، و إنما هو إبعاد العار، و التحرز من هجاء الشعراء، و حتى لا يسير ذكرهم فى البلاد فى اللؤم و الخسه، و لا تتعرض أعراضهم و كراماتهم للهدر، أو أملا بحسن الذكر، و طيب الاحدوثه؛ أو طمعا بزعامه قبيله او منافسه قرين. و الشواهد على ذلک فى التاريخ غير قليله و الإستثناء لا يلتفت إليه.

بل نجد ان زيد الخيل حين يريد ان يعطى البعض، قد وعده بالعطاء بعد أن يشن الغاره، فلما شن الغاره على بنى نمير بالملح و أصابه.

1- البدايه و النهايه: ج 4 ص 6، و السيره النبويه لابن كثير: ج 3 ص 11. و مصادر ذلک كثيره ستأتى فى أول غزوه الخندق إن شاء اللّه.

مائه بعير، أعطاه إياها (1).

مع ان شن الغاره معناه التسبب فی قتل الرجال و حتی الاطفال و النساء و الشیوخ و سبیهم، و الإستیلاء علی أموالهم، و هدر کراماتهم.

و زید الخیل هو من رجال العرب المعروفین، و یضارع حاتم الطائی فی الشهره و السؤدد.

هذا، و لا بد من الإشاره أخیرا الی ان عجز البدوی تجاه قوی الطبیعه القاسیه، التی تستولی علی الصحراء، من شأنه أن یولد فیه الشعور بضروره الضیافه، و ضروره البذل، حیث لا یمکنه حمل قوته فی سفره الشاق الطویل، الذی یمتد عشرات الأیام. و هو مضطر الی السفر بین حین و آخر بحثا عن الماء و الکلأ، و لغیر ذلک من أمور.

2- حمیتهم و عصبیتهم، و هذه فی الحقیقه صفه ذمیمه، إذ أنهم یرون أن النصر لا بد أن یکون لذوی قرابتهم، و لابن قبیلتهم، و أن العون لا بد أن یمحض له، ظالما کان أو مظلوما.

و قد نعی القرآن علیهم ذلک، و عبر عنها ب (حمیه الجاهلیه) (2)، لأنها مبنیه علی الجهل، و عدم التثبت.

و قد تقدم ما یشیر إلی سر نشوء ذلک فیهم، فلا نعید.

3- الشجاعه: و إنما یستحق صاحبها المدح و الذم بملاحظه الأهداف فی الموارد التی یستعملها فیها، فإذا استعملت فی مورد حسن؛ إستحق صاحبها مدحا، و إلا فذما. و لهذا فلیس هناک أشجع من الأسد، ولکن ذلک لا یعتبر فضیله له.

و نحن إذا دققنا النظر فإننا نجد: أن سر شجاعه العرب هو أنهم6.

1- الأغانی ط دار إحیاء التراث العربی (بیروت): ج 17 ص 255.
2- سوره الفتح/ 26.

بحكم بيئتهم و حياتهم فى الصحراء، بلا حواجز و موانع طبيعيه أو غيرها.

و مواجهتهم الخطر المستمر من الحيوان، و من بنى الإنسان على حد سواء، يشعر كل فرد منهم: أنه مسؤول عن حمايه نفسه، و الدفاع عنها بنفسه، و لا يرد عنه إلا يده و سيفه، ما دام أنه فى كل حين عرضه للغزو، و النهب، و السلب، و أخذ الثارات منه.

هذا بالإضافه إلى أنه لا يأكل فى كثير من الاحيان إلا من سيفه و يده، و إلا فإنه هو نفسه يكون عرضه لأن يؤكل، فمن لم يكن شجاعا فاتكا أكل، أو على الأقل لم يستطيع أن يأكل، فكأنهم يتعاملون بمنطق؛ إن لم تكن ذئبا أكلتك الذئاب، و بعد فهل يمدح الذئب على فتكه بفريسته، و تمزيقه لها؟! إلا إذا كان هذا الفتك من منطلق الدفاع عن المثل أو القيم، أو عن الضعيف الذى يحتاج إلى الناصر، أو ما إلى ذلك.

4- النجده و الإقدام: و لا يختلف الكلام فى ذلک عن الكلام فى الشجاعه، إلا أننا نشير هنا إلى أن ذلک يرجع لإطمئنانه إلى أنه غير مسؤول عما يعمل، بل هو منصور من قبل قبيلته على كل حال، ظالما كان او مظلوما.

يضاف إلى ذلک: أن حياه الباديه و الغزو المفاجئ، و عمليات الإغتيال ثأرا، و غير ذلک من أخطار كانت تتهددهم باستمرار، كل ذلک يستدعى سرعه الإقدام، و مباشره العمل فورا، فإذا أضيف الى ذلک شعورهم بعدم المسؤوليه عن كل ما يحصل، فإن الإقدام بلا ترو و لا تريث؛ لا بد أن يصبح هو الصفه المميزه لهم، و الطاغيه على تصرفاتهم.

و لا بد ان نشير هنا: إلى أن قدرتهم على الانتقام فورا من شأنها أن تجعل فيهم حساسيه متناهيه؛ و لذا قل أن تجد فيهم حليما، إلا من بعض المسنين، أو أصحاب الهمم العاليه، او الجبناء، الذين يتخذون الحلم وسيله لتغطيه إنهزاميتهم.

5- الأنفه و العزه، و الإعتداد بالنفس، و النزوع الى الحريه، و قوه الإراده و الفصاحه، و قوه البيان؛ و الجوار.

و الكلام فيها لا يختلف كثيرا عما تقدم، فإن هذه الصفات لا تستحق مدحا أو ذما إلا بملاحظه الدوافع و الأهداف التى تكون من أجلها، أو تستعمل فيها.

و منشأ هذه الصفات فيهم بالإضافه الى ما تقدم، هو عدم تعرضهم للخضوع الى سلطه مركزيه، تحاول الهيمنه عليهم، و فرض النظام فيهم، و لو بالإذلال، و القهر، مما من شأنه أن يعطيهم حريه فى التصرف، و الحركه، و القول، و ما الى ذلک.

6- و أخيرا، الوفاء بالعهد: و هو أمر حسن فى نفسه و لا بأس به، إلا أن يكون عهدا مضرا بالمجتمع.

و هذا الوفاء أيضا أمر قد فرضته عليهم طبيعه حياتهم التى أشرنا إليها آنفا.

و أما حلف الفضول، الذى هو أشرف حلف فى العرب، فمصدره فى الحقيقه بنو هاشم، و كذا حلف عبد المطلب مع خزاعه، فلا يعبر ذلک عن خلقيات سائر العرب.

و قد اتضح من كل ما تقدم: أن كل تلک الصفات ليست جديره بأن تعتبر فضائل أخلاقيه، و صفات إنسانيه، إلا حينما كانت تصدر عن خلق فاضل، و إنسانيه كريمه، أو عن تقوى و شعور دينى، و إلا فقد تكون على العكس من ذلک، إذا عبرت عما يناقض ذلک و ينافيه.

الإسلام و تلک الصفات:

لقد حاول الإسلام أن يضع تلک الصفات فى خطها الصحيح، و أن

يجعلها تنطلق من قواعد إنسانيه، و عواطف صافيه و حقيقه، و فضائل أخلاقيه، و بالأخص من إحساس دينى صحيح، و ليستفيد منها- من ثم- فى بناء الأمه على أسس صحيحه و سليمه.

أماما كان منها لا يصلح لذلک، فقد كان يهتم بالقضاء عليه، و إستئصاله بالحكمه، و الموعظه الحسنه، كلما سنحت له الفرصه، و واتاه الظرف.

فمثلا، نلاحظ: أنه قد حاول أن يجعل المنطلق للكرم، و بذل المال، هو العاطفه الإنسانيه، و الشعور بحاجه الآخرين، كما يظهر من كثير من النصوص، هذا بالاضافه إلى طلب الأجر و المغفره من اللّه تعالى، و ذلک هو صريح قوله تعالى: وَ يُطْعِمُونَ الطَّعامَ عَلى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَ يَتِيماً وَ أَسِيراً إِنَّما نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزاءً وَ لا شُكُوراً (1) بل لقد تعدى ذلک و تخطاه إلى تمدح الإيثار على النفس، حتى فى موقع الخصاصه و الحاجه الملحه، فقال تعالى: وَ يُؤْثِرُونَ عَلى أَنْفُسِهِمْ، وَ لَوْ كانَ بِهِمْ خَصاصَهٌ (2).

أما العصبيات القبيله، فقد حاول أن يوجهها وجهه بناءه و يقضى على كل عناصر الشر و الإنحراف فيها، فدعا إلى بر الوالدين، و إلى صله الرحم، و جعل ذلک من الواجبات، حينما يكون سببا فى تلاحم و ربط المجتمع بعضه ببعض.

و لكنه أدان كل تعصب لغير الحق، و نددبه، و عاقب عليه، و اعتبر ذلک من دعوات الجاهليه المنتنه، كما هو صريح بعض النصوص التى سنشير إليها فى السيره النبويه، إن شاء اللّه تعالى.9.

1- سوره الإنسان، الآيه 8- 9.
2- الحشر 9.

و كذلک فإنه قد حاول أن يوجه الشده و القسوه إلى حيث تكون فى صالح الدين و الإنسان. و مثمره للحق و الخير، و الحفاظ عليهما.

و النصوص الداله على ذلک كثيره جدا، و يكفى أن نشير إلى قوله تعالى:

أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ، رُحَماءُ بَيْنَهُمْ (1) و قوله تعالى: يا أَيُّهَا النَّبِيُّ جاهِدِ الْكُفَّارَ وَ الْمُنافِقِينَ وَ اغْلُظْ عَلَيْهِمْ (2) و قاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَ لْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً (3) و الآيات و الروايات فى هذا المجال كثيره جدا، فهو يريد الشده فى دفع الظلم و الإنحراف. و الحفاظ على الحق، و أن لا تأخذ المؤمن فى اللّه لومه لائم. و يريد أن تتحول هذه الشده إلى رحمه و حنان و سلام فيما بين المؤمنين أنفسهم.

و هكذا يقال بالنسبه إلى سائر الصفات المتقدمه، فإن من يراجع النصوص القرآنيه، و الاحاديث الوارده عن النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) و عن آله المعصومين (عليهم السلام)، لا يبقى لديه أدنى شبهه فيما ذكرناه من أن الإسلام قد صب كل اهتمامه على توجيه الصفات الحسنه، و التصرف فى دوافعها و أهدافها، و جعلها تصب فى مصلحه الدين و الأمه، و القضاء على الصفات الذميمه، التى تقضى على سعاده البشر، و تهدم بناء الحق الشامخ.

و لسوف يأتى فى الفصل الثالث، حين الكلام عن العوامل التى ساعدت على انتشار الإسلام و انتصاره، أن هذه المميزات و الخصائص قد أدت دورا هاما فى ذلک، فإلى هناک.3.

1- الفتح 29.
2- التوبه 73.
3- التوبه 123.

متی کان بناء مکه:

اشاره

لا نستطیع أن نحدد بدقه تاریخ بناء مکه، و اتساعها حتی صارت جدیره باسم: (أم القری). و قد یقال: إن بدء بنائها کان قبل بناء ابراهیم (علیه السلام) للبیت، حسبما تشیر إلیه بعض الروایات، بل و یدل علیه قول اللّه تعالی حکایه عن إبراهیم: رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِناً (1).

و علیه، فما یحاول البعض إثباته، من أن قصیا هو أول من بنی مکه، و کان البیت وحیدا فی الصحراء، و کان الناس یترکونه لیلا، و یعودون إلیه نهارا، بدلیل أن قصیا سمی (مجمعا)؛ لأنه جمع القبائل حول البیت:

لا یصح، بل هو لا یدل أیضا؛ لأن تاریخ مکه قبل قصی خیر شاهد علی أنها کانت آهله بالسکان، معموره، و معروفه و مشهوره. نعم ربما یکون قصی قد نظم سکن القبائل فی مکه بالشکل المناسب.

و مهما یکن من أمر، فإن تحدید ذلک لا یهمنا کثیرا الآن. و ما یهمنا هو التعرف علی المکانه الدینیه لمکه، و مدی ارتباط قبائل العرب، بل و غیرهم بها. و الحدیث عن ذلک لا ینفصل عن الحدیث عن البیت العتیق، الذی تحتضنه مکه. ثم عن قریش التی کان لها شرف خدمه ذلک البیت؛ فنقول:

ألف: بناء الکعبه:

الکعبه هی أول بیت وضع للناس ببکه، مبارکا، و هدی للعالمین، کما هو صریح القرآن (2)، و المعروف المشهور هو: أن واضعه هو شیخ الأنبیاء إبراهیم (علیه السلام).6.

1- سوره ابراهیم 35.
2- راجع: آل عمران/ 96.

و لكننا نجد فى كلمات أمير المؤمنين (عليه السلام) ما يدل على أن البيت قد كان من لدن آدم أبى البشر (عليه السلام). أما إبراهيم فهو رافع قواعده و مشيد بنيانه و أركانه.

قال (عليه السلام): (ألا ترون أن اللّه سبحانه اختبر الأولين من لدن آدم، صلوات اللّه عليه، و إلى الآخرين من هذا العالم، بأحجار لا تضر و لا تنفع، و لا تبصر و لا تسمع، فجعلها بيته الحرام، الذى جعله للناس قياما. ثم وضعه بأوعر بقاع الارض حجرا، و أقل نتائق الدنيا مدرا، و أضيق بطون الأوديه قطرا، بين جبال خشنه، و رمال دمثه، و عيون و شله، و قرى منقطعه، لا يزكو بها خف و لا حافر، و لا ظلف. ثم أمر آدم و ولده:

أن يثنوا أعطافهم نحوه، فصار مثابه لمنتجع أسفارهم، و غايه لملقى رحالهم، تهوى إليه الأفئده من مفاوز سحيقه إلخ .. (1))

و يدل على ذلک أيضا: روايات وردت من طرق الخاصه و غيرهم؛ فمن أرادها فليراجعها فى مظانها (2).

و لعل ظاهر القرآن لا يأبى عن هذا أيضا؛ حيث جاء التعبير فيه عن تجديد بناء إبراهيم للبيت بقوله: وَ إِذْ يَرْفَعُ إِبْراهِيمُ الْقَواعِدَ مِنَ الْبَيْتِ (3)

و هذا لا ينافى أن تكون الأسس و القواعد قد وضعت قبل ذلک، و إبراهيم هو الذى رفع هذه القواعد، و شيد على تلكم الأسس. و هذا موضوع يحتاج إلى بحث و تحقيق، نسأل اللّه يوفقنا لمعالجته فى فرصه أخرى إن شاء اللّه تعالى.7.

1- نهج البلاغه بشرح عبده، الخطبه المعروفه بالقاصعه رقم 187.
2- راجع على سبيل المثال: تفسير نور الثقلين ج 1 ص 126- 129، و الطبرى، و الدر المنثور، و شرح النهج، و أخبار مكه للأزرقى: ج 1 ص 3- 30، و تفسير البرهان: الصحيح من السيره النبى الأعظم، مرتضى العاملى ج 2 32 ألف: بناء الكعبه: ..... ص : 31 ج 1 ص 300 و غير ذلک.
3- البقره 127.

ب: دعاء إبراهيم:

و مهما يكن من أمر، فإن إبراهيم (عليه السلام) قد لاحظ: أن البيت الذى اختبر اللّه الناس به قد وضع فى بقعه تكون الحياه فيها صعبه و شاقه، كما يظهر من كلمات الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) المتقدمه؛ و لذلک فقد دعا ربه فقال:

رَبَّنا إِنِّی أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِی بِوادٍ غَيْرِ ذِی زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِکَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنا لِيُقِيمُوا الصَّلاَهَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَهً مِنَ النَّاسِ تَهْوِی إِلَيْهِمْ وَ ارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَراتِ، لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ (1).

و لقد استجيت دعوه إبراهيم (عليه السلام)، و أصبحت مكه قبله الآملين، و مهوى أفئده الصفوه من العالمين.

ج: تقديس الكعبه:

لقد كانت الكعبه مقدسه و معظمه عند جميع الأمم، فيذكر العلامه الطباطبائى قدس سره:

أن الهنود يعتقدون: أن روح سيفا، و هو الأقنوم الثالث عندهم قد حلت فى الحجر الأسود، حينما زار هو و زوجته بلاد الحجاز.

و الصابئه من الفرس و الكلدانيون يعدون الكعبه أحد البيوت السبعه المعظمه (2)، و ربما قيل: إنها بيت زحل لقدم عهدها، و طول بقائها ..ن.

1- ابراهيم 37.
2- البيوت السبعه هى: الكعبه، و مارس: على رأس جبل بأصفهان. و هندوستان: ببلاد الهند. و نوبهار: بمدينه بلخ. و بيت غمدان: بمدينه صنعاء. و كاوسان: بمدينه فرغانه من خراسان، و بيت بأعالى بلاد الصين.

و اليهود أيضا كانوا يعظمونها، و يدعون أنهم يعبدون اللّه فيها على دين إبراهيم (عليه السلام). و يقولون: إنه كان فيها تماثيل و صور، منها تمثال إبراهيم و إسماعيل، و بأيديهما الأزلام، و أن فيها صورتا العذراء و المسيح، و يشهد على ذلک تعظيم النصارى لأمرها كاليهود.

و كانت العرب أيضا تعظمها كل التعظيم، و تعدها بيتا للّه تعالى.

و كانوا يحجون إليها من كل جهه (1) ..

و ستأتى كلمات أبى طالب حول هذا الأمر حين الكلام عن زواج النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) بخديجه أم المؤمنين (عليها السلام) و قد حكى اللّه سبحانه هذا الأمر حينما قال: أَ وَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنا حَرَماً آمِناً وَ يُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ (2).

فالكعبه إذن، كانت مقدسه عند جميع الأمم و الطوائف، و بالأخص عند العرب، و ظلت على ذلک مددا متطاوله فى العصر الجاهلى، و يزيد ذلک قوه و رسوخا: أن العربى كان يعتبرها مصدر عزته، و موضع أمله، و كيف لا تكون كذلک، و هو يرى ان الأمم الأخرى تنظر اليه- لأجلها- بعين الحسد و الشنآن. و تعمل على انتزاع هذا الشرف منه، أو على التقليل من خطره و أهميته، حتى لقد:

1- أقام الغساسنه بيتا فى الحيره فى مقابلها (3).

2- و فى نجران أيضا: أقيمت كعبه أخرى لتضاهى كعبه مكه، يقول الأعشى: يخاطب ناقته:5.

1- راجع الميزان ج 3 ص 361، 362. و ما ذكره يحتاج إلى تحقيق، و إثبات بالأدله و الشواهد.
2- العنكبوت/ 67.
3- حياه محمّد لمحمّد حسين هيكل ص 63. و راجع: الأصنام ص 45.

و كعبه نجران حتم عليک حتى تناخى بأعتابها و كعبه نجران هذه يقال: إنها بيعه بناها بنو عبد المدان بن الديان الحارثى، على بناء الكعبه، و عظموها مضاهاه للكعبه، و سموها: كعبه نجران (1).

3- و فى الشام كانت الكعبه الشاميه (2).

4- و فى اليمن الكعبه اليمانيه (3).

و كان رجل من جهينه قال لقومه: هلم نبنى بيتا نضاهى به الكعبه، و نعظمه، حتى نستميل به كثيرا من العرب، فاعظموا ذلک و أبوا عليه) (4)

و يكفى أن نذكر: أن أبرهه بن الأشرم أقام فى اليمن بيتا، و دعا الناس إلى تعظيمه، و الحج إليه. و كتب إلى ملک الحبشه: (إنى قد بنيت لک كنيسه لم يبن مثلها أحد قط. و لست تاركا العرب حتى أصرف حجهم عن بيتهم الذى يحجونه إليه) (5).

و رغم أنه زخرفه و فرشه بأفخر ما يقدر عليه، إلا أن ذلک لم ينفع فى صرف الناس حتى اليمنيين عن الكعبه إليه، فضلا عن أن يصرف غيرهم أو أهل مكه عن كعبتهم، و استمر الناس، و أهل اليمن على الحج إلى مكه.

و بعد أن تغوط أحد بنى كنانه فى كنيسه أبرهه، غضب، و اندفع إلى7.

1- معجم البلدان لياقوت الحموى ج 5 ص 268. و راجع: الأصنام ص 44/ 45.
2- البدايه و النهايه ج 2 ص 192.
3- البدايه و النهايه ج 2 ص 192.
4- الأصنام: ص 45.
5- الأصنام: ص 47.

مکه فی عام الفیل و قال لعبد المطلب: إنه لا یقصد إلا هدم البیت، فأجابه إن للبیت ربا سیمنعه، و جری ما جری لأبرهه و جیشه و أنزل اللّه فی ذلک:

أَ لَمْ تَرَ کَیْفَ فَعَلَ رَبُّکَ بِأَصْحابِ الْفِیلِ أَ لَمْ یَجْعَلْ کَیْدَهُمْ فِی تَضْلِیلٍ وَ أَرْسَلَ عَلَیْهِمْ طَیْراً أَبابِیلَ تَرْمِیهِمْ بِحِجارَهٍ مِنْ سِجِّیلٍ فَجَعَلَهُمْ کَعَصْفٍ مَأْکُولٍ (1).

5- و یقولون: إن تبع بن حسان کان قبل ذلک، قد حاول أن یهدم البیت و یحول حجارته إلی الیمن، فیبنی بها بیتا هناک تعظمه العرب، فدفع اللّه عن البیت شره و کیده (2).

الأصنام، و الکعبه:

و یقولون: إن عمرو بن لحیّ، کبیر خزاعه، عند ما کان یتولی أمر البیت، سافر إلی الشام، و حمل معه منها الصنم المسمی ب (هبل) و وضعه علی الکعبه. و کان أول صنم وضع علیها، ثم أتبعه بغیره، و فی ذلک یقول شحنه بن خلف الجرهمی:

یا عمرو إنک قد أحدثت آلههشتی بمکه حول البیت أنصابا

و کان للبیت ربا واحدا أبدافقد جعلت له فی الناس أربابا 1.

1- سوره الفیل راجع فی هذه القضیه البحار: ج 15 ص 140 و 136 و 131 و 72 و 69 و 66، و أمالی الطوسی: ص 78/ 79، و أنساب الأشراف: ج 1 ص 68، و تاریخ ابن الوردی: ج 1 ص 127، و السیره النبویه لابن کثیر: ج 1 ص 34، و السیره النبویه لابن هشام: ج 1 ص 51، و البدایه و النهایه: ج 2 ص 172، و تاریخ الخمیس: ج 1 ص 189، و السیره النبویه لدحلان (مطبوع بهامش الحلبیه): ج 1 ص 31، و السیره الحلبیه: ج 1 ص 59- 61.
2- ثمرات الأوراق ص 287 و راجع: تاریخ الخمیس: ج 1 ص 191.

قالوا: (و كان قوله- أى عمرو بن لحى- فيهم كالشرع المتبع؛ لشرفه فيهم، و محلته عندهم، و كرمه عليهم) (1).

فشاعت عباده الأصنام بين العرب، و أصبحت كل قبيله تضع لها صنما على الكعبه، تختلف إليه من جميع الأقطار، حتى صار بها أكثر من (300) صنما، او تنصبه فى الموضع المناسب لها، فإذا أرادوا الحج وقفوا عند الصنم، و صلوا عنده، ثم يلبون حتى يصلوا إلى مكه (2).

و اتخذ أهل كل دار صنما يعبدونه فى دارهم، فإذا أراد الرجل سفرا تمسح به حين يركب، و إذا قدم تمسح به أول ما يصل قبل أن يصل إلى أهله.

و كان ذلک هو حجه من قال: إن العرب لم تكن تعبد الأصنام قبل عمرو بن لحى (3).

و ثمه رأى آخر يقول: إن بنى إسماعيل كانوا لا يفارقون مكه حتى كثروا، و ضاقت بهم مكه، و وقعت بينهم الحروب و العدوات، و أخرج بعضهم بعضا، فاضطروا إلى التفرق فى البلاد، و ما من أحد منهم إلا حمل معه حجرا من حجاره الحرم تعظيما للحرم؛ فحيث مانزلوا، وضعوه فطافوا به، كطوافهم بالكعبه، حتى أدى بهم ذلک إلى عباده تلک الحجاره. ثم جاء من بعدهم؛ فنسوا ما كان عليه آباؤهم من دين إسماعيل، فعبدوا الأوثان (4) و فيهم على ذلک بقايا من عهد إبراهيمک.

1- البدايه و النهايه ج ص 187 و السيره الحلبيه: ج 1 ص 10 و 11، و راجع: الأصنام ص 9.
2- تاريخ اليقعوبى ج 1 ص 255.
3- راجع: السيره الحلبيه: ج 1 ص 10 و 11.
4- راجع: البدايه و النهايه ج 2 ص 188، و المستطرف ج 2 ص 75 عن ابن إسحاق، و الأصنام ص 6 و غير ذلک.

و إسماعيل يتنسكون بها، من تعظيم البيت و الطواف به، و الحج و العمره، و الوقوف على عرفه و مزدلفه، و إهداء البدن، و الإهلال بالحج و العمره، مع إدخالهم فيه ما ليس منه (1).

و نحن نرجح أن هذا الأخير هو سر عبادتهم للأوثان. و أما عمرو بن لحى، فالظاهر أنه أول من وضع الاصنام على الكعبه، أو حولها، و تبعه غيره. و ربما يشهد لذلک أن مجيئه بالصنم من الشام لا بد أن يسبقه- بحسب العاده- نوع قبول للأصنام، و تعظيم لها، هذا، إن لم نقل: إنه يعنى: أنه كان يعبد الأصنام قبل أن يذهب إلى الشام.

و ما يهمنا هنا هو الإشاره إلى ما كان للكعبه من مكانه لدى الإنسان العربى، فضلا عن غيره، سواء فى الوقت الذى كان يعبد فيه الأوثان و يعظمها، أو فى تلک الظروف التى بدأ يشعر فيها بعض الناس بسخافه عباده الأوثان، و عدم معقوليتها.

و بالنسبه للمراد من الصنم فإنهم يقولون: (إذا كان معمولا من خشب أو ذهب، أو من فضه صوره إنسان، فهو صنم، و إذا كان من حجاره فهو وثن) (2).

ولايه الكعبه:

كانت ولايه الكعبه أولا فى يد ولد إسماعيل، ثم خرجت من يدهم إلى أخوالهم الجرهميين (3) و يقال: إلى العماليق، ثم عادت إلى جرهم.ن.

1- الأصنام: ص 6.
2- الأصنام: ص 53.
3- يقال: إن زوجه إسماعيل كانت جرهميه. و هم فى الأصل يمنيون قحطانيون، لا من عدنان.

ثم لما كثر ولد اسماعيل؛ و أصبحوا ذوى قوه و منعه، حاربوا الجرهميين بقياده كبير خزاعه، و انتزعوا منهم ولايه البيت، و استمرت فى الخزاعيين إلى أن أخرجها منهم قصى بن كلاب، الجد الرابع للنبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم).

و كانت الولايه بيد حليل الخزاعى أبى زوجه قصى، فجعل الولايه بعد موته لابنته، التى كانت تحت قصى، و لكنه جعل مفتاح البيت مع رجل يقال له أبو غبشان فيقال: إن قصيا إشتراه منه بزق خمر، و بذلک يضرب المثل (أخسر من صفقه أبى غبشان)، و قال فى ذلک بعضهم:

أبو غبشان أظلم من قصى و أظلم من بنى فهر خزاعه

فلا تلحوا قصيا فى شراه و لوموا شيخكم إذ كان باعه (1)

و من أجل ذلک فقد جرت بين قريش و خزاعه حرب كان النصر فيها لقريش، و هم أولاد فهر بن مالک (2)، هكذا يقولون.

و لكن ذلک ليس هو الرأى النهائى هنا؛ إذ أننا نرى البعض الآخر يقول:

إن قصيا قد استعاد البيت من خزاعه بعد حروب جرت بينه و بينهم، ثم تحاكموا إلى عمرو بن عوف، فحكم لقصى (3).

و ثمه قول آخر يفيد: أن حليلا أوصى عند موته بولايه البيت لصهره قصى. و هذا ما تزعمه خزاعه (4).ق.

1- راجع تاريخ اليعقوبى ج 1 ص 239 و 240.
2- البدايه و النهايه ج 2 ص 210، و غيره.
3- تاريخ اليعقوبى ج 1 ص 240 و البدايه و النهايه ج 2 ص 207 عن ابن إسحاق.
4- تاريخ اليعقوبى ج 1 ص 239 و البدايه و النهايه ج 2 ص 205 عن ابن إسحاق.

و إذا كانت خزاعه تزعم ذلک فما هو المبرر لحربها، إلا الحسد له، و البغی علیه؟!. و الظاهر أن حلیلا قد أوصی إلیه به فحاربته خزاعه حسدا و بغیا، (1) ثم تحاکموا إلی یعمر بن عوف، فحکم له.

و حکم یعمر بن عوف له یقرب وصیه حلیل بالولایه إلیه، و کان یعمر قد اطلع علی هذه الوصیه، إن لم یکن لقصی حجج أخری فی المقام جعلت الحکم یکون فی صالحه (2).

و علی کل حال فقد جدد قصی بناء البیت فی القرن الثانی قبل الهجره (3) و بنی إلی جانب الکعبه دار الندوه، التی کانت تجتمع فیها قریش للحکومه، و القضاء، و الشوری (4) و هذا من مآثره الجلیله، الداله علی درایته و حکمته، و بعد نظره.

مکانه قریش:

و واضح أن سدانه قریش للبیت العتیق، و هو الذی یعظمه الکثیرون ثم اتصال نسبها بإسماعیل و إبراهیم (علیهما السلام)، و العربی- بطبعه یحترم نسبا کهذا، إنطلاقا من اهتمامه بالأنساب، و إذعانه لها علی أنها مصدر شرف و سؤدد و لا سیما بملاحظه تعرض العربی للغارات و السبی الأمر الذی یجعل لدیه حساسیه خاصه تجاه هذا الأمر.

و أیضا، لأن قریشا کانت أقرب إلی الحنیفیه من غیرها، و شعائر9.

1- راجع السیره الحلبیه: ج 1 ص 8، و تاریخ الخمیس: ج 1 ص 155، و تاریخ الأمم و الملوک: ج 2 ص 16.
2- السیره الحلبیه: ج 1 ص 9، و راجع: تاریخ الأمم و الملوک: ج 2 ص 17.
3- تاریخ الخمیس ج 1 ص 19.
4- راجع: السیره الحلبیه: ج 1 ص 12 و 15، و راجع: تاریخ الخمیس: ج 1 ص 155، و تاریخ الأمم و الملوک: ح 2 ص 18/ 19.

الحج إنما هی من بقایاها کما هو معلوم. و الحنیفیه هی الدین الذی یحترمه العربی و یقدسه و یعنوله- إن کل ذلک، و غیره من أمور قد أکسب قریشا شرفا، و منحها مکانه، و نفوذا و خطرا، و أصبح الناس عامه ینظرون إلی قریش نظره فیها الکثیر من الإحترام و التقدیس و الإکبار.

و الشواهد علی هذا کثیره، و یکفی أن نذکر قول قصی لقریش: (قد حضر الحج، و قد سمعت العرب ما صنعتم، و هم لکم معظمون) (1).

و قول أبی طالب حین تزویج خدیجه من رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله و سلم): (الحمد لرب هذا البیت الذی جعلنا من زرع إبراهیم و ذریه إسماعیل و أنزلنا حرما آمنا، و جعلنا الحکام علی الناس، و بارک لنا فی بلدنا الذی نحن فیه) (2).

و علیه، فإنه إذا کانت قریش من نسل إسماعیل، و تحترم دین الحنیفیه.

و إذا کانت مکه تعتبر حتی من العرب، أهل الحرب و الغاره، حرما یأمن من لجأ إلیه، و قد یلتقی العربی فیها بقاتل ولده، أو أبیه؛ فلا یؤذیه، و لا یستطیع أن یثأر منه.

و إذا کان تقدیس مکه قد بلغ عندهم هذا الحد؛ فإن من الطبیعی أن یکون لساده مکه نصیب وافر من هذا التقدیس. و أن یتمیزوا علی سائر الناس باحترام خاص. أضف إلی ذلک سدانتهم للبیت الذی تفد إلیه العرب من جمیع الأقطار و الأنحاء.

و إذا کانت قریش و خصوصا الهاشمیون تری: أن شرفها، و سؤددها، و مجدها، و حتی إقتصادها، مرتبط بالبیت و متصل به اتصالا وثیقا؛ فمنه.

1- تاریخ الیعقوبی ج 1 ص 239.
2- ستأتی بعض المصادر لذلک إن شاء اللّه تعالی حین الکلام عن زواج النبی صلی اللّه علیه و آله و سلم بخدیجه.

الطبیعی أن تدرک أن انتهاک حرمته لیس من مصلحتها. لأن ذلک یقلل من تقدیس البیت، و من احترام سدنته و یفقدهم- من ثم- أعز و أغلی ما لدیهم.

و من هنا فإنه و إن کان فی قریش جماعات شریره، لا ترجع إلی دین، و هم أصحاب حلف الأحلاف (لعقه الدم). لکن قد کان فی مقابلهم رجال أشراف کرام لا یرضون بما یصدر من أولئک، و یحاولون إرجاع الحق إلی نصابه ما أمکنهم ذلک، و من هنا کانت المبادره إلی عقد حلف المطیبین، و بعده حلف الفضول، الذی ینص علی أن تردّ کل مظلمه إلی صاحبها، لا فرق بین قرشی و غیره، و علی التأسی بالمعاش (1).

أنا ابن الذبیحین:

و یذکرون هنا: أنه حین لقی عبد المطلب- و هو یحفر زمزم- من قریش ما لقی: من مخاصمتها إیاه فی شأن تلک البئر، و شدتها علیه، حلف لئن ولد له عشره نفر لینحرن أحدهم. فلما ولدوا له دعاهم إلی الوفاء للّه بالنذر؛ فأجابوه، فضرب القداح فخرجت علی ولده عبد اللّه أصغر بنی أبیه، علی حد تعبیر ابن هشام.

و نقول:

الصحیح: بنی أمه، و إلا فإن الحمزه و العباس کانا أصغر منه.

إلا أن یقال: إنهما لم یکونا قد ولدا بعد.

و الظاهر: أن المقصود بالعشره: ما یشمل أولاد اولاده. و قد ذکروا:

أنه کان للحرث بن عبد المطلب ولدان؛ هما أبو سفیان و نوفل، بل ذکر بعضهم: أن أعمامه صلی الله علیه و آله وسلم کانوا إثنی عشر، بل قیل: ثلاثه عشر. و أنه.

1- سیأتی الحدیث عن ذلک مفصّلا فی فصل: من المیلاد إلی البعثه.

عبد اللّه ثالث عشرهم. و عليه فلا إشكال، لأن الحمزه و العباس، كانا من أم أخرى كما أشرنا إليه (1).

كما أننا نشک فی قولهم إن ضرب القداح كان عند هبل، و أراد التنفيذ عند إساف و نائله؛ لأن عبد المطلب كان على دين الحنيفيه كما سيأتى عن قريب، و لم يكن يحترم الأصنام آنئذ.

و مهما يكن من أمر فقد أراد عبد المطلب ذبح ولده عبد اللّه، فأطاعه ولده؛ فمنعوه من ذلک؛ فضربت القداح عليه، و على عشره من الإبل- مقدار ديه رجل- من جديد فخرجت عليه، فزادها عشره، و ضربت القداح فخرجت عليه، و هكذا إلى ان بلغت مئه؛ فخرجت على الإبل فنحرت: و لذلک يقال: إن النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) كان يقول:

أنا ابن الذبيحين، أى إسماعيل، و عبد اللّه (2).

من هو الذبيح:

و يقول البعض: إن المراد بالذبيحين هابيل، و عبد اللّه .. على اعتبار أن المراد بالذبيح هو إسحاق، كما جاء فى بعض الروايات (3).يخ

1- راجع: السيره الحلبيه: ج 1 ص 38 و المواهب اللدنيه ج 1 ص 18.
2- السيره الحلبيه: ج 1 ص 35- 38 و راجع المواهب اللدنيه ج 1 ص 17 و السيره النبويه لدحلان ط دار المعرفه ج 1 ص 16.
3- راجع ابن إسحاق، و السهيلى و به جزم ابن سلام الجمحى فى كتاب طبقات الشعراء ص 107، و حكاه عن: عمر، و العباس، و ابن مسعود، و مسروق، و عكرمه، و سعيد بن جبير، و مجاهد، و عطاء، و الشعبى، و مقاتل و عبيد اللّه بن عمر، و أبى ميسره، و زيد بن أسلم، و عبد اللّه بن شقيق، و الزهرى، و القاسم، و ابن أبى برده، و مكحول، و عثمان؟ و السدى، و الحسن و قتاده، من السلف و غيره قالوا بذلک كل ذلک فى البدايه و النهايه ج 1 ص 159. و البحار: ج 12 ص 132، و تاريخ

و لإجماع أهل الكتاب على ذلک (1) على اعتبار أن العرب تجعل العم أبا (2).

و هذا لا يصح؛ أما:

أولا: فإنه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) ليس من ولد هابيل إجماعا.

إلا أن يقال: إن العم بمنزله الأب.

و يرده:

ألف: أن أبوه الذبيح الآخر فى قوله: أنا ابن الذبيحين؛ لا بد أن لا تختلف عن أبوه عبد اللّه له، لأنه ذكرهما فى كلام واحد، فإراده هذا المجاز البعيد فى أحدهما؛ و الحقيقه فى الآخر غير معقول، حتى لو جوزنا استعمال اللفظ المشترک فى أكثر من معنى، كما هو الصحيح، بدليل وجود التوريه فى كلام العرب.

ب: إن الذي بمنزله الأب- لو سلم أنه عرفا كذلک- إنما هو العم القريب، لا العم الذى يأتى بعد عشرات الآباء و الأجداد.

ثانيا: كون الذبيح هو إسحاق لا يصح. و ذلک لما يلى:

ألف: إنه قد ذكر فى سوره الصافات قضيه الذبح، ثم عقبها7.

1- البحار: ج 12 ص 134.
2- المواهب اللدنيه ج 1 ص 17.

بالبشاره باسحاق فقال: وَ بَشَّرْناهُ بِإِسْحاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ (1) مما يشعر بأن اسحاق قد ولد بعد قضيه الذبح، لأن هذه بشاره بالميلاد بقرينه قوله تعالى فى آيه أخرى: (فَبَشَّرْناها بِإِسْحاقَ وَ مِنْ وَراءِ إِسْحاقَ يَعْقُوبَ) (2) و لو كان الذبح لإسحاق لم يحسن الإتيان بإسمه، بل كان المناسب إيراد ضميره. و تكون البشاره بنبوته مكافأه على صبره على الذبح، و ليست بشاره به نفسه كما هو ظاهر الآيه.

و قد روى الإستدلال بالآيات عن الإمام الصادق (عليه السلام)، و عن محمد بن كعب القرظى أيضا (3).

و يشير إلى هذا أيضا: الترتيب الذى جاء على لسان إبراهيم (عليه السلام) حيث قال: (الحمد للّه الذى وهب لى على الكبر إسماعيل و إسحاق).

كما أن اللّه قد ذكر إسماعيل و إسحاق فى القرآن معا فى ست آيات، و فى كلها يقدم ذكر إسماعيل على إسحاق.

و فى ذلک إشاره إلى ما ذكرناه:

2- و لو أغمضنا النظر عن ذلک فإننا نقول: إن من غير المعقول أن يبشر اللّه تعالى نبيه بغلام سيكبر، و يكون نبيا و يتزوج، و يولد له ولد اسمه يعقوب ثم يأمره بذبح ذلک الولد الكبير و النبى نفسه، فإنه لا يرتاب حينئذ بأن الأمر بالذبح ليس حقيقيا و إنما هو صورى و هذا يفقد قضيه الذبح كل قيمتها. فلاحظ قوله تعالى: وَ بَشَّرْناهُ بِإِسْحاقَ نَبِيًّا و قوله: وَ امْرَأَتُهُ قائِمَهٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْناها بِإِسْحاقَ وَ مِنْ وَراءِ إِسْحاقَ يَعْقُوبَ.9.

1- الصافات 112.
2- هود/ 71.
3- راجع: الميزان ج 17 ص 155 و البدايه و النهايه ج 1 ص 161 و 159.

إلا أن يدعى: أن النبوه و البشاره بيعقوب ليست داخله فى البشاره الأولى.

و لكن ذلک خلاف الظاهر. و الذين يصرون على ان الذبيح هو إسحاق لا يقولون بالبداء ليمكنهم التشبث به فى الإجابه هنا.

أو يدعى: أن الذبح قد يكون بعد أن ولد له يعقوب.

و يرده: أنهم يقولون: إن قضيه الذبح قد حصلت حينما كان عمره ثلاث عشره سنه (1).

3- و قد روى: أن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) قد أوضح أن كونه ابن الذبيحين إنما هو بنذر عبد المطلب، و بذبح إسماعيل (عليه السلام) (2).

4- و أخيرا .. فقد أنكر أبو عمرو بن العلاء أن يكون إسحاق هو الذبيح، على اعتبار أن الذبح كان بمكه، و إسماعيل هو الذى كان بمكه و بنى البيت مع والده. و كذا قال ابن القيّم (3).

خلاصه و بيان:

و نستخلص مما تقدم: أنه قد كان هناک بشارتان:

إحداهما بولاده إسماعيل (عليه السلام)، فولد، ثم أمر بذبحه، و جرى ما جرى. ثم جاءت البشاره الأخرى بولاده إسحاق بملاحظه: أن أمه لم تكن ولدت، رغم أنها كان قد كبر سنها فبشرها اللّه بذلک- كما95

1- راجع: الدر المنثور للعاملى ج 1 ص 161.
2- البحار ج 12 ص 132 و مفاتيح الغيب ج 25 ص 153.
3- المصدران السابقان و مجمع البيان ج 8 ص 453 و الدر المنثور للعاملى ج 1 ص 161 و المواهب اللدنيه ج 1 ص 18 و السيره النبويه لدحلان ج 1 ص 16 و تاريخ الخميس ج 1 ص 95

ذكرته سوره هود- فتعجبت: أن تلد و هى فى هذا السن.

و عدم ذكر إسماعيل فى سوره الصافات، و الاكتفاء بذكر إسحاق و يعقوب لعله يشير إلى ذلک أيضا على اعتبار أن الأمر بالنسبه لإسماعيل كان قد مضى و انقضى.

أهل الكتاب هم الداء الدوى:

و بعد هذا. فإن السؤال الذى يلح فى طلب الإجابه عليه هو: من أين جاء هذا الأمر الغريب: أن الذبيح هو إسحاق؟

و الجواب: هو ما قاله ابن كثير و غيره: (إنما أخذوه- و اللّه أعلم- من كعب الاحبار، أو من صحف أهل الكتاب. و ليس فى ذلک حديث صحيح عن المعصوم، حتى نترک من أجله ظاهر الكتاب) (1) فاليهود إذن قد أرادوا ترويج عقيدتهم بين المسلمين، و تخصيص هذه الفضيله بجدهم إسحاق حسب زعمهم.

و لكن اليهود أنفسهم قد فاتهم: أن التوراه المتداوله نفسها متناقضه فى هذا الأمر؛ فإنها فى حين تقول: (خذ إبنک، وحيدک، الذى تحبه إسحاق. و اذهب إلى أرض المريا، و أصعده هناک محرقه على الخ ..) (2).

فقد عبرت هنا بكلمه: (وحيدک) الداله على أن إسحاق هو أكبر ولد إبراهيم. و لكنها تعود فتكذب نفسها، و تنص على أن إسحاق لم يكن وحيدا و إنما ولد و عمر إسماعيل أربعه عشر سنه (3).ده

1- البدايه و النهايه ج 1 ص 161 و 159 و راجع السيره الحلبيه ج 1 ص 38 عن ابن تيميه.
2- سفر التكوين: الإصحاح 22، الفقره 1- 33 و لتراجع سائر فقرات الإصحاح أيضا.
3- سفر التكوين الإصحاح 16 الفقره 15/ 16 نص على أن عمر ابراهيم حين ولاده

بل لقد ذكر ابن كثير: أنه لا خلاف بين أهل الملل: أن إسماعيل أول ولد إبراهيم و بكره (1).

و قد اعترف أحد مسلمه أهل الكتاب بأن اليهود يعلمون: أن الذبيح هو إسماعيل، و لكنهم يصرون على خلافه حسدا منهم للعرب (2).

ملاحظات هامه:

الأولى: إننا نلاحظ: أن إبراهيم قد رزق ولده إسماعيل الوحيد فى شيخوخته، كما أشار اليه القرآن. و طبيعي أن يكون تعلقه بهذا الولد أشد، و حبه له أعظم. و نلاحظ أيضا: أن أمر اللّه تعالى له بذبحه قد كان، و ولده فى أروع أيام حياته، و فى السن التى يزداد تعلق والديه به فيه، و حبهما له؛ حيث تمتزج المحبه بالعاطفه، و الرأفه بالإعجاب ..

و أيضا، لقد رزقه اللّه ولدا هو فى أعلى درجات الكمال الإنسانى، عقلا و درايه و سلوكا، و استقامه، إلى غير ذلک من فضائل و كمالات إنسانيه فاضله. و هذا أيضا ادعى إلى التعلق به، وازدياد المحبه له.

و بعد ما تقدم فإننا نجد: أن اللّه سبحانه يكلف هذا الأب بذبح طفل كهذا بيده. و إذا كان التخلى عن طفل كهذا فى ظروف كهذه هو من أصعب الأمور، فكيف إذا كان يجب أن يتم هذا التخلى بيد نفس ذلک الأب؟!..8.

1- البدايه و النهايه ج 1 ص 157، و راجع: البحار: ج 12 ص 134.
2- البحار: ج 12 ص 134، و مجمع البيان: ج 8 ص 453، و السيره الحلبيه: ج 1 ص 38. و تاريخ الخميس ج 1 ص 95/ 96 و المواهب اللدنيه ج 1 ص 18.

و يلبى إبراهيم، و يستجيب إلى أمر اللّه، دون أن يسأل عن السبب، و دون أن يبرمه أمر كهذا، و حتى دون أن يتحير فى ذلک؛ لأنه واثق بحسن ما يختاره له ربه، و بصلاح ما يأمره به.

يستجيب لهذا الأمر، و لا يندفع إلى تنفيذه بسرعه و بدون أن يعلم ولده بهذا الأمر، ليريح أعصابه، و يستريح من هذا الكابوس، الأمر الذى يخفى وراءه شيئا من الضعف و الوهن، بل هو يخبر ولده بالأمر، و يطلب منه أن يتخذ هو نفسه أيضا القرار الحاسم فى الإستسلام لذلک أو عدمه و ذلک يدل على ثقته بحسن اختيار ولده. و يدل على أنه كان يحترم فيه كبر عقله، و سداد رأيه، و لا يعتبره طفلا لا يمكن أن توكل إليه أيه مسؤليه.

و طبيعى أيضا: أن يكون توجه إسماعيل لذلک، و أن يتخذ هو نفسه القرار فى ذلک بقوله: يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى إن شاء اللّه من الصابرين. مما يزيد فى الآم أبيه.

و إسماعيل .. الذى أراد أبوه أن ينيله أجر الطاعه، و يتذوق حلاوه التسليم، لم يكن منه إلا التسليم لأمر اللّه سبحانه، و الإنصياع له بثقه و رضا ولكنه لا يعتبر هذا التسليم و الرضا شجاعه و بطوله منه، و إنما يعتبره خضوعا لمشيئه اللّه تعالى و يرى: أن صبره مستمد منه، و منته إليه؛ و لذلک عبر اللّه تعالى عن حالتهما هذه بقوله: (فلما أسلما)؛ فهما قد أسلما للّه تعالى، و ليس لغيره من الشهوات، و لا للغرائز، و لم تقيدهما القيود الماديه، و لا الدنيويه فى شى ء (1).

و لذلک فإن إبراهيم و ولده هما ممن يكون اللّه أحب إليه من كل شى ء مما نصت عليه الآيه الكريمه التى تقول: قُلْ إِنْ كانَ آباؤُكُمْ وَ أَبْناؤُكُمْ وَ إِخْوانُكُمْ وَ أَزْواجُكُمْ وَ عَشِيرَتُكُمْ وَ أَمْوالٌ اقْتَرَفْتُمُوها، وَ تِجارَهٌ.

1- لقد أشار فى كتاب: فى ظلال القرآن إلى بعض ما ذكرناه أيضا.

تَخْشَوْنَ كَسادَها وَ مَساكِنُ تَرْضَوْنَها أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَ رَسُولِهِ، وَ جِهادٍ فِی سَبِیلِهِ، فَتَرَبَّصُوا حَتَّی یَأْتِیَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَ اللَّهُ لا یَهْدِی الْقَوْمَ الْفاسِقِینَ (1).

الثانیه: إن من الواضح أن ذبح إسماعیل، و إراقه دمه لم یکن هو المقصود النهائی له تعالی؛ و ذلک لقوله تعالی لإبراهیم: قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْیا، و إنما کان المقصود هو البلاء و الإمتحان لإبراهیم و ولده؛ لقوله تعالی: إِنَّ هذا لَهُوَ الْبَلاءُ الْمُبِینُ.

و حکمه هذا البلاء هی: أن یزید فی تزکیه، و تصفیه نفس إسماعیل، فی مراحل إعداده لتحمل مسؤولیه النبوه، و قیاده الأمه. و کذلک فإن فی ذلک تزکیه و تصفیه و امتحانا لنفس إبراهیم (علیه السلام) و لربما یکون ذلک من الکلمات اللواتی استحق إبراهیم بإتمامهن أن یجعله اللّه للناس إماما. قال تعالی: وَ إِذِ ابْتَلی إِبْراهِیمَ رَبُّهُ بِکَلِماتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قالَ إِنِّی جاعِلُکَ لِلنَّاسِ إِماماً قالَ وَ مِنْ ذُرِّیَّتِی؟ قالَ لا یَنالُ عَهْدِی الظَّالِمِینَ (2).

و کانت قضیه الذبح هی البلاء المبین کما نصت علیه الآیه الکریمه.

و قد رأیت بعد أن کتبت هذا: أن العلامه الطباطبائی یذکر: أن البعض قد تنبه لذلک کالطباطبائی نفسه، و استدل له، بقوله تعالی: وَ مِنْ ذُرِّیَّتِی إذ لا معنی لقوله هذا إن لم یکن له ذریه بالفعل، کما أنه لم یکن یعلم، و لا یظن: أنه سیکون له ولد قبل تبشیر الملائکه له بذلک، و إبراهیم لا یتفوه بما لا علم له به، و لا یظنه، و لا یحتمله، و لا یخطر له علی بال، و هو بهذه السن المتقدمه. و لو کان ذلک قبل ولاده إسماعیل؛ لکان اللازم أن یقول: وَ مِنْ ذُرِّیَّتِی إن رزقتنی ذریه (3).8.

1- التوبه 24.
2- البقره 124.
3- راجع: المیزان ج 1 ص 267/ 268.

و قد أورد البعض على الفقره الاولى بإمكان أن يكون هذا الطلب من إبراهيم قد حصل بعد تبشير الملائكه له بالذريه. فنزلها فى كلامه منزله الأمر الحاصل و المحقق.

و بعد، فإن حكم هذا البلاء، هو أن يضرب بذلک المثل الأعلى للأجيال، فى التضحيه فى سبيل المبدأ الحق، و لا يكتفى بمجرد رفع الشعارات، و الإعلان عن المواقف كلاميا فقط. فبإسماعيل و إبراهيم ينبغى أن تكون القدوه لكل مؤمن و مؤمنه.

كما أن فى إخراج فضائلهما من عالم القوه إلى عالم الفعل، و إظهارها للناس و التعريف بها تشجيع للفضائل الكامنه فى غيرهم، و تحريک لها لتقوم بمحاوله الظهور على الصعيد العملى، أى أن فى ذلک هزه عاطفيه مؤثره فى كل من يملک عاطفه جياشه؛ تستطيع أن تستثير الفضائل الكامنه فى نفس الإنسان؛ لتكون واقعا حيا و ملموسا، و لتقود عمليه التغيير الشامله فى حياه الإنسان، و مستقبله بشكل عام.

هذا و من غير البعيد: أن يكون المجتمع الذى عاش فيه إبراهيم و إسماعيل، قد طغت عليه الماديه؛ فأراد اللّه تعالى تحويل هذا الإتجاه بصوره عمليه، دون الإقتصار على إسداء النصايح، و التوجيهات.

و لعل المتأمل فى هذه القضيه يكتشف الكثير، مما لم نذكره، أو لم نشر إليه، و اللّه هو الموفق و المسدد.

الثالثه: و يبقى أن نشير هنا إلى أن من المقطوع به: أن النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) لا يريد أن يفتخر بقوله هنا: أنا ابن الذبيحين، و إنما لعله يريد من قوله هذا: أن يوجه الأنظار للإستفاده من هذين الحدثين الهامين جدا. و أيضا يريد أن يفهم الآخرين: أنه شخصيا ليس غريبا عن هذا الجو، و أنه إذا كان أولئک قد بلغوا هذه المكانه فى القرب من اللّه، و التفانى فى سبيله و التسليم له، فلا يجب أن يتوقع منه موقف آخر،

يختلف عن هذا، أو يقل عنه. و إذن؛ فإن آمالهم فى أن يقف موقف المساوم- فى يوم ما إنما هى سراب فى سراب؛ فإن القضيه قضيه مبدأ و عقيده، و ليست قضيه مصالح شخصيه، كما يتخيلون.

و قد اثبتت الوقائع صحه ذلک؛ حيث كان صلى الله عليه و آله وسلم يقدم أهل بيته فى الحروب، و قد ضحى بكل غال و نفيس فى سبيل هذا الدين.

الرابعه: إن نذر عبد المطلب هذا ربما يقال فيه: إنه غير جائز؛ إذ كيف جاز له التصرف فى شخصيه غيره إلى هذا الحد؟! و هل يمكن أن يعتقد أحد بوجوب الوفاء بنذر كهذا، يكون الضحيه فيه نفس محترمه أخرى، حتى و لو كانت ولدا مثل عبد اللّه بن عبد المطلب؟!.

و الجواب: إننا نلاحظ: أن عبد المطلب قد سار فى إيمانه سيرا تكامليا (1) كما أشار إليه الحلبى حيث قال: و رفض فى آخر عمره عباده الاصنام، و وحد اللّه سبحانه (2).

و بهذا نفسر كونه فى أول أمره يسمى أبناءه ب (عبد مناف) و مناف إسم صنم، و (عبد العزّى) و العزى كذلک. و لكنه يترقى و يتقدم حتى يبلغ به الأمر حدا من التسليم و الإيمان باللّه، أن أرعب إيمانه هذا أبرهه صاحب الفيل، كما يذكره المؤرخون.

و قد أشبه فى هذا الأمر نبى اللّه إبراهيم (عليه السلام) فإن ابراهيم على ما يظهر كان موحدا لإحساسه الوجدانى و الفطرى بوجود إله واحد قادر،1.

1- و هذا لا ينافى ما سيأتى إن شاء اللّه، من أن جميع آبائه كانوا مؤمنين موحّدين؛ فإن المهم هو وصولهم جميعا إلى درجه الإيمان و لو بصوره تكامليه وتدريجيه. إلا أن يقال: إنه لم يثبت تسميه أبنائه بعبد العزى، و عبد مناف. و لعلها أسماء قد لحقتهم بعد أن كبروا و ظهر شركهم باللّه و اهتمامهم بالعزى و بغيرها من الأصنام.
2- السيره الحلبيه: ج 1 ص 4، و السيره النبويه لدحلان (بهامش الحلبيه). ج 1 ص 21.

عالم حکیم إلخ .. و لکنه بعد أن بلغ سن الرشد أراد أن یدعم هذا الإیمان الوجدانی بالدلیل و البرهان؛ فدخل المختبر و جرب حتی وصل إلی النتیجه فَلَمَّا جَنَّ عَلَیْهِ اللَّیْلُ رَأی کَوْکَباً قالَ هذا رَبِّی، فَلَمَّا أَفَلَ قالَ: لا أُحِبُّ الْآفِلِینَ. فَلَمَّا رَأَی الْقَمَرَ بازِغاً قالَ هذا رَبِّی. فَلَمَّا أَفَلَ قالَ: لَئِنْ لَمْ یَهْدِنِی رَبِّی لَأَکُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّینَ. فَلَمَّا رَأَی الشَّمْسَ بازِغَهً قالَ هذا رَبِّی، هذا أَکْبَرُ. فَلَمَّا أَفَلَتْ قالَ: یا قَوْمِ إِنِّی بَرِی ءٌ مِمَّا تُشْرِکُونَ.

هذا إن قلنا: إن کلام إبراهیم کان علی سبیل الحقیقه و لیس علی سبیل الإستدراج.

و کذلک کان حال عبد المطلب، فلعله کان یعتقد باللّه الواحد القادر، الحکیم إلخ .. إستنادا إلی حکم الفطره و الوجدان. لکنه کان یحتمل اولا أن یکون لهذه الأصنام شأن و شفاعه (مّا) من دون أن یؤثر ذلک علی توحیده. ثم ترقی فی فهمه فأدرک أنها لا شی ء.

و الفرق بینه و بین إبراهیم فی السرعه و البطء. والا فإن إبراهیم لم یعرف اللّه بالوحی، و إلا لم یمکن إثبات نبوته.

هذا بالنسبه لإیمانه أما بالنسبه لسلوکه و مواقفه فإنهم یقولون عنه:

إنه کان یقطع ید السارق، و یمنع من طواف العراه، و یوفی بالنذر، و یؤمن بالمعاد، و یحرم الزنا، و الخمر، و نکاح المحارم، و کان یأمر ولده بترک الظلم و البغی، و یحثهم علی مکارم الأخلاق، و ینهاهم عن دنیات الأمور، و کان مجاب الدعوه و ترک الأصنام (1).

و قد ذکرت کتب التاریخ: أن بعض الأصنام قد کانت تماثیل7.

1- راجع: السیره الحلبیه ج 1 ص 4، و السیره النبویه لدحلان (مطبوع بهامش الحلبیه): ج 1 ص 21. و مسالک الحنفا ص 41، عن الملل و النحل للشهرستانی. و راجع: تاریخ الخمیس ج 1 ص 237.

لأشخاص من أهل الخير و الصلاح، فراجع كتاب الأصنام لابن الكلبى، و سيره ابن هشام و غير ذلک.

و عن النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم): يا على، إن عبد المطلب كان لا يستقسم بالأزلام، و لا يعبد الأصنام، و لا يأكل ما ذبح على النصب؛ و يقول: أنا على دين إبراهيم (عليه السلام) (1).

و قد بلغ الحد الإيمانى الأعلى بعد ولاده حفيده محمد (صلى اللّه عليه و آله و سلم) حيث سمع و رأى الكثير من العلامات الداله على نبوته صلى الله عليه و آله وسلم بأم عينيه. و شهد و عاين الكثير من الكرامات و الدلالات القطعيه فيه.

و بعد كل ما تقدم نقول: انه لا مانع من أن يكون اعتقاده أولا انه يرى لنفسه الحق فى تصرف كهذا، و نذر كهذا و لم يكن ذلک مستهجنا لدى العرف آنئذ.

أضف إلى ذلک: أنه لم يثبت عدم جواز نذر كهذا فى الشرايع السابقه. فقد نذرت امرأه عمران ما فى بطنها محررا لخدمه بيوت اللّه.

و أمر اللّه تعالى نبيه إبراهيم بذبح ولده إسماعيل.

النسخ فى قصه إبراهيم:

هذا، و قد ادعى البعض: أن قصه إبراهيم تدل على جواز النسخ قبل حضور وقت العمل.

و أجيب عن ذلک:

أولا: إن إبراهيم (عليه السلام) لم يؤمر بالذبح الذى هو فرى الأوداج، بل أمر بالمقدمات، كما يدل عليه قوله تعالى: قَدْ صَدَّقْتَ6.

1- البحار: ج 77 ص 56.

الرُّؤْيَا.

و لو كان ما فعله بعض المأمور به لكان مصدقا لبعض الرؤيا (1) فلا يصح قوله تعالى: قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيا.

و ثانيا: إن وقت الفعل حاضر؛ فإن إبراهيم قد شرع فى التنفيذ فعلا. فالنسخ لو سلم، فإنما هو قبل وقوع الفعل، لا قبل حضور وقت العمل.

و نقول: إن النسخ يمكن أن يكون مع كون الأمر بداعى الإمتحان أو غيره أولا، ثم يصدر أمر عن مصلحه واقعيه ثانيا فينسخه.

البداء عند الشيعه:

و يتفرع على مسأله النسخ مسأله البداء؛ التى هى موضع خلاف بين الشيعه و غيرهم، و قد صارت مصدرا للإفتراءات الكثيره على الشيعه.

و نحن نشير إلى توضيح هذه المسأله بما يسمح به المجال، فنقول:

قال آيه اللّه الحجه السيد عبد الحسين شرف الدين (رحمه اللّه):

(حاصل ما تقوله الشيعه هنا: ان اللّه عزوجل قد ينقص من الرزق، و قد يزيد فيه، و كذا الأجل، و الصحه و المرض، و السعاده و الشقاوه، و المحن و المصائب، و الإيمان و الكفر، و سائر الأشياء، كما يقتضيه قوله تعالى: يَمْحُوا اللَّهُ ما يَشاءُ وَ يُثْبِتُ وَ عِنْدَهُ أُمُّ الْكِتابِ (2).

و هذا مذهب عمر بن الخطاب، و أبى وائل، و قتاده. و قد رواه جابر عن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم). و كان كثير من السلف يدعون،9.

1- معالم الدين: ص 208، و راجع: البحار ج 12 ص 137، و مفاتيح الغيب، ج 25 ص 155.
2- الرعد 39.

و يتضرعون إلى اللّه أن يجعلهم سعداء لا أشقياء. و قد تواتر ذلک عن أئمتنا فى أدعيتهم المأثوره. و ورد فى السنن الكثيره: أن الصدقه على وجهها، و بر الوالدين، و اصطناع المعروف، يحول الشقاء سعاده، و يزيد فى العمر إلخ ...) (1).

نعم، هذا هو البداء الذى تعتقد به الشيعه تبعا لائمتهم (عليهم السلام).

و أما البداء بمعنى ظهور رأى جديد له تعالى بعد ان لم يكن يعلم به أولا، أو بمعنى ان يعمل تعالى عملا ثم يندم عليه، حيث ظهر له أن المصلحه كانت فى خلاف ذلک. أما البداء بهذا المعنى فهو محال على اللّه، و لم يقل به الشيعه أبدا. كيف؟! و هم أتباع أمير المؤمنين على (عليه السلام) منشئ نهج البلاغه المشحون بالمعانى التى يعجز العقل البشرى عن إدراكها؛ على الذى تعلم الناس منه و من أبنائه المعصومين تنزيه اللّه تعالى عن كل نقص. و أخذوا عنه أدق المعارف حول اللّه و صفاته سبحانه و تعالى ..

و قد نقل عن الصادق (عليه السلام) قوله: من زعم أن اللّه يبدو له فى شى ء، و لم يعلمه أمس، فابرؤوا منه (2).

و عنه (عليه السلام): من زعم أن اللّه بدا له فى شى ء بداء ندامه؛ فهو عندنا كافر باللّه العظيم (3).5.

1- أجوبه موسى جار اللّه ص 86/ 87. و قد ذكر مصادر ما أشار إليه ثمه؛ فراجع. و نظير ذلک ما قاله المجلسى أيضا، فراجع: سفينه البحار: ج 1 ص 62، و قد أوضحه أيضا بصوره جيده.
2- البحار: ج 4 ص 111، و الإعتقادات للصدوق، باب الإعتقاد بالبداء، و ميزان الحكمه ج 1 ص 389.
3- الإعتقادات للصدوق رحمه اللّه- باب الاعتقاد بالبداء، و راجع: هامش البحار:ج 4 ص 125.

التوضيح و التطبيق:

و توضيح ذلک: أن اللّه عز و جل يقدر لزيد من الناس مثلا رزقا معينا، أو عمرا معينا، بحسب ما تقتضيه طبيعته و سجيته، و استعداده الذاتى، و لكنه يعلم أنه سوف يتصدق فيكون ذلک سببا فى زياده رزقه المقدر له أولا بقطع النظر عن هذه الصدقه. أو سوف يبر بوالديه فيزيد عمره لذلک كذلک. و اللّه يعلم بذلک كله من أول الأمر.

و قد تقتضى المصلحه أن يطلع اللّه نبيه على المقتضى لوجود شى ء، من دون أن يطلعه على ما سوف يجد فى المستقبل له من الموانع، أو ما سوف يفقده من شرائط. فيخبر النبى الناس عنه على تلک الصفه.

ثم بعد ذلک يطلع تعالى النبى على انه يوجد مانع، أو أن المقتضى يحتاج إلى توفر شرائط و مناخات معينه مفقوده فعلا. مع علم اللّه سبحانه بكل ذلک أولا و آخرا؛ فإن للّه علما اختص به، و علما يطلع عليه نبيه أو يثبته فى لوح المحو و الإثبات، و قد أشار إلى هذين العلمين، فى قوله تعالى: يَمْحُوا اللَّهُ ما يَشاءُ وَ يُثْبِتُ وَ عِنْدَهُ أُمُّ الْكِتابِ فمثلا، لو بنينا بيتا، فإنه بحسب طبعه صالح للبقاء مئه سنه مثلا. و لكنه ربما ترد عليه عواصف، أو زلازل، أو سيول، أو نحوها؛ تمنع من بقائه هذه المده، و يتلاشى فى مده عشر سنوات مثلا.

فلو أخبرنا الناس: أن هذا البيت يبقى مئه سنه، مع علمنا بأنه سيتلاشى بسبب سيل يأتى من الناحيه الفلانيه يصل إليه بعد عشره أيام، ثم أخبرنا ثانيا بأن البيت سيهدم بعد عشره أيام؛ فإن كلا من الخبرين يكون صحيحا .. و قد يترتب على إخبارنا الأول مصلحه هامه لا غنى عن تحققها فى موطنها.

و قد يكون من هذا القبيل ما نجده يذكر فى علامات الإمام صاحب الزمان (عليه السلام) حيث قد نص الأئمه (عليهم السلام) على أن بعضها: من المحتوم، و سكتوا عن البعض الآخر؛ فلربما يتحقق الجميع، و لربما تفقد بعض الشرائط لبعضها أو توجد بعض الموانع عن تحقق بعضها، و يكون المخبر إنما أخبر عن السير الطبيعى للأمور بغض النظر عن العوارض و الطوارئ. و قد أوضحنا ذلک فى كتابنا دراسه فى علامات الظهور و الجزيره الخضراء، فراجع الفصل الثانى منه.

و يمكن أن تكون قضيه إبراهيم و إسماعيل الذبيح من هذا القبيل أيضا، حيث إنه تعالى- لمصلحه يراها، كالإمتحان و الإبتلاء، و غير ذلک مما تقدم- قد أمر نبيه إبراهيم بذبح ولده ثم فدا ذلک الذبيح بذبح عظيم.

و قد أخبر تعالى: إبراهيم بأنه قد صدق الرؤيا.

و لعل قضيه إسماعيل إبن الإمام جعفر الصادق عليه السلام، كانت من هذا القبيل، فقد اقتضت المصلحه أن تتوجه الأنظار نحو إسماعيل هذا، من أجل حفظ نفس الإمام الحق من الأخطار، ثم يموت إسماعيل، و يظهر أن الإمام الحقيقى هو أخوه موسى (عليه السلام).

إشكال .. و جوابه:

الإشكال: أن كلمه (بدا) معناها: ظهر (و ليس أظهر). و (بدا للّه) لا بد أن يكون معناه ظهر له الأمر و علم به بعد أن كان يجهله. و ذلک محال عليه تعالى كما قتلم. فكيف يمكن توجيه قوله (عليه السلام): (ما بدا للّه فى شى ء كما بدا له فى إسماعيل) و غير ذلک من كلمات عبرت ب (بدا له) أو (بدا للّه)؟!.

و الجواب: أن قوله تعالى: وَ نادَيْناهُ أَنْ يا إِبْراهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيا. ثم اعتبار قضيه إسماعيل إبن الإمام الصادق (عليه السلام)

و صرف القتل عنه مرتين بسبب دعاء أبيه (عليه السلام) من البداء، حيث روى عن الإمام الصادق (ع) قوله: ما بدا للّه فى شى ء كما بدا له فى إسماعيل (1)- إن ذلک- يشير إلى أن كلمه بدا لم تستعمل فى معنى الإظهار او الظهور. و إنما استعملت بمعنى: تحقيق ما علم فى عالم الكون و الوجود، نظير كلمه: (علم) فى قوله تعالى: ثُمَّ بَعَثْناهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصى لِما لَبِثُوا أَمَداً (2). و قوله تعالى: وَ لَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجاهِدِينَ مِنْكُمْ وَ الصَّابِرِينَ وَ نَبْلُوَا أَخْبارَكُمْ (3).

و قوله سبحانه: وَ ما جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِى كُنْتَ عَلَيْها إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلى عَقِبَيْهِ (4).

و المقصود: ليتحقق معلومنا، و يتجسد فى عالم الوجود. هذا بالنسبه للتعبير ب (علم).

و كلمه بدا، أيضا كذلک؛ فبداله، أى تحقق ما علمه فى الخارج و على صفحه الكون. و لعل قوله تعالى: وَ بَدا لَهُمْ سَيِّئاتُ ما كَسَبُوا (5)، قد استعمل فى هذا المعنى أيضا: أى تحقق ذلک و تجسد فى الخارج.

و لعل هذا المعنى أقرب من حمل (بدا) على معنى: أظهر للغير، لأن هذا المعنى لا يناسب التعديه باللام لنفس الذات الإلهيه. فلا يصح أن يقال: بدا للّه، و يكون المعنى: أظهر للغير. بل هذا غلط ظاهر.8.

1- سفينه البحار: ج 1 ص 62.
2- الكهف: 12.
3- محمد: 31.
4- البقره: 143.
5- الزمر: 48.

اليهود، و البداء:

و بعد، فلو أننا لم نقل بالبداء، لكنا مثل اليهود الذين نعى اللّه عليهم اعتقادهم الفاسد، حيث أنكروا البداء. و قالوا: إن اللّه قدر الأرزاق و الأشياء منذ الأزل، و لا تغيير و لا تبديل فيما قدر، فقد (جف القلم).

و قد قال تعالى مقبحا قولهم هذا: وَ قالَتِ الْيَهُودُ: يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ، غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ، وَ لُعِنُوا بِما قالُوا، بَلْ يَداهُ مَبْسُوطَتانِ، يُنْفِقُ كَيْفَ يَشاءُ (1).

و قال الشهرستانى عن اليهود: (و لم يجيزوا النسخ أصلا قالوا: فلا يكون بعده شريعه أصلا؛ لأن النسخ فى الأوامر بداء و لا يجوز البداء على اللّه تعالى) (2).

فالإعتقاد بالبداء ضروره إسلاميه و عقيديه، و من لوازم و مقتضيات تنزيه اللّه و توحيده. و هو كذلک منسجم مع مفاد الآيات القرآنيه، و الأحاديث الشريفه.

و عن الصادق و الباقر (عليهما السلام)، قال: ما عبد اللّه تعالى بشى ء مثل البداء (3).

هذا و قد أورد المجلسى (رحمه اللّه) للبداء حكما جليله، و فوائد جميله: فليراجعها من أراد (4).2.

1- سوره المائده: 64.
2- الملل و النحل: ج 1 ص 211.
3- سفينه البحار: ج 1 ص 61.
4- سفينه البحار ج 1 ص 62.

ص: 61

ص: 62

الفصل الثانی: عهد الطفوله

اشاره

نسب النبی «صلی اللّه علیه و آله و سلم»:

هو أبو القاسم محمد (صلی اللّه علیه و آله و سلم)، بن عبد اللّه، بن عبد المطلب، شیبه الحمد، بن هاشم، بن عبد مناف، بن قصی، بن کلاب بن مره، بن کعب، بن لؤی، بن غالب، بن فهر، بن مالک، بن نضر، بن کنانه، بن خزیمه، بن مدرکه، بن إلیاس، بن مضر، بن نزار، بن معد، بن عدنان.

قالوا: إن هذا هو المتفق علیه من نسبه الشریف، أما ما فوقه ففیه اختلاف کثیر، غیر أن مما لا شک فیه هو أن نسب عدنان ینتهی إلی اسماعیل (علیه السلام).

و قد روی أنه صلی الله علیه و آله وسلم قال: (إذا بلغ نسبی إلی عدنان فأمسکوا) (1).

و نحن نمسک هنا إمتثالا لأمره صلی الله علیه و آله وسلم .

و أمه (صلی اللّه علیه و آله و سلم): هی آمنه بنت سید بنی زهره، وهب بن عبد مناف، بن زهره، بن کلاب.5.

1- کشف الغمه للإربلی ج 1 ص 15.

مولد النبی صلی الله علیه و آله وسلم :

ولد النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) بمکه عام الفیل علی المشهور (1). أی قبل البعثه بأربعین سنه.

و المشهور عند الإمامیه و بعض من غیرهم أنه ولد فی السابع عشر من شهر ربیع الأول. و المشهور عند غیرهم و وافقهم الکلینی: أنه ولد لاثنتی عشره لیله خلت منه (2). و ثمه أقوال أخر لا مجال لذکرها.

و نصّ الطبرسی، و الکلینی علی أنه صلی الله علیه و آله وسلم قد ولد فی یوم الجمعه، و عند غیر الإمامیه: أنه ولد فی یوم الاثنین. و ورد: أن أمه قد حملت به فی أیام التشریق. و هی الحادی عشر، و الثانی عشر و الثالث عشر من ذی الحجه (3).

و لا یخلو ذلک من إشکال، لأنها إن کانت ولدته فی تلک السنه، فإن حملها به صلی الله علیه و آله وسلم یکون ثلاثه أشهر، و تزید قلیلا، و إن کانت ولدته فی السنه الثانیه، فمده حمله تکون خمسه عشر شهرا، مع أن أقل مده الحمل سته أشهر، و أقصاها سنه عند المشهور من الإمامیه.

و أجیب: بأن ذلک مبنی علی النسی ء فی الأشهر الحرم عند العرب، فإنهم کانوا یقولون مثلا: إن الأشهر الحرم توضع بعد أربعه أشهر مثلا، ثم یستحلون القتال فی نفس الأشهر التی رفع الإعتبار عنها.

ولکن إن لم نقل بأن الحمل به (صلی اللّه علیه و آله و سلم) أربعه أشهر قد کان من خصوصیاته صلی الله علیه و آله وسلم فلا یمکننا قبول تلک الروایه حتی و لو صح6.

1- راجع: سیره مغلطای ص 6/ 7 و تاریخ الخمیس ج 1 ص 195، و غیر ذلک و حکی الاتفاق علیه.
2- أصول الکافی ج 1 ص 364 ط المکتبه الإسلامیه بطهران سنه 1388.
3- أصول الکافی ج 1 ص 364، و لیراجع: تاریخ الخمیس ج 1 ص 196.

سندها، و ذلک لأن کون تلک الروایه وارده بناء علی أشهر النسبی ء یحتاج إلی إثبات. إذ لم نعهد فی تعبیرات المعصومین بناء کلامهم علی النسی ء، الذی هو زیاده فی الکفر، کما لم نعهد ذلک فی کلمات المحدثین و المؤرخین. و لا سیما مع عدم نصب قرینه علی ذلک.

تعقیب هام و ضروری:

لقد قال الإربلی (رحمه اللّه)، بعد أن أشار إلی الإختلاف فی تاریخ ولادته صلی الله علیه و آله وسلم : (إن اختلافهم فی یوم ولادته سهل؛ إذ لم یکونوا عارفین به، و بما یکون منه، و کانوا أمیین لا یعرفون ضبط مواليد أبنائهم. فأما اختلافهم فی موته، فعجیب. و الأعجب من هذا مع اختلافهم فی الأذان و الإقامه، بل اختلافهم فی موته أعجب؛ فإن الأذان ربما ادّعی کل قوم أنهم رووا فیه روایه، فأما موته فیجب أن یکون معینا معلوما) (1).

و کلام الإربلی (رحمه اللّه) ظاهر المأخذ؛ فهو یقول: إن اختلافهم فی تاریخ ولاده النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) ربما تکون له مبرراته، و لکنّ ما یثیر الدهشه حقا هو اختلافهم فی یوم وفاته (صلی اللّه علیه و آله و سلم)، مع أنهم کانوا قد عرفوا فیه (صلی اللّه علیه و آله و سلم) المنقذ و المخرج لهم من الظلمات إلی النور، و من الموت إلی الحیاه، مع عدم وجود هوی سیاسی أو مذهبی یقتضی إبهام ذلک، أو إجماله، أو التلاعب فیه.

و أغرب من ذلک کله، هو اختلافهم فی الکثیر الکثیر من الأمور التی کانوا یمارسونها مع النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) عده مرات یومیا، طیله سنین عدیده، حتی إنک لتجدهم یروون المتناقضات عنه (صلی اللّه علیه و آله و سلم) فی أفعال الوضوء و الصلاه، و هم کانوا یؤدونها معه (صلی5.

1- کشف الغمه ج 1 ص 15.

اللّه علیه و آله و سلم) خمس مرات فی کل یوم. بل قد تجد بعضهم یقول:

إنهم إنما کانوا یعرفون أنه (صلی اللّه علیه و آله و سلم) یقرأ فی صلاه الظهر و العصر، من اضطراب لحیته (1).

أمّا اختلافهم فی الأذان الذی کانوا یتربّون علی سماعه منذ صغرهم؛ فذلک ظاهر أیضا، کما أشار إلیه الإربلی (رحمه اللّه).

و إذن .. فما هو مدی معرفتهم بتلک الأحکام التی یقل الإبتلاء بها، و التعرض لها عاده یا تری؟!.

و أیضا .. هل یصح اعتبار أقوال هؤلاء و افعالهم سنه ماضیه، و شریعه متبعه،- کما هو عند بعض الفرق الإسلامیه- بل تجد بعضهم ربما یرد الحدیث الصحیح لقول صحابی، أو لقول حاکم. إن ذلک لعجیب! و أی عجیب!!

و إذا کانوا یختلفون حتی فی مثل هذه الامور؛ فهل یعقل بعد هذا أن یصح قول البعض: إنه (صلی اللّه علیه و آله و سلم) قد ترک الأمه هکذا هملا، بلا قائد و لا رائد؟ و لا معلم، و لا مرشد؟ علی اعتبار أن الأمه تکون مستغنیه عن الهدایه و الرعایه؟!.

و هذا موضوع هام جدا یحتاج إلی بحث و تمحیص بصوره مفصله.

قصه کاذبه:

و قد روی عن عبد اللّه بن عباس، أنه قال: سمعت أبی العباس7.

1- صحیح البخاری ط سنه 1309 ه ج 1 ص 90 و 93، و مسند أحمد بن حنبل ج 6 ص 395 و ج 5 ص 209 و 182 و 112 و جواهر الأخبار و الآثار (مطبوع بهامش البحر الزخار): ج 2 ص 247 عن الانتصار، و أبی داود، و الترمذی، و النسائی، و البخاری و السنن الکبری للبیهقی ج 2 ص 37 و 54 عن الصحیحین و البحر الزخار ج 2 ص 247.

يحدّث، قال: ولد لأبی عبد المطلب عبد اللّه فرأينا فی وجهه نورا يظهر كنور الشمس، فقال أبی: إن لهذا الغلام شأنا عظيما.

قال: فرأيت فی منامی أنه خرج من منخره طائر أبيض .. إلی أن قال: فلما انتبهت، سألت كاهنه من بنی مخزوم، فقالت: يا عباس، لئن صدقت رؤياک ليخرجنّ من صلبه ولد يصير أهل المشرق و المغرب تبعا له.

إلی أن قال: فلما مات عبد اللّه، و ولدت آمنه رسول اللّه (صلی اللّه عليه و آله و سلم) أتيته، و رأيت النور بين عينيه يزهر، فحملته، و تفرست فی وجهه ..

ثم تذكر الروايه ما رأته آمنه، ثم تقول: فهذا ما رأيت يا عباس.

قال- يعنی العباس-: و أنا يومئذ أقرأ، و كشفت عن ثوبه، فإذا خاتم النبوه بين كتفيه، فلم أزل أكتم شأنه و أنسيت الحديث، فلم أذكره إلی يوم إسلامی، حتی ذكرنی رسول اللّه (صلی اللّه عليه و آله و سلم) (1).

و أقول: إن هذا الحديث لا يصح، لأن العباس كان أكبر من النبی (صلی اللّه عليه و آله و سلم) بسنتين (2)، فكيف يكون قد حضر ولاده أبيه عبد اللّه، و رأی ذلک المنام ثم ذهب إلی الكاهنه، ثم حين ولاده الرسول و أخذه و حمله إلخ ..

هذا بالإضافه إلی أن نسيانه لهذا الأمر الخطير جدا هو الآخر غير معقول.

و لو سلمنا أنه نسيه، فكيف لا يذكره حين بعثه الرسول (صلی اللّه عليه و آله و سلم)، و يبادر إلی التصديق به، و إعلان إسلامه. بل يتأخر فی1.

1- روضه الواعظين ص 64/ 65.
2- الإصابه ج 2 ص 271.

ذلک هذه السنین الطویله، بل إلی عام الفتح کما یقولون.

و الحقیقه هی أنهم یریدون من أمثال هذه الحکایات اثبات فضائل للعباس (رحمه اللّه)، مثل کونه أول من أسلم، بل أسلم قبل ولاده النبی نفسه، و ما إلی ذلک.

مصیر الدار التی ولد فیها النبی صلی الله علیه و آله وسلم :

و کانت ولادته (صلی اللّه علیه و آله و سلم)، فی شعب بنی هاشم؛ أو شعب أبی طالب، فی الدار التی اشتراها محمّد بن یوسف، أخو الحجاج من ورثه عقیل بن أبی طالب (رحمه اللّه) تعالی بمائه ألف دینار.

ثم صیرتها الخیزران أم الرشید مسجدا، یصلی فیه الناس (1) و یزورونه، و یتبرکون به. و بقی علی حالته تلک، فلما: (أخذ الوهابیون مکه فی عصرنا هذا هدموه، و منعوا من زیارته، علی عادتهم فی المنع من التبرک بآثار الأنبیاء و الصالحین، و جعلوه مربطا للدّواب) (2).

رضاعه «صلی اللّه علیه و آله و سلم»:

و یقولون إن أمه (صلی اللّه علیه و آله و سلم) قد أرضعته یومین أو ثلاثه، ثم أرضعته ثویبه مولاه أبی لهب أیاما (3).

ثم قدمت حلیمه السعدیه رحمها اللّه مکه مع رفیقات لها، بحثا عنی.

1- أصول الکافی: ج 1 ص 264. و قیل: إن زبیده قد فعلت ذلک. راجع التبرک: ص 243 و 255، و راجع تاریخ الخمیس ج 1 ص 198 و راجع أیضا الروض الأنف ج 1 ص 184 و المواهب اللدنیه ج 1 ص 25، و تاریخ الأمم و الملوک: ج 1 ص 571، و الکامل فی التاریخ: ج 1 ص 458 و أخبار مکه للأزرقی ج 1 ص 433.
2- أعیان الشیعه ج 2 ص 7.
3- قاموس الرجال ج 10 ص 417 ترجمه ثویبه، عن البلاذری.

ولد ترضعه؛ لتستفيد من رعايه أهله، و معوناتهم؛ فعرض (صلى اللّه عليه و آله و سلم) عليها، فرفضته- فى بادى ء الامر- ليتمه. ولكنها عادت، فقبلته، حيث لم تجد غيره، فرأت فيه كل خير و بركه؛ فأرضعته سنتين.

ثم أعادته إلى أهله، و هو ابن خمس سنين و يومين- كما يقولون- ليكون فى كفاله جده عبد المطلب، ثم عمه أبى طالب.

و يقول العلامه المحقق السيد مهدى الروحانى: إن قولهم: إنها رفضته فى أول الأمر ليتمه إنما يصح بالنسبه ليتيم ضائع، لا أهميه له. و أما بالنسبه لمحمد (صلى اللّه عليه و آله و سلم) فإن كافله عبد المطلب سيد هذا الوادى. و أمه آمنه بنت وهب، من أشراف مكه. بل ثمه من يقول: إنه لم يكن حينئذ يتيما، و إن أباه قد توفى بعد ولادته بعده أشهر، قيل: ثمانيه و عشرين شهرا. و قيل: سبعه أشهر. (1) انتهى كلامه.

لماذا الرضاع فى الباديه؟!:

و على كل حال فقد كان إرسال الأطفال إلى الباديه للرضاع، هو عاده أشراف مكه، حيث يرون أن بذلك ينشأ أطفالهم: أصح أبدانا، و أفصح لسانا، و أقوى جنانا، و أصفى فكرا و قريحه، و هى نظره صحيحه و سليمه، و ذلك لما يلى:

أما كونهم:

1- أصح ابدانا، فلأنهم يعيشون فى الهواء الطلق، و يواجهون مصاعب الطبيعه فتصير لديهم مناعه طبيعيه تجاه مختلف المتغيرات، فى مختلف الظروف.

2- و كونهم أفصح لسانا، من حيث إنهم يقلّ اختلاطهم بأهل6.

1- صفه الصفوه ج 1 ص 51 و كشف الغمه للإربلى ج 1 ص 16.

الأقطار الأخرى، من الأمم الأخرى، على العكس من سكان المدن، و لا سيما مكه، التى كانت تقيم علاقات تجاريه بينها و بين سائر الأقطار و الأمم. و لها رحلتا الشتاء و الصيف، إلى البلاد التى تتاخم البلاد الاجنبيه، التى لا يبعد تأثرها بها- قليلا كان ذلک أو كثيرا-.

3- و كونهم أقوى جنانا، لما قدّمناه فى مطاوى كلماتنا فى الفصل الأول.

4- و أما أنهم أصفى فكرا و قريحه، فهو حيث يبتعد الإنسان حينئذ عن هموم المدينه، و عن علاقاتها المعقده و المرهقه، حيث لا يواجه فى الباديه إلا العيش الساذج و البسيط، و الحياه على طبيعتها. و لا يتأثر فكره و عقله، بالمفاهيم و الأفكار التى تفرضها تلک الحياه المثقله بالعلاقات المنحرفه، ثم هو يجد الفرصه للتأمل و التفكير و التعرف على أسرار الطبيعه و الكون، و لو فى حدود عالمه الناشى ء المحدود، و مداركه الناشئه أيضا.

و ليكون من ثم ذا فكر مبدع خلاق، و قريحه صافيه و غنيه.

و لكن بشرط عدم الإستمرار فى هذه الحياه طويلا؛ فإن الإستمرار فى حياه الباديه من شأنه أن يجعل الإنسان يعانى من الجمود و الإنغلاق، ثم هو يكّون لنفسه مفاهيم و أفكارا؛ يحوّلها الزمن إلى حقائق لا تقبل الجدل عنده، و يصير من الصعب عليه قبول أى رأى آخر يسير فى غير اتجاه قناعاته و أفكاره، فإن تدرّب الإنسان على أن يسمع النقد و المخالفه فى الرأى يبعده عن الإستبداد الفكرى، و يجعله يبحث عن الدليل، و المبرر لكل فكره لديه. و إلا؛ فإنه يصير على استعداد للتخلى عنها إلى غيرها مما يستطيع أن يدافع عنه و يستدل عليه. و هذا أمر طبيعى يعرفه الإنسان بالمشاهده، و يستدل عليه بالتقصّى و التجربه.

أخوا النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» من الرضاعه:

و يقال: إن أبا سلمه كان أخا للنبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) من الرضاعه، و أخوهما منها أيضا حمزه بن عبد المطلب، أرضعتهم ثويبه، مولاه أبى لهب بلبن ولدها مسروح (1) و قد تقدم: قولهم: إن ثوبيه قد أرضعت النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) أياما. و نحن نشک فى ذلک، و لا بدّ لنا فى مجال توضيح ذلک من التوسع فى البحث نسبيا فنقول:

رضاع ثويبه للرسول «صلى اللّه عليه و آله و سلم» لا يصح:

إننا نشک فى أن تكون ثويبه قد أرضعت هؤلاء، و لا سيما رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم)، و شكنا فى ذلک ناشى ء عن الأمور التاليه:

أولا: تناقض الروايات، و يكفى أن نذكر:

بالنسبه للمده التى أرضعتها رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم)،6.

1- راجع: أسد الغابه ج 3 ص 95 و ج 2 ص 46 و البدء و التاريخ ج 5 ص 8 و تاريخ اليعقوبى ج 2 ص 9، و بهجه المحافل ج 1 ص 41 و طبقات ابن سعد ج 1 قسم 1 ص 67 و الإصابه ج 4 ص 258 و ج 2 ص 335 عن الصحيحين، و الاستيعاب بهامشها ج 2 ص 338 و ج 1 ص 16 و 271 و البحار ج 15 ص 384 عن المنتقى للكازرونى، و قاموس الرجال ج 10 ص 417 و الكامل لابن الأثير ج 1 ص 459 و السيره النبويه لابن كثير ج 3 ص 172 و البدايه و النهايه ج 4 ص 90 و تاريخ الإسلام للذهبى ج 2 ص 18 و 19 و قسم المغازى ص 209 و تاريخ الخميس ج 1 ص 222 و الوفاء ج 1 ص 107 و تاريخ ابن الوردى ج 1 ص 131 و دلائل النبوه لأبى نعيم ص 113 و صفه الصفوه ج 1 ص 56 و 57 و زاد المعاد ج 1 ص 19 و ذخائر العقبى ص 259 و 172 و اعلام الورى ص 6 و كشف الغمه ج 1 ص 15 و الأنس الجليل ج 1 ص 176 و أنساب الأشراف (قسم السيره) ص 94 و السيره الحلبيه ج 3 ص 164 و فى الروض الأنف: ج 1 ص 186 لكن فيه بدل أبى سلمه. عبد اللّه بن جحش و راجع: المعجم الصغير ج 2 ص 86.

نجد: بعضها يقول: أرضعته أياما (1) من دون تحديد، و بعضها يقول:

أربعه أشهر تقريبا (2).

و فی حين نجد بعضها يقول: إن أمه أرضعته ثلاثه أيام (3).

و قيل: سبعه (4).

و قيل: تسعه (5).

(و لعل أحدهما تصحيف للآخر، بسبب عدم النقط فی تلک العصور، و تشابه رسم الكلمتين).

و قيل: سبعه أشهر (6).

و بعضهم لم يحدد مده إرضاعها له (صلی اللّه عليه و آله و سلم) (7).

نعم، إننا فی حين نجدهم يقولون ذلک كله بالنسبه لإرضاع أمّه له، فإننا نجدهم يذكرون: أن حليمه السعديه أرضعته (صلی اللّه عليه و آله3.

1- الإصابه ج 4 ص 258 و البحار ج 15 ص 337، و فی هامشه عن المناقب ج 1 ص 119 و كشف الغمه ج 1 ص 15 و نور الأبصار ص 10 و تهذيب الأسماء ج 1 ص 24 و طبقات ابن سعد ج 1 قسم 1 ص 67 و الوفاء ج 1 ص 107 و 106 و الأنس الجليل ج 1 ص 176 و صفه الصفوه ج 1 ص 56 و 57 و زاد المعاد ج 1 ص 19 و تاريخ الخميس ج 1 ص 222 و السيره الحلبيه ج 1 ص 88 و الرصف ج 1 ص 22.
2- تاريخ الخميس ج 1 ص 222 عن شواهد النبوه.
3- تاريخ الخميس ج 1 ص 222 و السيره الحلبيه ج 1 ص 88 و نور الأبصار ص 10.
4- تاريخ الخميس ج 1 ص 222 و نور الأبصار ص 10.
5- السيره الحلبيه ج 1 ص 88.
6- السيره الحلبيه ج 1 ص 88 عن الإمتاع.
7- راجع: تاريخ اليعقوبی ج 2 ص 9 و إسعاف الراغبين بهامش نور الأبصار ص 8 و تاريخ ابن الوردی ج 1 ص 113.

و سلم)؛ بعد سبعه أيام من مولده فقط (1) من دون تحديد من أرضعه مده الأيام السبعه نفسها، مع العلم: أنه بعد إرضاع حليمه له، لم يرتضع من غيرها، و إذا كانت أمه قد أرضعته فيها، فمتى أرضعته ثويبه يا ترى؟!.

و من جهه أخرى: فإن البعض يصرح بأن أول من أرضعته ثويبه (2).

و بعضهم يصرح بأن أمه أول من أرضعته (3).

ب- تناقض الروايات فى وقت عتق ثويبه، هل كان ذلک حينما بشرت أبا لهب بولادته (صلى اللّه عليه و آله و سلم) فأعتقها فأرضعته، أو كان بعد حوالى خمسين سنه، قبيل الهجره، أو بعدها. كما سيأتى إن شاء اللّه تعالى؟!.

و ثانيا: لقد ذكرت الروايه: أن ثويبه، قد أرضعت النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) و أرضعت معه حمزه، و أبا سلمه بلبن ولدها مسروح.

و نقول: إن ذلک لا يكاد يصح، لأن حمزه كان أكبر من النبى (صليل.

1- مختصر التاريخ لابن الكازرونى ص 38.
2- راجع: الأنس الجليل ج 1 ص 176 و صفه الصفوه ج 1 ص 56/ 57 و دلائل النبوه، لأبى نعيم ص 113 و الكامل فى التاريخ ج 1 ص 459 و طبقات ابن سعد ج 1 قسم 1 ص 67 و أنساب الأشراف ج 1 (قسم حياه النبى صلى اللّه عليه و آله) ص 94 و البحار ج 15 ص 384 عن المنتقى للكازرونى، و البدء و التاريخ ج 5 ص 8 و الإصابه ج 4 ص 258 و الوفاء ج 1 ص 106 و السيره الحلبيه ج 1 ص 88 و 85 و ذكر عن ابن المحدث: ان أوّل لبن نزل جوفه صلى اللّه عليه و آله، هو لبن ثويبه.
3- راجع: السيره الحلبيه ج 1 ص 88 عن الامتاع، و احتمل الحلبى: أن يكون المراد: أن ثويبه أوّل من أرضعه بعد أمه، و لكن قول ابن المحدث، أول لبن نزل جوفه صلى اللّه عليه و آله هو لبن ثويبه لا يناسب هذا الاحتمال.

اللّه علیه و آله و سلم) بأربع سنین (1) و قیل: کان أکبر منه بسنتین (2).

و حتی علی هذا القول الثانی، فإنه یبعد أن یکونا أخوین من الرضاعه بلبن مسروح.

و أما إذا أخذنا بالقول الأول، فإن القضیه تصبح أکثر إشکالا، و أبعد منالا.

مع أبی عمر فی ترجیحه للقول الثانی:

و یلاحظ، أن أبا عمر قد رفض القول الأول، و رجح الثانی، إستنادا إلی قضیه الإرضاع، ثم استدرک علی ذلک، قائلا: (إلا أن یکون أرضعتهما فی زمانین) (3).

و لکنه کلام لا یصح، لأن ما ذکره لیس بأولی من العکس، بحیث تکون زیاده عمره أربع سنین دلیلا علی عدم صحه إرضاع ثویبه له بلبن مسروح.

و أما استدراکه المذکور، فیبعده: أن الروایه تقول: إنهما معا قد1.

1- اعلام الوری ص 7 و کشف الغمه ج 1 ص 15 و تهذیب الأسماء ج 1 ص 168، بلفظ، قیل: و أنساب الأشراف ج 1 (قسم حیاه النبی صلی اللّه علیه و آله) ص 84 و 79 و ذخائر العقبی ص 172 و السیره الحلبیه ج 1 ص 85 و الإصابه ج 1 ص 354 کلاهما بلفظ قیل. و الاستیعاب بهامش الإصابه ج 1 ص 271 و أسد الغابه ج 2 ص 46 و 49، بلفظ قیل: أیضا.
2- تهذیب الأسماء ج 1 ص 168 و الإصابه ج 1 ص 354 و الاستیعاب بهامشه ج 1 ص 271 عن البکائی و اختاره فی أسد الغابه ج 2 ص 46 و 49 و السیره الحلبیه ج 1 ص 85 و ذخائر العقبی ص 172 بلفظ: قیل.
3- الاستیعاب بهامش الإصابه ج 1 ص 271.

رضعا بلبن مسروح (1)، فلا يصح: أن يكون رضاعهما فی زمانين.

توجيه غير وجيه:

و حاول محبّ الدين أحمد بن عبد اللّه الطبری توجيه ذلک بأنه:

يمكن أن تكون أرضعت حمزه فی آخر سنّيه، فی أول رضاع ابنها، و أرضعت النبی (صلی اللّه عليه و آله و سلم) فی أول سنّيه، فی آخر رضاع ابنها؛ فيكون أكبر بأربع سنين (2).

و نقول: إن ذلک، و إن كان ممكنا فی نفسه، ولكنه أمر بعيد الوقوع عاده، كما أن ذلک لا يلائم: أن تكون قد أرضعته أربعه أشهر، حسب ما تقدم عن بعض الروايات. و يزيده بعدا: أننا نجد فی بعض النصوص ما يفيد: أن حمزه كان حين قضيه وفاء أبيه عبد المطلب بنذره بذبح أحد ولده؛ كبيرا، و راشدا.

بيان ذلک:

أن عبد المطلب رضوان اللّه تعالی عليه، كان قد نذر: لئن ولد له عشره نفر، ثم بلغوا معه، حتی يمنعوه، ليذبحنّ أحدهم للّه، عند الكعبه.

فلما تكامل بنوه عشره، و عرف أنهم سيمنعونه، و هم:

الحارث، و الزبير، و حجل، و ضرار، و المقوم، و أبولهب، و العباس، و حمزه و أبو طالب، و عبد اللّه، جمعهم، ثم أخبرهم بنذره.2.

1- راجع فی ذلک: ذخائر العقبی ص 172 و 259 و الوفاء ج 1 ص 107 و بهجه المحافل ج 1 ص 41 و زاد المعاد ج 1 ص 19 و تاريخ ابن الوردی ج 1 ص 231 و إن كان ربما يناقش فی ظهور كلامه. و راجع: طبقات ابن سعد ج 1 قسم 1 ص 67 و الاستيعاب بهامش الإصابه ج 1 ص 16 و السيره الحلبيه ج 1 ص 85 و 86.
2- ذخائر العقبی ص 172.

إلى أن تذكر الروايه: أنه أقرع بينهم ف: (خرج القدح على ابنه عبد اللّه، و كان أصغر ولده، و أحبهم إليه، فأخذ عبد المطلب بيد ابنه عبد اللّه، و أخذ الشفره الخ).

ثم تذكر الروايه: أن العباس هو الذى اجتذب عبد اللّه من تحت رجل ابيه، فراجع (1).

مناقشه غير موفقه:

و ناقشوا فى هذه الروايه: بأن العباس إنما كان يكبر النبى بثلاث سنوات فقط، فقد روى عن العباس نفسه، أنه قال:

أذكر مولد رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلم، و أنا ابن ثلاثه أعوام، أو نحوها، فجى ء به حتى نظرت إليه، فجعلت النسوه يقلن لى:

قبّل أخاک، فقبلته (2).

و لكن الإيراد بما ذكر، ليس بأولى من العكس؛ فإن من الممكن أن تكون روايه ابن إسحاق هى الصحيحه، و أما روايه: أن العباس كان يكبر النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) بثلاث سنين فقط، فلعلها هى الموضوعه لأهداف سياسيه من قبل العباسيين فى ما بعد.6.

1- راجع البدايه و النهايه ج 2 ص 248 و السيره النبويه لابن كثير ج 1 ص 174 و السيره النبويه لابن هشام ج 1 ص 160 و راجع: السيره الحلبيه ج 1 ص 36 و فى السيره النبويه لدحلان ج 1 ص 15 و إن كان لم يذكر: أن عبد اللّه كان أصغر ولده، و لكنه ذكر حمزه و العباس فى جمله أولاد عبد المطلب حين قضيه الذبح .. و ذكر فى الكامل لابن الأثير ج 2 ص 6 و تاريخ الأمم و الملوک ج 2 ص 4 ط الاستقامه: ان عبد اللّه كان أصغر ولده، و أحبهم، لكنه لم يسم أولاد عبد المطلب ..
2- راجع: السيره الحلبيه ج 1 ص 36 و شرح بهجه المحافل ج 1 ص 35 و الروض الأنف ج 1 ص 176.

و يؤكد ذلک: أن ابن إسحاق حجه فى السيره النبويه، غير مدافع (1)، فلا يرد قوله؛ إستناد إلى روايه يحتمل فى حقها ما ذكرناه.

و إذن، فقد يكون عمر حمزه و العباس، حين قضيه الذبح حوالى ثمان إلى عشر سنين، يضاف إليها خمس سنوات كانت بين قصه الذبح، و بين ولاده رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلم (2)، و يصير المجموع حوالى ثلاثه عشر إلى خمسه عشر من السنين تقريبا.

و هذا الذى ذكرناه من الإشكال، دفع البعض إلى أن يقول: إنها أرضعت حمزه قبل رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلم و أرضعت بعده أبا سلمه (3).

و لكن يرد عليه: أن تصريح الروايه، بأنها أرضعتهم جميعا بلبن ابنها مسروح يأبى هذا المجمع التبرعى، الذى لا يستند إلى أى دليل.

إلا أن يكون مراده ما تقدم عن محب الدين أحمد بن عبد اللّه الطبرى: بأن تكون قد أرضعت حمزه فى أواخر سنيه، فى آخر رضاع ابنها.7.

1- و فى غير السيره أيضا؛ فراجع: تهذيب التهذيب ج 9 ص 39- 46 ترجمه: ابن إسحاق.
2- فى أنساب الأشراف ج 1 (قسم حياه النبى صلى اللّه عليه و آله) ص 79: قال الواقدى: كان نحر الإبل قبل الفيل بخمس سنين.
3- الأنس الجليل ج 1 ص 176 و راجع: صفه الصفوه ج 1 ص 56/ 57 و اعلام الورى ص 6 و كشف الغمه ج 1 ص 15 و الكامل فى التاريخ ج 1 ص 459 و طبقات ابن سعد ج 1 ص 67 و أنساب الأشراف ج 1 ص 94 قسم حياه النبى صلى اللّه عليه و آله و البحار ج 15 ص 384 عن المنتقى للكازرونى و تاريخ الخميس ج 1 ص 222 و دلائل النبوه لأبى نعيم ص 113 و الإصابه ج 4 ص 258 و الاستيعاب بهامش الإصابه ج 2 ص 338 و أسد الغابه ج 3 ص 195 و السيره الحلبيه ج 1 ص 85 و 87 و قاموس الرجال ج 10 ص 417.

و لكنه بناء على ما قدمناه، من أن من الممكن أن يكون حمزه كان يكبر النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) بحوالى عقد من الزمن، لا يصح حتى بناء على قول الطبرى هذا.

عدد أولاد عبد المطلب:

بقى علينا أن نشير إلى المناقشه، التى تقول: إن أولاد عبد المطلب، كانوا ثلاثه عشر، و أن حمزه و العباس قد ولدا فيما بعد.

فإنها مناقشه مردوده، لأن (حجلا) هو فى الحقيقه لقب للغيداق، و (المقوم) لقب لعبد الكعبه، أما قثم فلا وجود له أصلا، حسبما ذكره البعض (1).

و أخيرا، فإننا نشير إلى أن اليعقوبى ينص على أن عده أولاد عبد المطلب: عشره، ولكنه حينما يعدّ، أسماءهم، يذكر إسم أحد عشر رجلا (2).

إلا أن يكون قد ذكر لواحد منهم كلّا من إسمه و لقبه، حتى بدا أنهما إثنان، مع أنهما لواحد.

أبو لهب و عتق ثويبه:

و يبقى أن نشير إلى أنهم يقولون- حسبما تقدم-: أنه لما ولد رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلم، جاءت ثويبه إلى مولاها أبى لهب، فبشرته بولادته صلى اللّه عليه و آله و سلم. فأعتقها، فأرضعت النبى صلى اللّه عليه و آله و سلم، بلبن ولدها مسروح.2.

1- السيره النبويه لدحلان ج 1 ص 16 و راجع، الاستيعاب بهامش الإصابه ج 1 ص 272.
2- تاريخ اليعقوبى ج 2 ص 11 و راجع، الاستيعاب بهامش الإصابه ج 1 ص 272.

ثم رئى أبو لهب بعد موته فى النوم- رآه العباس- حسب روايه ذكرها طائفه من المؤلفين، أو رآه النبى صلى اللّه عليه و آله و سلم- حسب روايه اليعقوبى- بشّر حال، و أسوئه، فسأله عن حاله، فأخبره: أنه بشّر حال غير أنه يخفف عنه العذاب- أو يسقى فى نقره إبهامه- كل يوم إثنين؛ لعتقه ثويبه، حينما بشرته بذلک (1).

قال القسطلانى: (... قال ابن الجزرى: فإن كان هذا أبو لهب، الكافر، الذى نزل القرآن بذمه، جوزى فى النار بفرحه ليله مولد النبى صلى اللّه عليه و آله و سلم به؛ فما حال المسلم الموحد من أمته (صلى اللّه عليه و آله و سلم)، الذى يسرّ بمولده، و يبذل ما تصل إليه قدرته فى محبته؟!.

لعمرى، إنما يكون جزاؤه من الكريم: أن يدخله بفضله العميم، جنات النعيم (2).

و رحم اللّه حافظ الشام، شمس الدين، محمد بن ناصر، حيث قال:1.

1- راجع: السيره لابن كثير ج 1 ص 224. و البدايه و النهايه ج 2 ص 273، و تاريخ اليعقوبى ج 2 ص 9 و فتح البارى ج 9 ص 124 و عمده القارى ج 20 ص 95 و السيره الحلبيه ج 1 ص 84 و 85 و السيره النبويه لدحلان ج 1 ص 25 و رساله حسن المقصد للسيوطى، المطبوعه مع: النعمه الكبرى على العالم ص 90 و إرشاد السارى ج 8 ص 31 و جواهر البحار ج 3 ص 338/ 339 و تاريخ الإسلام للذهبى ج 2 ص 19 و الوفاء ج 1 ص 107 و دلائل النبوه للبيهقى ج 1 ص 120 و بهجه المحافل ج 1 ص 41، و طبقات ابن سعد ج 1 قسم 1 ص 67 و 68 و المواهب اللدنيه ج 1 ص 27 و تاريخ الخميس ج 1 ص 222 و سيره مغلطاى ص 8 و صفه الصفوه ج 1 ص 62 و نور الأبصار ص 10 و إسعاف الراغبين بهامشه ص 8 و هو ظاهر صحيح البخارى ج 1 ص 157 ط سنه 1309 ه. ق.
2- السيره النبويه لدحلان ج 1 ص 27 و تاريخ الخميس ج 1 ص 222 و رساله حسن المقصد للسيوطى المطبوعه مع النعمه الكبرى على العالم ص 90/ 91.

إذا كان هذا كافر جاء ذمّه و تبت يداه فى الجحيم مخلدا

أتى أنه فى يوم الإثنين دائمايخفف عنه للسرور بأحمدا

فما الظن بالعبد الذى كان عمره بأحمد مسرورا و مات موحدا؟! (1)

و نقول:

إن هذا الكلام كله باطل، و لا يصح، و ذلک لأنهم يقولون: إن عتق ثويبه، قد تم بعد مولده صلى اللّه عليه و آله و سلم بدهر طويل، أى بعد أزيد من خمسين سنه؛ إما قبيل الهجره، أو بعدها. و كانت خديجه رضوان اللّه تعالى عليها، تحاول شراءها من أبى لهب، لتعتقها، بسبب ما يزعم من إرضاعها له صلى اللّه عليه و آله و سلم، فرفض أبو لهب بيعها (2).

و قد حاول الحلبى توجيه ذلک: بأن من الممكن أن يكون أبو لهب قد أعتقها أولا، لكنه لم يذكر ذلک، و لم يظهره، و رفض بيعها لخديجه لكونها كانت معتوقه، ثم عاد فأظهر ذلک (3).

و لكنه توجيه باطل. إذ من غير المعقول و لا المقبول؛ أن لا يظهر للناس، و لا يطلعوا على عتقه لجاريته طيله ما يزيد على ثلاث و خمسين سنه، و لماذا لم تخبر هى نفسها أحدا بذلک، و ما هو الداعى له و لها للكتمان، و لا سيما قبل النبوه، و ما هو الداعى للإظهار بعد ذلک، و لا سيما بعد الهجره؟!.5.

1- السيره النبويه لدحلان ج 1 ص 25 و رساله حسن المقصد، للسيوطى، المطبوعه مع النعمه الكبرى ص 91.
2- أنساب الأشراف (سيره النبى صلى اللّه عليه و آله) ج 1 ص 95- 96 و الكامل فى التاريخ ج 1 ص 459 و طبقات ابن سعد ج 1 ق 1 ص 67 و 68 و الاصابه ج 4 ص 258 و الاستيعاب بهامش الاصابه ج 1 ص 16 و إرشاد السارى ج 8 ص 31 و السيره الحلبيه ج 1 ص 85 و راجع: الوفاء ج 1 ص 107 و فتح البارى ج 9 ص 124 و ذخائر العقبى ص 259 و تاريخ الخميس ج 1 ص 222، و سيره مغلطاى ص 8 قاموس الرجال ج 10 ص 417.
3- السيره الحلبيه ج 1 ص 85.

و لماذا بقيت هذه الجاريه التى أعتقها عنده طيله هذه المده المتماديه، و هى خارجه عن ملكه.

هذا كله؛ عدا عن أنه لا حجيه فى المنامات، و لا اعتبار بها.

و عدا عن أن الروايه مرسله أيضا.

و أما بالنسبه لتخفيف العذاب عن أبى لهب، فنقول: إن فرحه إذا كان استجابه لحاجه نفسيه طبيعيه، و لم يكن للّه سبحانه و تعالى، فلماذا يثاب عليه، و لماذا يخفف عنه العذاب لأجله، و الأفعال الحسنه إنما يلقى الكفار جزاءها فى الدنيا لا فى الآخره، فإنه ليس لهم فى الآخره من خلاق، و لا لهم فيها نصيب. و قد قال تعالى: وَ قَدِمْنا إِلى ما عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ، فَجَعَلْناهُ هَباءً مَنْثُوراً (1).

شرک أبى لهب:

إن المعلوم أن أبا لهب قد بقى على شركه، و كان من أعدى أعداء اللّه، و الإسلام، و رسول الإسلام. فلا يعقل أن يجعل اللّه له يدا على النبى صلى اللّه عليه و آله يستحق المكافأه عليها. و لأجل ذلک لم يكن صلى اللّه عليه و آله يقبل هديه مشرک، بل كان يردها (2).

و قد قال صلى اللّه عليه و آله: (اللهم لا تجعل لفاجر، و لا لفاسق عندى نعمه) (3) فكيف إذا كان هذا الفاسق و الفاجر هو أبو لهب لعنه اللّه بالذات؟!.ى.

1- الفرقان 23.
2- مستدرک الحاكم ج 3 ص 484 و تلخيصه للذهبى بهامشه و المصنف لعبد الرزاق ج 1 ص 446 و 447 و فى الهامش عن مغازى ابن عقبه، و عن الترمذى ج 2 ص 389 و عن أبى داود و أحمد، و كنز العمال ج 6 ص 57 و 59 و ج 3 ص 177 عن ابن داود، و الترمذى، و صححه، و أحمد، و الطيالسى، و البيهقى و ابن عساكر، و الطبرانى و سعيد بن منصور.
3- راجع: أبو طالب مؤمن قريش للخنزى.

هذا كله، عدا عن أن نفس ثويبه لم يعلم لها إسلام، حتى لقد قال أبو نعيم: لا أعلم أحدا أثبت إسلامها غير ابن منده، مع أنها قد توفيت سنه سبع من الهجره (1).

و أى نعمه أعظم من إرضاعها له صلى اللّه عليه و آله؟!.

و بعض من تأخر قد نقل: أنها أسلمت (2). و لعله استند فى ذلک إلى قول ابن منده، أو استفاد ذلک مما ينقل عن برّ النبى الأكرم صلى اللّه عليه و آله بها (3).

و قال العسقلانى: (... و فى باب من أرضع النبى صلى الله عليه و آله وسلم ما يدل على أنها لم تسلم) (4).

و على كل حال؛ فإن كل ما تقدم، و سواه، يجعلنا نشک كثيرا، فى أن تكون ثويبه قد أرضعت رسول اللّه، و حمزه، و أبا سلمه، بلبن ولدها مسروح ليكونوا جميعا أخوه من الرضاعه.

تنازع الظئر فى رضاعه:

و روى مجاهد، قال: قلت لابن عباس: و قد تنازعت الظئر فى7.

1- راجع: سيره مغلطاى ص 8 و تاريخ الخميس ج 1 ص 222 و الوفاء ج 1 ص 107 و ذخائر العقبى ص 259 و السيره الحلبيه ج 1 ص 87، و فتح البارى ج 9 ص 124 و الإصابه ج 4 ص 257 و إرشاد السارى ج 8 ص 31 و صفه الصفوه ج 1 ص 62 و زاد المعاد ج 1 ص 19 و شرح الأشخر اليمنى على بهجه المحافل ج 1 ص 41 و أسد الغابه ج 5 ص 414 و السيره النبويه لدحلان ج 1 ص 25 و قاموس الرجال ج 10 ص 417.
2- راجع: اعلام الورى ص 6 و كشف الغمه ج 1 ص 15 و البحار ج 15 ص 337 و بهامشه عن: المناقب ج 1 ص 119 عن كتاب العروس للطبرى.
3- راجع: ذخائر العقبى ص 259 و صفه الصفوه ج 1 ص 62.
4- الإصابه ج 4 ص 257.

رضاع محمد؟!.

قال: أی و اللّه، و کل نساء الجن .. إلی أن قال: فخص بذلک حلیمه (1).

و روی أبو الحسن البکری فی کتابه الأنوار، قال: حدثنا أشیاخنا، و أسلافنا الرواه: أنه کان من عاده أهل مکه، إذا تم للمولود سبعه أیام، إلتمسوا له مرضعه ترضعه .. إلی أن قال: فتطاولت النساء لرضاعته و تربیته .. ثم یذکر: أن الهاتف أخبر آمنه: بأن مرضعته فی بنی سعد، و إسمها حلیمه؛ فظلت تتوقع مجیئها، حتی جاءت؛ فأعطتها إیاه (2).

و ذلک واضح الدلاله علی عدم صحه ما یقال: من أن النساء المرضعات قد زهدن فیه لیتمه، و أن حلیمه، إنما قبلت به؛ لأنها لم تجد سواه، و لم تحب أن ترجع رفیقاتها برضیع، و ترجع هی خالیه.

و مما یدل علی عدم صحه ذلک أیضا: أن عبد المطلب قد قال لحلیمه: (أنا جده، أقوم مقام أبیه، فإن أردت أن ترضعیه دفعته إلیک، و أعطیتک کفایتک) (3).

و ثمه روایه أخری تدل علی عدم صحه ذلک أیضا رواها المجلسی، عن الواقدی، فلتراجع (4).

حدیث شق الصدر:

و ما دمنا فی الحدیث عن رضاعه صلی اللّه علیه و آله و سلم فی بنی سعد، فإننا لا نری مناصا من إعطاء رأینا فی روایه وردت فی هذه المناسبه، و هی التالیه: أخرج مسلم بن الحجاج: (عن أنس بن مالک:

أن رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و سلم أتاه جبرئیل، و هو یلعب مع2.

1- البحار ج 15 ص 385.
2- البحار ج 15 ص 371.
3- البحار ج 15 ص 373.
4- البحار ج 15 ص 341 و ص 342.

الغلمان؛ فأخذه و صرعه، فشق عن قلبه، فاستخرج القلب، فاستخرج منه علقه؛ فقال: هذا حظ الشيطان منک، ثم غسله فی طست من ذهب، بماء زمزم، ثم لأمه، ثم أعاده فی مکانه.

و جاء الغلمان یسعون إلی أمه- یعنی ظئره- فقالوا: إن محمدا قد قتل. فاستقبلوه، و هو منتقع اللون.

قال أنس: (و قد کنت أری أثر ذلک المخیط فی صدره) (1).

و کان ذلک هو سبب إرجاعه صلی اللّه علیه و آله إلی أمه (2).

و کتب الحدیث و السیره عند غیر الإمامیه لا تخلو عن هذه الروایه غالبا. بل قد ذکروا أنه قد شقّ صدره صلی اللّه علیه و آله خمس مرات، أربع منها ثابته: مره فی الثالثه من عمره، و أخری فی العاشره، و ثالثه عند مبعثه، و رابعه عند الإسراء، و الخامسه فیها خلاف.

توجیه غیر وجیه:

و یقولون: إن تکرار شق صلی اللّه علیه و آله إنما هو زیاده فی تشریفه علیه الصلاه و السلام. و قد نظم بعضهم ذلک شعرا فقال:

أیا طالبا نظم الفرائد فی عقدمواطن فیها شق صدر لذی رشد

لقد شق صدر للنبی محمدمرارا لتشریف، و ذا غایه المجد

فأولی له التشریف فیها مؤثل لتطهیره من مضغه فی بنی سعد

و ثانیه کانت له و هو یافع و ثالثه للمبعث الطب الند

و رابعه عند العروج لربه و ذا باتفاق فاستمع یا أخا الرشد

و خامسه فیها خلاف ترکتهالفقدان تصحیح لها عند ذی النقد (3) 7.

1- صحیح مسلم ج 1 ص 101- 102 و فیه ثمه روایات أخری عن شق صدره صلی اللّه علیه و آله فلیراجع من أراد.

2- سیره ابن هشام ج 1 ص 174/ 175، و تاریخ الیعقوبی ج 2 ص 10، و غیر ذلک.
3- راجع: أضواء علی السنه المحمدیه ص 187.

كما أننا فى نفس الوقت الذى نرى فيه البعض يعتبر هذه الروايه من إرهاصات النبوه كما صرح به ناظم الأبيات السابقه و غيره (1)، و مثار إعجاب و تقدير.

فإننا نرى: أنها عند غير المسلمين، إما مبعث تهكم و سخريه، و إما دليل لإثبات بعض عقائدهم الباطله، و الطعن فى بعض عقائد المسلمين.

و نرى فريقا ثالثا يعتبر الروايه موضوعه، من قبل من أراد أن يضع التفسير الحرفى لقوله تعالى: (أَ لَمْ نَشْرَحْ لَکَ صَدْرَکَ، وَ وَضَعْنا عَنْکَ وِزْرَکَ) (2).

و اعتبرها صاحب مجمع البيان أيضا (مما لا يصح ظاهره، و لا يمكن تأويله إلا على التعسف البعيد؛ لأنه كان طاهرا مطهرا من كل سوء و عيب، و كيف يطهر القلب و ما فيه من الاعتقاد بالماء؟) (3).

و نجد آخر (4) يحاول أن يناقش فى سند الروايه. و نظره فقط إلى روايه ابن هشام، عن بعض أهل العلم، و لكنه لم يعلم أنها وارده فى صحيح مسلم بأربعه طرق. و لو أنه اطلع على ذلک لرأينا له موقفا متحمسا آخر؛ لأنها تكون حينئذ كالوحى المنزل، على النبىّ المرسل.

و لعل خير من ناقش هذه الروايه نقاشا موضوعيا سليما هو العلامه الشيخ محمود أبو ريه فى كتابه القيم: (أضواء على السنه المحمديه)؛ فليراجعه من أراد ..

رأينا فى الروايه:

و نحن هنا نشير إلى ما يلى:6.

1- فقه السيره للبوطى ص 53، و راجع سيره المصطفى للحسنى ص 46.
2- راجع حياه محمد لمحمد حسين هيكل ص 73 و النبى محمد للخطيب ص 197.
3- الميزان ج 13 ص 34، عن مجمع البيان.
4- النبى محمد لعبد الكريم الخطيب ص 196.

1- إن ابن هشام و غيره يذكرون: أن سبب إرجاع الرسول (صلى اللّه عليه و آله و سلم) إلى أمه، هو أن نفرا من الحبشه نصارى، رأوه مع مرضعته، فسألوا عنه، و قلّبوه، و قالوا لها: لنأخذنّ هذا الغلام، فلنذهبنّ به إلى ملكنا و بلدنا الخ (1).

و بذلک تصير الروايه المتقدمه التى تذكر أن سبب إرجاعه إلى أمه هو قضيه شق الصدر محل شک و شبهه.

2- كيف يكون شق صدره (صلى اللّه عليه و آله و سلم) هو سبب إرجاعه إلى أمه؛ مع أنهم يذكرون: أن هذه الحادثه قد وقعت له (صلى اللّه عليه و آله و سلم) و عمره ثلاث سنين، أو سنتان و أشهر. مع أنه إنما أعيد إلى أمه بعد أن أتم الخمس سنين.

3- هل صحيح أن مصدر الشر هو غده، أو علقه فى القلب، يحتاج التخلص منها إلى عمليه جراحيه؟!. الصحيح من السيره النبى الأعظم، مرتضى العاملى ج 2 86 رأينا فى الروايه: ..... ص : 85

و هل يعنى ذلک أن باستطاعه كل أحد- فيما لو أجريت له عمليه جراحيه لاستئصال تلک الغده- أن يصبح تقيّا و رعا، خيّرا؟!.

أم أن هذه الغده أو العلقه قد اختص اللّه بها الرسول الأعظم (صلى اللّه عليه و آله و سلم)، و ابتلاه بها دون غيره من بنى الإنسان؟!. و لماذا دون غيره؟!.

4- لماذا تكررت هذه العمليه أربع، أو خمس مرات، فى أوقات متباعده؟ حتى بعد بعثته (صلى اللّه عليه و آله و سلم) بعده سنين، و حين الإسراء و المعراج بالذات؟!

فهل كانت تلک العلقه السوداء، و حظ الشيطان تستأصل، ثم تعود إلى النمو من جديد؟! و هل هى من نوع مرض السرطان الذى لا تنفع معه العمليات الجراحيه، و الذى لا يلبث أن يختفى حتى يعود إلى الظهور بقوه5.

1- راجع: سيره ابن هشام ج 1 ص 177 و تاريخ الطبرى ج 1 ص 575.

أشد، و أثر أبعد؟!.

و لماذا لم تعد هذه العلقه إلى الظهور بعد العمليه الرابعه أو الخامسه، بحيث يحتاج إلى السادسه، فالتى بعدها؟!.

و لماذا يعذب اللّه نبيه هذا العذاب، و يتعرض لهذه الآلام بلا ذنب جناه؟! ألم يكن بالإمكان أن يخلقه بدونها من أول الأمر؟!.

5- و هل إذا كان اللّه يريد أن لا يكون عبده شريرا يحتاج لإعمال قدرته إلى عمليات جراحيه كهذه، على مرأى من الناس و مسمع؟!.

و تعجبنى هذه البراعه النادره لجبرئيل فى إجراء العمليات الجراحيه لخصوص نبينا الأكرم (صلى اللّه عليه و آله و سلم).

و ألا تعنى هذه الروايه: أنه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) كان مجبرا على عمل الخير، و ليس لإرادته فيه أى أثر أو فعاليه، أو دور؟:!، لأن حظ الشيطان قد أبعد عنه بشكل قطعى و قهرى، و بعمليه جراحيه، كان أنس بن مالک يرى أثر المخيط فى صدره الشريف!!.

6- لماذا اختص نبينا بعمليه كهذه و لم تحصل لأىّ من الأنبياء السابقين عليهم الصلاه و السلام (1)؟ أم محمدا (صلى اللّه عليه و آله و سلم)، أفضل الأنبياء و أكملهم، كان فقط بحاجه إلى هذه العمليه؟! الجراحيه؟! و إذن، فكيف يكون أفضل و أكمل منهم؟ أم أنه قد كان فيهم أيضا للشيطان حظ و نصيب لم يخرج منهم بعمليه جراحيه؛ لأن الملائكه لم يكونوا قد تعلموا الجراحه بعد؟!.

7- و أخيرا، أفلا ينافى ذلک ما ورد فى الآيات القرآنيه، مما يدل على أن الشيطان لا سبيل له على عباد اللّه المخلصين: (قال: رب بما اغويتنى لأزينن لهم فى الأرض، و لأغوينهم أجمعين. إلا عبادک منهم8.

1- السيره الحلبيه ج 1 ص 368.

المخلصين (1)).

و قال تعالى: (إِنَّ عِبادِی لَیْسَ لَکَ عَلَیْهِمْ سُلْطانٌ (2)) و قال: (إِنَّهُ لَیْسَ لَهُ سُلْطانٌ عَلَی الَّذِینَ آمَنُوا، وَ عَلی رَبِّهِمْ یَتَوَکَّلُونَ (3)).

و من الواضح: أن الأنبياء هم خير عباد اللّه المخلصين، و المؤمنين، و المتوكلين. فكيف استمر سلطان الشيطان على الرسول الأعظم (صلى اللّه عليه و آله و سلم) إلى حين الإسراء و المعراج؟!.

هذا كله، عدا عن تناقض الروايات الشديد. و قد أشار إليه الحسنى باختصار. فراجع، (4) و قارون.

المسيحيون و حديث شق الصدر:

و قد روى عن النبي (صلى اللّه عليه و آله و سلم) قوله: (ما من أحد من الناس إلا و قد أخطأ، أو همّ بخطيئه، ليس يحيى بن زكريا) (5).

و يذكر أبو ريه (رحمه اللّه): أن حديث شق الصدر يأتى مؤيدا للحديث الآخر، الذى ورد فى البخارى، و مسلم و فتح البارى و غيرها، و هو- و النص للبخارى-: (كل بنى آدم يطعن الشيطان فى جنبيه بإصبعه حين يولد غير عيسى بن مريم، ذهب يطعن، فطعن فى الحجاب (6)):

و فى روايه: ما من بنى آدم مولود إلا يسمه الشيطان حين يولد؛ فيستهل3.

1- سوره الحجر 39- 41.
2- الإسراء 65.
3- النحل 99.
4- سيره المصطفى ص 46.
5- مسند أحمد: ج 1 ص 301، و راجع: المنصف ج 11 ص 184.
6- البخارى ط سنه 1309 ج 2 ص 143.

صارخا من مس الشيطان غير مريم و ابنها (1) .. و لهذا الحديث ألفاظ أخرى لا مجال لذكرها.

و قد استدل المسيحيون بهذا الحديث على أن البشر كلهم، حتى النبى مجردون عن العصمه، معرضون للخطايا إلا عيسى بن مريم، فإنه مصون عن مس الشيطان، مما يؤيد ارتفاع المسيح عن طبقه البشر، و بالتالى يؤكد لا هوته الممجد (2).

و أضاف أبو ريه إلى ذلک قوله:

(و لئن قال المسلمون لإخوانهم المسيحيين، و لم لا يغفر اللّه لآدم خطيئته بغير هذه الوسيله القاسيه، التى أزهقت فيها روح طاهره بريئه، هى روح عيسى (عليه السلام) بغير ذنب؟!.

قيل لهم: و لم لم يخلق اللّه قلب رسوله الذى اصطفاه، كما خلق قلوب إخوانه من الأنبياء و المرسلين- و اللّه أعلم حيث يجعل رسالته- نقيا من العلقه السوداء و حظ الشيطان، بغير هذه العمليه الجراحيه، التى تمزق فيها قلبه و صدره مرارا عديده ...!) (3).

أصل الروايه جاهلى:

و الحقيقه هى أن هذه الروايه مأخوذه عن أهل الجاهليه، فقد جاء فى الأغانى أسطوره مفادها: أن أميه بن أبى الصلت كان نائما؛ فجاء طائران فوقع أحدهما على باب البيت؛ و دخل الآخر فشق عن قلب أميه ثم رده الطائر، فقال له الطائر الآخر: أوعى؟؟ قال: نعم. قال: زكا؟ قال:7.

1- مسند أحمد ج 2 ص 274/ 275.
2- أضواء على السنه المحمديه ص 186، عن: المسيحيه فى الإسلام طبعه ثالثه ص 127 تأليف ابراهيم لوقا.
3- أضواء على السنه المحمديه 187.

أبى.

و على حسب روايه أخرى: أنه دخل على أخته، فنام على سرير فى ناحيه البيت، قال: فانشق جانب من السقف فى البيت، و إذا بطائرين قد وقع أحدهما على صدره، و وقف الآخر مكانه، فشق الواقع على صدره، فأخرج قلبه، فقال الطائر الواقف للطائر الذى على صدره: أوعى؟ قال:

وعى. قال: أقبل؟ قال: أبى. قال: فردّ قلبه فى موضعه الخ .. ثم تذكر الروايه تكرر الشق له أربع مرات (1).

و هكذا يتضح أن هذه الروايه مفتعله و مختلقه، و أن سر اختلاقها ليس إلا تأييد بعض العقائد الفاسده، و الطعن بصدق القرآن، و عصمه النبى الأعظم (صلى اللّه عليه و آله و سلم).

و لنعد الآن إلى متابعه الحديث عن السيره العطره؛ فنقول:

فقد النبى صلى الله عليه و آله وسلم لأبويه:

لقد شاءت الإراده الإلهيه: أن يفقد النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) أباه و هو لا يزال جنينا، أو طفلا صغيرا. و ربما يقال: إن الأصح هو الأول؛ لأن يتمه هذا كان هو الموجب لتردّد حليمه السعديه فى قبوله رضيعا (2). و لكن قد تقدم بعض المناقشه فى ذلك.

ثم فقد أمه بعد عودته من بنى سعد، و هو فى الرابعه من عمره، أو3.

1- راجع الأغانى ج 3 ص 188/ 189/ 190.
2- و بذلك يعلم: أن ما ورد فى كشف الغمه ج 1 ص 16 من أنه عاش صلى الله عليه و آله وسلم مع أبيه سنتين و أربعه أشهر لا يمكن المساعده عليه .. رغم أن الأربلى رحمه اللّه قد نص بعد ذلك بصفحات أى فى ص 22 على أن أباه قد توفى و أمه حبلى به صلى اللّه عليه و آله و سلم .. فراجع .. و ليراجع تاريخ الخميس ص 258 ج 1 و تاريخ الطبرى ج 2 ص 33، و سيره ابن هشام ج 1 ص 193.

فی السادسه، أو أکثر حسب الروایات.

و لعل ما تقدم من إرجاع حلیمه له إلی أمه، و هو فی الخامسه من عمره، یؤید أن أمه قد توفیت و هو فی السادسه، إلا أن یقال: إنه یمکن أن یکون المراد: أنه قد أرجع إلی أهله، و لکنه احتمال بعید عن مساق الکلام.

هذا .. و قد استأذن رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله و سلم) ربه فی زیاره قبر أمه، فأذن له. فقد روی مسلم فی صحیحه، أنه (صلی اللّه علیه و آله و سلم) قال: (إستأذنت ربی فی زیاره أمی، فأذن لی، فزوروا القبور تذکّرکم الموت) (1).

و هذا الحدیث حجه دامغه علی من یمنع من زیاره القبور. و له مؤیدات کثیره؛ کزیاره فاطمه (علیها السلام) لقبر حمزه (علیه السلام)، و غیر ذلک.

و قد ألف العلامه المتتبع البحاثه الشیخ علی الأحمدی کتابا فی التبرک بآثار الأنبیاء و الصالحین، و تعرض فیه إلی هذا الموضوع، و بحثه أیضا العلامه الأمینی فی الغدیر، و السبکی فی کتابه: شفاء السقام فی زیاره خیر الأنام، و غیرهم کثیر.

کفیل النبی صلی الله علیه و آله وسلم :

و لقد عاش (صلی اللّه علیه و آله و سلم) فی کنف جده عبد المطلب، الذی کان یرعاه خیر رعایه، و لا یأکل طعاما إلا إذا حضر، و کان عارفا بنبوته حتی لقد روی: أنه قال عنه لمن أراد أن ینحیه عنه، و هو طفل..

1- کشف الغمه ج 1 ص 16 عن مسلم، و صحیح مسلم ط سنه 1334 ج 3 ص 65، و تاریخ الخمیس ج 1 ص 335 و الحدیث موجود فی مصادر عدیده کما یظهر من مراجعه کتاب الجنائز فی کتب الحدیث ..

يدرج: دع إبنى فإن الملک قد أتاه (1). و الروايه معتبره على الظاهر.

أضف إلى ذلک ما رووه من إخبار سيف بن ذى يزن لعبد المطلب بذلک، عند ما زاره فى اليمن، إلى غير ذلک من دلائل و إشارات، رسخت هذا الإعتقاد فى نفس عبد المطلب (رحمه اللّه)، و جعلت له (صلى اللّه عليه و آله و سلم) مكانه خاصه عنده (2).

و فى السنه الثامنه من عمره (صلى اللّه عليه و آله و سلم) توفى جده عبد المطلب، بعد أن اختار له أبا طالب (رحمه اللّه) ليكفله، و يقوم بشؤونه، و يحرص على حياته، رغم أن أبا طالب لم يكن أكبر ولد عبد المطلب سنا، و لا أكثرهم مالا؛ لأن الأسنّ فيهم كان هو الحارث، و الأكثر مالا هو العباس. و لكن عذر العباس هو أنه كان حينئذ صغيرا أيضا، لأنه كان أسن من النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) بسنتين فقط، كما يقولون (3) و ان كنا قد قلنا: إنه كان يكبره بأكثر من ذلک. كما أن أبا طالب قد كان شقيق عبد اللّه والد النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) لأبيه و أمه، فإن أمهما هى فاطمه المخزوميه، و طبيعى أن يكون لأجل ذلک أكثر حنانا و عطفا عليه و حبا له.

ثم إن أبا طالب الذى كان هو و زوجته أم أمير المؤمنين (عليه السلام) يحملان نور الولايه، قد كانا يحملان من المكارم و الفضائل النفسيه و المعنويه و من الطهاره ما يؤهلهما لأن يكونا كفيلين لرسول اللّه..

1- أصول الكافى ط سنه 1388 ه ج 1 ص 372.
2- راجع: البدايه و النهايه: ج 2 ص 329/ 330.
3- و إن كنا نعتقد أنه حتى و لو كان سنه إلى الحد الذى يتمكن فيه من كفالته صلى الله عليه و آله وسلم فإن عبد المطلب لا يعهد به إليه؛ فإنه هو الذى احتفظ بالسقايه، دون الرفاده، بسبب حرصه على المال، وضنه به، و هو الذى كان يحاول أن يحصل على فضله من المال من عمر بأسلوب عاطفى، و بطريقه لا يتبعها إلا من يهتم بالمال و بجمعه بشكل ظاهر ..

(صلى اللّه عليه و آله و سلم) و أبوين لوصيه، و للأئمه من ذريته ..

و على كل حال، فقد عهد عبد المطلب إلى أبى طالب (عليه السلام) بمهمه كفالته (صلى اللّه عليه و آله و سلم)؛ لأنه كان بالإضافه إلى ما تقدم أنبل اخوته، و أكرمهم، و أعظمهم مكانه فى قريش، و أجلهم قدرا.

و لقد قام أبو طالب (عليه السلام) برعايته (صلى اللّه عليه و آله و سلم) خير قيام، و لم يزل يكرمه و يحبه غايه الحب، و ينصره بيده و لسانه طول حياته، كما سنشير إليه إن شاء اللّه تعالى فى فصل خاص به رضوان اللّه تعالى عليه.

الرحله الأولى إلى الشام، و بحيرا:

و يقولون: إنه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) قد سافر إلى الشام بصحبه عمه أبى طالب، و رآه بحيرا راهب بصرى، و أخبر عمه أنه نبى هذه الأمه، و أصرّ عليه بأن يرجعه إلى مكه، حتى لا يغتاله اليهود. الذين يرون العلامات التى فى كتبهم متحققه فيه. فخرج به عمه أبو طالب حتى أقدمه مكه.

روايه مكذوبه:

و لكن جاء فى روايه لأبى موسى الأشعرى: أن بحيرا (لم يزل يناشده حتى ردّه، و بعث معه أبو بكر بلالا، و زوّده الراهب من الكعك و الزيت (1)).ل.

1- الثقات لابن حبان ج 1 ص 44، و البدايه و النهايه ج 2 ص 285، و تاريخ الطبرى ج 2 ص 34 ط الاستقامه، و تاريخ الخميس ج 2 ص 258، و السيره الحلبيه ج 1 ص 120 و مستدرک الحاكم، و البيهقى، و ابن عساكر، و الترمذى، و قال: حسن غريب. و فى سيره دحلان ج 1 ص 49 أنه رجع إلى مكه، و معه أبو بكر و بلال.

و فی روایه: أن سبعه کانوا قد عزموا علی قتله صلی الله علیه و آله وسلم ، فمنعهم بحیرا، و بایعوا الرسول، و أقاموا معه.

و لکن ذلک لا یمکن أن یصح:

أولا: لأن عمر النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) کان حینئذ إثنتی عشره سنه، بل قیل: إن عمره کان حینئذ تسع سنین (1).

و أبو بکر کان أصغر من النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) بأکثر من سنتین، و بلال کان أصغر من أبی بکر بعده سنین، تتراوح ما بین خمس إلی عشر (2)، حسب اختلاف الأقوال.

فهل یمکن لأبی بکر، و هو بهذه السن أن یسافر إلی الشام، ثم یصدر الأوامر و النواهی فی مهمات کهذه؟!.

و هل یمکن لبلال الذی کان طفلا، لا یقدر علی المشی، أو لم یکن قد ولد بعد: أن یکون مع أبی بکر فی ذلک السفر الطویل؟ ثم أن یتحمل مسؤولیه إرجاع النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) من بصری إلی مکه؟ مع کون النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) أکبر منه بسنوات عدیده؟!.

و ثانیا: ما هو الربط بین أبی بکر و بلال حتی یأمره أبو بکر بهذا الأمر؛ فإن أبا بکر لم یکن یملک بلالا، و إنما کان یملکه أمیه بن خلف.

و إنما اشتراه أبو بکر کما یقولون بعد ثلاثین عاما من حینئذ (3).).

1- راجع: الطبری ج 2 ص 33، و البدایه و النهایه ج 2 ص 286 و السیره الحلبیه ج 1 ص 120، و قال: إن صاحب کتاب الهدی قد رجح هذا القول ..
2- نعم قد ذکر ابن حبان، و الإصابه ج 1 ص 165 عن أبی نعیم: أن بلالا کان تربا لأبی بکر .. لکن الأشهر و الأکثر علی أن أبا بکر کان یکبره بعده سنین کما ذکرنا راجع السیره الحلبیه ج 1 ص 120.
3- و قد أشار إلی ذلک الحافظ الدمیاطی علی ما فی تاریخ الخمیس ج 1 ص 259 عن حیاه الحیوان .. و کذا فی سیره مغلطای ص 11 و زاد قوله: (بایعوه علی أی شی ء).

هذا إن لم نقل: إن النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) هو الذى اشترى بلالا، و أعتقه، و لم يملكه أبو بكر أصلا (1).

و ثالثا: إن راوى هذه الروايه، و هو أبو موسى، لم يكن قد ولد أصلا؛ لأنه إنما ولد قبل البعثه بثمان أو بعشر سنين، على ما يقولون؛ كما أنه إنما قدم إلى المدينه فى سنه سبع من الهجره، سنه خيبر. و هذه القضيه قد كانت قبل البعثه بحوالى ثلاثين عاما.

و رابعا: سيأتى عن مغلطاى و الدمياطى: أن أبا بكر لم يكن فى ذلک السفر أصلا. و لعل لأجل بعض ما تقدم أو كله حكم الترمذى على هذا الحديث بالغرابه، و شک فيه ابن كثير أيضا. فراجع.

و بعد كل ما تقدم فقد حكم الذهبى على هذا الحديث بقوله: (أظنه موضوعا بعضه باطل) (2).

سر الوضع و الإختلاق:

و أما سر وضع تلک الروايه فهو إثبات: أن إيمان أبى بكر بنبوه النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) قد كان قبل البعثه؛ ليسبق الناس كلهم، حتى عليا عليه الصلاه و السلام و خديجه، و حتى النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) نفسه فى ذلک.

قال النووى: (كان أبوبكر أسبق الناس إسلاما، أسلم و هو ابن عشرين سنه، و قيل: خمس عشره سنه (3)).ه.

1- سيأتى الحديث عنه فى الجزء الثالث من هذا الكتاب؛ الفصل الأول من الباب الثالث.
2- تاريخ الخميس ج 1 ص 259، و السيره الحلبيه ج 1 ص 120.
3- الغدير ج 7 ص 272 عنه.

و قال الصفورى الشافعى: (و كان إسلامه قبل أن يولد على بن أبى طالب (1)).

و ذكر الديار بكرى روايه عن ابن عباس، عن قضيه بحيرا جاء فى آخرها: (فوقع فى قلب أبى بكر اليقين و التصديق قبل ما نبّى ء (صلى اللّه عليه و آله و سلم (2)).

و لكن، لماذا لم يعدّوا بحيرا و بلالا و الحارث و غيرهم ممن حضر، من السابقين إلى الإسلام أيضا؟!. و من الذى أخبرهم بوقوع الإسلام فى قلب أبى بكر قبل هؤلاء؟! أو دونهم؟!.

بل من أين علموا: ان الإسلام و التصديق قد وقع فى قلب أبى بكر؟!- هذا كله لو سلمنا بالقضيه من أساسها.

إشارات خاطفه فى قصه بحيرا:

و قد بقى فى قصه بحيرا نقاط كثيره، جديره بالمناقشه، لا مجال لنا للحديث عنها هنا، كما أننا لا نرى كبير فائده فى ذلک.

و مما تقدم يظهر مدى صحه قول بعض الروايات: إن أبا بكر، أو الحارث عم النبى صلى الله عليه و آله وسلم قد ذهب إليه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) فاحتضنه، و جاء به، و أجلسه مع القوم على مائده طعام بحيرا، و رّجح إبن المحدث: أن الذى جاء به هو أبو بكر (3).

و لم يدر إبن المحدث أن أبا بكر لم يكن فى ذلک السفر أصلا، كما48

1- نزهه المجالس ج 2 ص 147.
2- تاريخ الخميس ج 1 ص 261.
3- السيره الحلبيه ج 1 ص 119، و السيره النبويه لدحلان ج 1 ص 48

صرح به الدمياطى و مغلطاى (1). و لو كان؛ فإنه كان أصغر سنا من النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) كما قلنا.

بقى أن نشير إلى أن بعض الروايات قد ذكرت: أن راويها قد شک فى أن يكون سفره (صلى اللّه عليه و آله و سلم) إلى الشام كان بصحبه أبى طالب أو جده عبد المطلب (2). و بذلک تصبح الروايه الآنفه له مع أبى بكر و بلال أكثر إشكالا و تعقيدا؛ لأن عبد المطلب قد توفى و عمر النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) ثمان سنين كما تقدم.

و الصحيح هو أن عمه أبا طالب هو الذى رجع معه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) إلى مكه (3) كما قدمنا، و ليس أبا بكر و لا غيره.

هذا، و للنبى صلى الله عليه و آله وسلم سفره أخرى إلى الشام للتجاره، ستأتى الإشاره إليها إن شاء اللّه تعالى فى موضعها.

رعيه صلى الله عليه و آله وسلم الغنم:

و يذكر المؤرخون: أنه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) قد رعى الغنم فى بنى سعد، و أنه رعاها لأهله، بل و يقولون: رعاها لأهل مكه أيضا، حتى ليذكرون و البخارى منهم فى كتاب الاجاره و غيره أنه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) قال: (ما بعث اللّه نبيا إلا رعى الغنم. فقال اصحابه:

و أنت؟. قال: نعم، كنت أرعاها على قراريط لأهل مكه) (4) و فسرت5.

1- سيره مغلطاى ص 11، و تاريخ الخميس ج 1 ص 259 عن الحافظ الدمياطى.
2- طبقات ابن سعد ج 1 ص 120 ط صادر، و ج 1 قسم 1 ص 76 ط ليدن و البدايه و النهايه ج 2 ص 286.
3- مصنف الحافظ عبد الرزاق ج 5 ص 318 و سيره ابن هشام ج 1 ص 194.
4- البخارى هامش فتح البارى ج 4 ص 363، و السيره النبويه لدحلان ج 1 ص 51، و السيره الحلبيه ج 1 ص 125.

القراريط بأنها: أجزاء الدراهم و الدنانير يشترى بها الحوائج الحقيره. (1)

و لكننا نشک کثيرا فی أن يکون (صلی اللّه عليه و آله و سلم) قد رعی لغير أهله بأجر کهذا، تزهد به حتی العجائز، و لا يصح مقابلته بذلک الوقت و الجهد الذی يبذله فی رعی الغنم، نعم، نشک فی ذلک، لأننا نجد:

أولا: أن اليعقوبی- و هو المؤرخ الثبت- قد نص علی أنه (صلی اللّه عليه و آله و سلم) لم يکن اجيرا لأحد قط. (2)

و ثانيا: تناقض الروايات؛ فبعضها يقول: لأهلی، و بعضها يقول:

لأهل مکه، و بعضها يقول: بالقراريط، و أخری قد ابدلت ذلک بکلمه باجياد. و إذ کان الراوی واحدا لم يقبل منه مثل هذا الاختلاف.

نعم، قد ذکر البعض: أن العرب ما کانت تعرف القراريط، و إنما هی اسم لمکان فی مکه (3) فلماذا کان يرعی الغنم فی خصوص ذلک المکان؟ و لا يتجاوزه إلی غيره؟

و مع غض النظر عن ذلک نقول: إنه ربما يکون هذا الإختلاف بين الروايه التی تقول: باجياد، و التی تقول بالقراريط، بسبب أن القراريط و اجيادا اسم لمکان واحد، أو لمکانين متقاربين جدا.ن.

1- السيره النبويه ج 1 ص 15 لزينی دحلان، و السيره الحلبيه ج 1 ص 125 و فتح البارى ج 4 ص 364.
2- تاريخ اليعقوبی ج 2 ص 21 ط صادر.
3- فتح البارى ج 4 ص 364 عن إبراهيم الحربی، و صوبه ابن الجوزی تبعا لابن ناصر و السيره الحلبيه ج 1 ص 126 و يؤيد أن العرب ما کانت تعرف القراريط، ما جاء فی الصحيح، و يفتحون أرضا يذکر فيها القيراط. فتح البارى ج 4 ص 364. و قولهم لا يعرف مکان فی مکه بهذا الاسم محل نظر لأن عدم معروفيته الآن لا يستلزم عدم معرفيته فی ذلک الزمان.

و لكن يعكر على هذا: أن روايه البخارى تقول: (على قراريط)؛ فالظاهر من كلمه على هو: الأجر.

و يمكن أن يدفع هذا: بأن من المتحمل أن يكون قراريط اسم جبل فى مكه و قد رعى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) الغنم عليه. و كل ذلک و سواه من الاحتمالات لا شاهد له، و إنما يلجأ إليه لو كانت الروايه صحيحه السند عن معصوم، و ليست كذلک، بل هى عن أبى هريره، و غيره ممن لا يمكن الاعتماد عليهم.

ملاحظه:

لقد حاول البعض التفلسف هنا، فذكر: أن رعى الغنم صعب؛ لأنها أصعب البهائم و هو يوجب أن يستشعر القلب رأفه و لطفا؛ فإذا انتقل إلى رعايه البشر كان قد هذب أولا من الحدّه الطبيعيه، و الظلم الغريزى؛ فيكون فى اعدل الأحوال. (1)

و لكن، حتى لو لم نقل: إنه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) كان نبيا منذ صغره، كما سيأتى، فإننا نطرح الأسئله التاليه: هل يمكن أن يصدق أحد: أن النبى الاعظم (صلى اللّه عليه و آله و سلم) كان يحتاج إلى التهذيب من الحده الطبيعيه، و الظلم الغريزى؟!.

و هل فى النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) ظلم وحده غريزيتان يحتاجان إلى التهذيب و الحد منهما حقا؟! و لو سلم ذلک، ألا يوجد مدرسه أفضل من هذه المدرسه؟! ثم أفلا ينافى ذلک قضيه شق الصدر (2)- المكذوبه- المقبوله لدى هؤلاء؟! أو ليس ذلک الظلم و تلكل.

1- السيره الحلبيه ج 1 ص 126، و السيره النبويه لدحلان ج 1 ص 51، و ليراجع: فتح البارى ج 4 ص 364.
2- تقدم الكلام عنها فى أوائل هذا الفصل.

الحده هما من حظ الشيطان، الذى استأصله جبرئيل فى عمليته الجراحيه المزعومه لدى هؤلاء؟. ثم أو ليس كان له ملک يسدده، و يرشده منذ صغره، حسبما نطقت به الروايات (1)؟!.

إلا أن يدعى هؤلاء: أن التسديد لا ينافى الظلم الغريزى.

و حينئذ نقول: ألم يحاول الملک الموكل به ليسدده و يرشده إلى محاسن الاخلاق، أن يرشده إلى قبح الظلم، و حسن العدل؟! و لماذا قصّر فى أداء مهمته تجاهه؟

و أيضا، ألا يمكن للّه تعالى أن يهذب نبيّه، و يخفف من حدّته بغير هذه الطريقه؟!

و هل صحيح: أن رعايه الغنم أصعب من رعايه غيرها، كما يدعى هؤلاء؟!.

و هل صحيح: أن الظلم غريزه فى الانسان؟! و إذا كان غريزه فهل يمكن القضاء عليه بواسطه رعايه الغنم؟!

و هل كل راعى غنم لا يكون فيه ظلم غريزى، و لا حدّه طبيعيه ..

أم أن ظلمه وحدته، أقل من ظلم غيره وحدته؟!

ثم، ألا يمكن أن يكون الرعى عملا عاديا، كان (صلى اللّه عليه و آله و سلم) يقوم به كغيره من ابناء مجتمعه، الذين كانت الماشيه و رعيها عندهم من الوسائل العاديه للعيش، و كسب الرزق؟!. و ليكون النبى إنسانا يعيش كما يعيش الآخرون من الناس الذين ما عاشوا حياه الترف. و لا شعروا بزهو السلطان؟!

إلى غير ذلک من الأسئله التى لن تجد عند هؤلاء جوابا مقنعا و مفيدا.2.

1- نهج البلاغه، الخطبه القاصعه رقم 192 ص 300 ضبط صبحى الصالح، و البحار ج 15 ص 361/ 362.

نعم. يمكن تعليل ذلک كما يقول البعض: بأن رعى الغنم يعطى فرصه للابتعاد عن الناس، و الانصراف للتكفير السليم، بعيدا عن مشاكل الناس، و همومهم، و يؤيد ذلک: أنه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) كان يذهب إلى غار حراء طلبا للانفراد عن الناس، من أجل التفكير و التأمل فى ملكوت اللّه، و العباده و تزكيه النفس ..

و بعض آخر يرى: أن الرعى فيه تحمل مسؤوليه أحاد متفرقه، و هو يناسب المهمه التى سوف توكل إليه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) الأمر الذى من شأنه أن يروض النفس، و يزيدها اندفاعا نحو طلب الخير للآخرين من رعيته لهم، و الحرص على ما ينفعهم، و قد كان اللّه تعالى يهتم فى رفع مستوى تحمل و ملكات و قدرات نبيه ليواجه المسؤوليه العظمى، و لكن بالطرق العاديه و الطبيعيه، كما هو معلوم من ارساله الرسل، تزويدهم بالمعجزات و غيرها.

الفصل الثالث: خديجه فی بیت النبی صلی الله علیه و آله وسلم

اشاره

السفر الثانی إلی الشام:

و یقولون: إنه (صلی اللّه علیه و آله و سلم) قد سافر سفره الثانی إلی الشام، و هو فی الخامسه و العشرین من عمره (1).

و یقولون: إن سفره هذا کان فی تجاره لخدیجه. و أن أبا طالب هو الذی اقترح علیه ذلک، حینما اشتد الزمان، و ألحت علیهم سنون منکره، فلم یقبل (صلی اللّه علیه و آله و سلم) أن یعرض نفسه علی خدیجه. فبلغ خدیجه ما جری بینه (صلی اللّه علیه و آله و سلم) و بین أبی طالب؛ فبادرت هی، و بذلت للرسول (صلی اللّه علیه و آله و سلم) ضعف ما کانت تبذله لغیره؛ لما تعرفه من صدق حدیثه، و عظیم أمانته، و کرم أخلاقه.

و یروی بعضهم: أن أبا طالب نفسه قد کلم خدیجه فی ذلک، فأظهرت سرورها و رغبتها، و بذلت له ما شاء من الأجر.

فسافر (صلی اللّه علیه و آله و سلم) إلی الشام، و ربح فی تجارته أضعاف ما کان یربحه غیره، و ظهرت له فی سفره بعض الکرامات الباهره، فلما عادت القافله إلی مکه أخبر میسره غلام خدیجه، سیدته بذلک،ه.

1- و فی البحار ج 16 ص 9 عن بعضهم: ان سفره کان إلی سوق حباشه بتهامه، و کذا فی کشف الغمه ج 2 ص 135 عن الجنابذی فی معالم العتره.

فذكرت ذلک بالاضافه إلی ما ظهر لها هی منه (صلی اللّه علیه و آله و سلم) لورقه بن نوفل، إبن عمها کما یقولون: و إن کنا نحن نشک فی ذلک (1) فقال لها: إن کان ذلک حقا، فهو نبی هذه الأمه (2).

ثم اهتمت خدیجه بالعمل علی الاقتران به (صلی اللّه علیه و آله و سلم)، کما سنری.

هکذا یقولون، و لکننا نشک فی بعض ما تقدم. و لا سیما و أن ورقه لم یسلم حتی بعد أن بعث رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله و سلم).

کما أن قولهم: إن خدیجه قد استأجرته فی تجارتها. لا یمکن المساعده علیه، و ذلک لأننا نجد المؤرخ الاقدم، الثبت ابن واضح، المعروف بالیعقوبی یقول:

(و إنه ما کان مما یقول الناس: إنها استأجرته بشی ء، و لا کان أجیرا لأحد قط (3)).

و لعل فی عزه نفس النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) و ابائها. و أیضا فی تسدید اللّه تعالی له. و أیضا فی شرف أبی طالب و سؤدده، ما یبعد کثیرا أن یکون قد صدر شی ء مما نسب إلی أبی طالب منه.

و علی هذا، فقد یکون سفره (صلی اللّه علیه و آله و سلم) إلی..

1- سیأتی إن شاء اللّه بعض الکلام حول بعض ما یقال عن ورقه بن نوفل، و دوره فی بدء الوحی.
2- راجع: البدایه و النهایه ج 2 ص 296 و السیره الحلبیه ج 1 ص 136.
3- تاریخ الیعقوبی ج 2 ص 21 و نقل عن سفر السعاده: أنه صلی اللّه علیه و آله بعد البعثه، و قبل الهجره کان یشتری أکثر مما یبیع، و بعد الهجره لم یبع إلا ثلاث مرات، أما شراؤه فکثیر .. و أما شراکته مع غیره ففیها کثیر من الاضطراب، و لیس لنا مجال لتحقیق ذلک ..

الشام، لا لكونه كان أجيرا لخديجه، و إنما لأنه كان يضارب بأموالها، أو شريكا لها. و يدل على ذلک تصريح روايه الجنابذى بالمضاربه (1) فراجع.

و يؤيده ما رواه المجلسى من أن أبا طالب قد ذكر له (صلى اللّه عليه و آله و سلم) اتجار الناس بأموال خديجه، و حثه على أن يبادر إلى ذلک، ففعل، و سافر إلى الشام (2).

زواجه صلى الله عليه و آله وسلم بخديجه:

و لقد كانت خديجه (عليها السلام) من خيره نساء قريش شرفا، و أكثرهن مالا، و احسنهن جمالا. و كانت تدعى فى الجاهليه ب (الطاهره)، (3) و يقال لها: (سيده قريش). و كل قومها كان حريصا على الاقتران بها لو يقدر عليه (4).5.

1- البحار ج 16 ص 9، و كشف الغمه ج 2 ص 134 عن معالم العتره للجنابذى ..
2- البحار ج 16 ص 22 عن البكرى و ص 3 عن الخرائج و الجرائح ص 186 و 187.
3- راجع الإصابه ج 4 ص 281/ 282 و البدايه و النهايه ج 2 ص 294 و تاريخ الإسلام للذهبى ج 2 الترجمه النبويه ص 152 و قسم السيره النبويه ص 237 و تهذيب الأسماء ج 2 ص 342 و الاستيعاب (بهامش الإصابه) ج 4 ص 279 و الإصابه ج 4 ص 281 و سيره مغلطاى ص 12 و سير أعلام النبلاء ج 2 ص 111 و المواهب اللدنيه ج 1 ص 38 و 200 و الروض الأنف ج 1 ص 215 و تاريخ الخميس 1/ 264 و أسد الغابه ج 7 ص 78 ط دار الشعب السيره الحلبيه ج 1 ص 47. و السيره النبويه لدحلان ج 1 ص 55 و الثقات ج 1 ص 46.
4- و راجع: البدايه و النهايه ج 2 ص 294 و بهجه المحافل ج 1 ص 47. و السيره النبويه لابن هشام ج 1 ص 201 و تاريخ الخميس ج 1 ص 263 و طبقات ابن سعد ج 1 ص 131 ط دار صادر و السيره الحلبيه ج 1 ص 137 و السيره النبويه لدحلان ج 1 ص 55.

و قد خطبها عظماء قريش، و بذلوا لها الاموال. و ممن خطبها عقبه بن أبى معيط، و الصلت بن أبى يهاب، و أبو جهل، و أبو سفيان (1) فرفضتهم جميعا، و اختارت النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم)، لما عرفته فيه من كرم الأخلاق، و شرف النفس، و السجايا الكريمه العاليه. و نكاد نقطع- بسبب تضافر النصوص- بأنها هى التى قد أبدت أولا رغبتها فى الاقتران به (صلى اللّه عليه و آله و سلم).

فذهب أبو طالب فى أهل بيته، و نفر من قريش إلى وليها، و هو عمها عمرو بن أسد؛ لأن أباها كان قد قتل قبل ذلک فى حرب الفجار أو قبلها (2).

و أما أنه خطبها إلى ورقه بن نوفل، و عمها معا، أو إلى ورقه وحده (3) فمردود، بأنه:

قد ادعى الاجماع على الأول (4).

و أما أنا فلا ادرى ما أقول فى ورقه هذا.

و فى كل واد أثر من ثعلبه، فهو يحشر فى كل كبيره و صغيره، فيما يتعلق بالرسول الاعظم (صلى اللّه عليه و آله و سلم)، و إن ذلک ليدعونى7.

1- البحار ج 16 ص 22.
2- كشف الغمه ج 2 ص 139، و البحار ج 16 ص 12 عنه و ص 19 عن الواقدى، و راجع: الأوئل ج 1 ص 160 و فى السيره الحلبيه ج 1 ص 138: ان المحفوظ عن أهل العلم انه مات قبل الفجار، و تاريخ الخميس ج 1 ص 264. و تهذيب تاريخ دمشق ج 1 ص 303 عن الواقدى، و الإصابه ج 4 ص 282 و البدايه و النهايه ج 2 ص 296.
3- البحار ج 16 ص 19 عن الواقدى و السيره الحلبيه ج 1 ص 129 و الكافى ج 5 ص 374/ 375، و فيه أن ورقه كان عم خديجه و كذا فى البحار ج 16 ص 14 و 21 عنه و عن البكرى، و هو غير صحيح لأن ورقه هو ابن نوفل بن أسد و خديجه هى بنت خويلد بن أسد ..
4- السيره الحلبيه ج 1 ص 137.

إلى الشک فی کونه شخصیه حقیقیه، أو أسطوریه.

و یلاحظ: أن نفس الدور الذی یعطی لأبیها تاره، و لعمها أخری، یعطی لورقه بن نوفل ثالثه حتی الجمل و الکلمات، فضلا عن المواقف و الحرکات. فلتراجع الروایات التی تحکی هذه القضیه، و لیقارن بینها (1).

و سیأتی إن شاء اللّه مزید من الکلام حول ورقه هذا.

نعود إلی القول: إن أبا طالب قد ذهب لخطبه خدیجه، و لیس حمزه الذی اقتصر علیه ابن هشام فی سیرته (2) لأن ذلک لا ینسجم مع ما کان لأبی طالب من المکانه و السؤدد فی قریش، من جهه، و لأن حمزه کان یکبر النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) بسنتین أو بأربع (3) کما قیل من جهه اخری.

هذا بالإضافه إلی مخالفه ذلک لما یذکره عامه المؤرخین فی المقام.

و قد اعتذر البعض عن ذلک: بأن من الممکن أن یکون حمزه قد حضر مع أبی طالب؛ فنسب ذلک إلیه (4).

و هو اعتذارواه؛ إذ لماذا لم ینسب ذلک إلی غیر حمزه، ممن حضر مع أبی طالب من بنی هاشم و غیرهم من القرشیین؟!.

و یظهر: أن ثمه من یهتم بسلب هذه المکرمه عن أبی طالب (علیه السلام)، و اعطائها لأی کان من الناس سواه، حتی لحمزه. و لا ضیر فی ذلک عنده ما دام أنه قد استشهد فی وقت مبکر.9.

1- راجع المصادر المتقدمه و الآتیه.
2- راجع: سیره ابن هشام ج 1 ص 201 و السیره الحلبیه ج 1 ص 138 و نقل أیضا عن المحب الطبری.
3- تقدمت مصادر ذلک حین الحدیث حول إرضاع ثویبه لرسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم .
4- السیره الحلبیه ج 1 ص 139.

خطبه أبی طالب (رحمه اللّه):

و علی کل حال فقد خطبها أبو طالب له (صلی اللّه علیه و آله و سلم) قبل بعثه النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) بخمس عشره سنه، علی المشهور.

و قال فی خطبته- کما یروی المؤرخون-:

(الحمد لرب هذا البیت، الذی جعلنا من زرع ابراهیم، و ذریه اسماعیل، و انزلنا حرما آمنا، و جعلنا الحکام علی الناس، و بارک لنا فی بلدنا الذی نحن فیه.

ثم إن ابن أخی هذا- یعنی رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله و سلم)- ممن لا یوزن برجل من قریش إلا رجح به، و لا یقاس به رجل الاعظم عنه، و لا عدل له فی الخلق، و إن کان مقلا فی المال؛ فإن المال رفد جار، و ظل زائل، و له فی خدیجه رغبه، و قد جئناک لنخطبها إلیک، برضاها و أمرها، و المهر علی فی مالی الذی سألتموه عاجله و آجله.

و له- و ربّ هذا البیت- حظ عظیم، و دین شائع، و رأی کامل (1)).

نظره فی کلمات أبی طالب:

و خطبه أبی طالب المتقدمه تظهر مکانه الرسول الفضلی فی قلوب5.

1- الکافی ج 5 ص 374/ 375، و البحار ج 16 ص 14 عنه و ص 16 عمن لا یحضره الفقیه ص 413، و فی ص 5 عن شرف المصطفی، و الکشّاف، و ربیع الأبرار و الإبانه لابن بطه، و السیره للجوینی، عن الحسن و الواقدی، و أبی صالح و العتبی، و المناقب ج 1 ص 42، و الحلبیه ج 1 ص 139، و تاریخ الیعقوبی ج 2 ص 20، و الأوائل لأبی هلال ج 1 ص 162 و تاریخ الخمیس ج 1 ص 264 و المواهب اللدنیه ج 1 ص 39 و بهجه المحافل ج 1 ص 48 و السیره النبویه لدحلان ج 1 ص 55.

الناس. و هی صریحه فی أن الناس کانوا یجدون فی الرسول علامات النبوه و نور الهدایه. و یتوقعون أن یکون هو الذی بشر به عیسی و موسی (علیهما السلام)، و أنه کان لا یوزن به أحد إلا رجح به، و لا یقاس به رجل الاعظم عنه.

ثم إن کلمات أبی طالب تدل دلاله واضحه علی ما کان یتمتع به بنو هاشم، من شرف و سؤدد، حتی لیقول (رحمه اللّه) و جعلنا الحکام علی الناس.

و تدل أیضا علی أن العرب کانت تعتبر الحرم موضع أمن للقاصی و الدانی، و قد تقدم ما یدل علی ذلک أیضا.

ثم إن حدیثه عن فقر النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم)، و اعطاء الضابطه للتفضیل بین الرجال، یدل علی واقعیه أبی طالب، و أنه ینظر إلی الإنسان بمنظار سام و نبیل، کما أنه یتعامل مع الواقع بحنکه و وعی و أناه.

و بعد، فإن کلماته تلک تدل أیضا علی أن قریشا کانت تعتبر انتسابها إلی ابراهیم و اسماعیل، و سدانتها للبیت، کل شی ء بالنسبه لها، و قد أشرنا إلی هذا الأمر فی الفصل الأول.

و لتراجع خطبه أبی طالب (رحمه اللّه) حین موته، و التی یخاطب بها قریشا، فإنها خطبه جلیله، لا تبتعد عن هذه الخطبه فی مرامیها و اهدافها.

و دین شائع:

و یتساءل بعض المحققین هنا: أنه کیف یمکن الجمع بین قوله:

(و دین شائع)، و بین قوله تعالی: (ما کُنْتَ تَدْرِی مَا الْکِتابُ وَ لَا الْإِیمانُ (1)). و قوله: (وَ ما کُنْتَ تَرْجُوا أَنْ یُلْقی إِلَیْکَ الْکِتابُ (2)).6.

1- الشوری، الآیه: 52.
2- القصص الآیه، 86.

و جوابه:

أولا: إن الآيات ربما تكون ناظره إلى المراحل الاولى من حياه النبى الاعظم (صلى اللّه عليه و آله و سلم) فهو لم يكن يعلم، ثم علم، و اما متى علم؛ فالآيات لا تحدد لنا ذلک؛ فلربما يكون قد علم حينما كان فى سن العشرين مثلا، أو قبل ذلک أو بعده.

و ثانيا: إن السيد الطباطبائى يقول: إن الآيات ناظره إلى نفى العلم التفصيلى، أما العلم الاجمالى فقد كان موجودا؛ لأن عبد المطلب و أبا طالب و غيرهم كانوا مؤمنين باللّه، و كتبه اجمالا، و النبى أيضا كذلک (1)، لا سيما إذا قوّينا أنه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) كان نبيا منذ صغره- كما ذهب إليه البعض- و لسوف يأتى ذلک ان شاء اللّه تعالى فى فصل بحوث تسبق السيره.

و ثالثا: إن من معانى الدين: (السيره، و التدبير، و الورع، و العاده، و الشأن)؛ فلعل القصد فى هذه العباره، كان إلى احد هذه المعانى.

و رابعا: إن هذه الآيات بمثابه قضيه شرطيه مفادها: أنه صلى الله عليه و آله وسلم لو لا لطف اللّه به لم يكن يدرى ما الكتاب و لا الإيمان، لأنک أنت بنفسک و بما لديک من قدرات ذاتيه لست قادرا على شى ء و كذلک هو صلى الله عليه و آله وسلم لم يكن يرجو ذلک لو لا اللّه سبحانه.

مهر خديجه:

و على كل حال فإن أبا طالب قد ضمن المهر فى ماله، كما هو صريح خطبته، و لكن خديجه رضوان اللّه تعالى عليها عادت؛ فضمنت المهر فى مالها، فقال البعض: يا عجبا! المهر على النساء للرجال؟!7.

1- راجع: تفسير الميزان ج 18 ص 77.

فغضب أبو طالب، و قال: إذا كانوا مثل ابن أخی هذا طلبت الرجال بأغلی الاثمان، و اعظم المهر، و إن كانوا أمثالكم لم يزوجوا إلّا بالمهر الغالی.

و لكن يبقی: أن بعض الروايات تفيد: أن رسول اللّه (صلی اللّه عليه و آله و سلم) نفسه قد أمهرها عشرين بكره (1) و ذلک ينافی أن يكون أبو طالب قد ضمن المهر، أو هی ضمنته دونه، أو هی لأبی طالب.

إلا أن يكون المراد: أنه (صلی اللّه عليه و آله و سلم) قد أمهرها بواسطه أبی طالب.

و قيل: إن عليا (عليه السلام) هو الذی ضمن المهر، قالوا: (و هو غلط؛ لأن عليا لم يكن ولد علی جميع الأقوال فی مقدار عمره (2)).

و يرد عليه: أن ثمه اقوالا- و إن كنا لا نشک فی عدم صحتها- تفيد:

أنه (عليه السلام) قد ولد قبل البعثه بعشرين، أو بثلاث و عشرين سنه.

و لذا قال مغلطای: (و هو غلط، كان علی إذ ذاک صغيرا لم يبلغ سبع سنين (3).

و نحن نغلط هذه الاقوال، و نستغربها، إذ أن ذلک معناه أنه (عليه السلام) قد استشهد و عمره ست و سبعون سنه. و هو ما لم يقل به أحد.

فنحن لا نقبل قول مغلطای، و لا نقبل قول اولئک الذين يزعمون أنه قد ضمن المهر، و ذلک لما سيأتی فی تاريخ ميلاده عليه الصلاه و السلام.2.

1- السيره الحلبيه ج 1 ص 138 و راجع: تاريخ الخميس ج 1 ص 265 و السيره النبويه لابن هشام ج 1 ص 201 و السيره النبويه لابن كثير ج 1 ص 263 و السيره النبويه لدحلان ج 1 ص 107.
2- السيره الحلبيه ج 1 ص 139 عن الفسوی فی كتاب: ما روی أهل الكوفه مخالفا لأهل المدينه، و سيره مغلطای ص 12، و الأوائل ج 1 ص 161.
3- سيره مغلطای ص 12.

ثم نقول: إن أبا هلال العسكرى ذكر أنه لما قيل: من يضمن المهر؟ قال على و هو صغير: (أبى فلما بلغ الخبر أبا طالب جعل يقول:

بأبى أنت و أمى) (1).

و لرّبما يمكن تقريب هذا إذا أخذنا بعين الاعتبار ما يقال: من أن عليا (عليه السلام) قد ولد قبل البعثه بعشر أو بخمس عشره سنه أو ست عشره سنه، بل بثلاث و عشرين سنه، حسب بعض الاقوال النادره. ثم قارنا بينها و بين الاقوال التى تقرر: أنه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) قد تزوج خديجه و هو ابن ثلاثين سنه، أى قبل البعثه بعشر سنوات، أو و هو ابن سبع و ثلاثين سنه، كما عن ابن جريج (2) أى قبل البعثه بثلاث سنوات، و قيل: تزوجها قبل البعثه بخمس سنين (3). فلعله (عليه السلام) قد قال ذلک و هو طفل صغير فاستحسن ذلک منه عمه أبو طالب.

و عن مقدار المهر، قيل: إنه عشرون بكره. و قيل: إثنا عشر أوقيه و نش، أى ما يعادل خمس مئه درهم، و قيل غير ذلک (4).

عمر خديجه حين الزواج:

و يلاحظ هنا: مدى الاختلاف و التفاوت فى عمر خديجه حين9.

1- الأوائل لأبى هلال العسكرى ج 1 ص 161.
2- راجع تاريخ الخميس ج 1 ص 264. و راجع: مجمع الزوائد ج 9/ 219. و ذكرت بعض الأقوال فى التبيين فى أنساب القرشيين ص 62 و تاريخ اليعقوبى ج 2 ص 20 و مختصر تاريخ دمشق ج 2 ص 275 قيل: تزوجها و هو ابن ثلاثين سنه و كذا فى الاستيعاب (بهامش الإصابه) ج 4 ص 288 و سيره مغلطاى ص 12 و مثله فى المواهب اللدنيه ج 1 ص 38 و 202 و الروض الأنف ج 1/ 216.
3- الأوائل ج 1 ص 161.
4- راجع: السيره الحلبيه ج 1 ص 138 و 139.

اقترانها بالرسول الاكرم (صلى اللّه عليه و آله و سلم).

و هى تتراوح ما بين ال 25 سنه إلى ال 46 سنه و هى على النحو الآتى:

ألف- 25 سنه و صححه البيهقى (1).

ب- 28 سنه. هو مارجحه كثيرون (2).

ج- 30 سنه (3).

د- 35 سنه (4).

ه- 40 سنه (5).يس

1- دلائل النبوه للبيهقى ط دار الكتب العلميه ج 2 ص 71 و البدايه و النهايه ج 2 ص 294 و 295 و محمد رسول اللّه، سيرته و أثره فى الحضاره ص 45 و راجع: السيره النبويه لابن كثير ج 1 ص 265 و السيره الحلبيه ج 1 ص 140.
2- شذرات الذهب ج 1 ص 14 و اقتصر عليه فى بهجه المحافل ج 1 ص 48 و رواه عن ابن عباس كل من: أنساب الأشراف (قسم حياه النبى صلى الله عليه و آله وسلم) ص 98 و تهذيب تاريخ دمشق ج 1 ص 303 و سير اعلام النبلاء ج 2 ص 111 و مختصر تاريخ دمشق ج 2 ص 275. و البحار ج 16 ص 12 عن الجنابذى. كلهم عن ابن عباس. و رواه فى مستدرک الحاكم ج 3 ص 182 عن ابن إسحاق، دون أن يذكر له قولا آخر. و راجع سيره مغلطاى ص 12 و المحبر ص 79 و تهذيب الأسماء ج 2 ص 342 و تاريخ الخميس ج 1 ص 264 و السيره الحلبيه ج 1 ص 140.
3- راجع: السيره الحلبيه ج 1 ص 140 و تاريخ الخميس ج 1 ص 264 و سيره مغلطاى ص 12 و تهذيب تاريخ دمشق ج 1 ص 303.
4- البدايه و النهايه ج 2 ص 295 و السيره النبويه لابن كثير ج 1 ص 265 و راجع: السيره الحلبيه ج 1 ص 140.
5- أنساب الأشراف (قسم حياه النبى) ص 98 و سيره مغلطاى ص 12 و المحبر ص 49 و المواهب اللدنيه ج 1 ص 38 و 202 و شذرات الذهب ج 1 ص 14 و تاريخ الخميس

و- 44 سنه (1).

ز- 45 سنه (2).

ح- 46 سنه (3).

و قد تقدم: أن الكثيرين قد رجحوا القول الثانى، كما ذكره إبن العماد. أما البيهقى فقد صحح القول الأول، حيث قال: (بلغت خديجه خمسا و ستين سنه، و يقال: خمسين سنه، و هو أصح) (4)

فإذا كانت رحمها اللّه قد تزوجت برسول اللّه قبل البعثه بخمس عشره سنه كما جزم به البيهقى نفسه (5). فإن ذلک معناه: أن عمرها حين زواجها كان خمسا و عشرين سنه. و رجح هذا القول غير البيهقى أيضا (6).

أما الحاكم، الذى روى لنا القول الثانى المتقدم عن ابن إسحاق،5.

1- تهذيب تاريخ دمشق ج 1 ص 303 عن الواقدى.
2- تهذيب الأسماء ج 2 ص 342 و مختصر تاريخ دمشق ج 2 ص 275 عن الواقدى و السيره الحلبيه ج 1 ص 140 و راجع: سيره مغلطاى ص 12 و تاريخ الخميس ج 1 ص 301.
3- راجع: أنساب الأشراف (قسم حياه النبى صلى الله عليه و آله وسلم) ص 98.
4- دلائل النبوه ج 2 ص 71.
5- دلائل النبوه ج 2 ص 72 ط دار الكتب العلميه و البدايه و النهايه ج 2 ص 295. و غير ذلک كثير.
6- محمد رسول اللّه: سيرته، و أثره فى الحضاره ص 45.

فإنه لم يوضح لنا حقيقه ما يذهب إليه، غير أنه حين روى عن هشام بن عروه قوله: إن خديجه قد توفيت و عمرها خمس و ستون سنه. قال: (هذا قول شاذ، فإن الذى عندى: أنها لم تبلغ ستين سنه) (1).

فكلامه هذا يدل على أنه يعتبر القول بأنها قد تزوجت بالنبى و عمرها أربعون سنه، شاذ. و يرى: أن عمرها كان أقل من خمس و ثلاثين حينئذ، و لكنه لم يبين القول الذى يذهب إليه، هل هو ثلاثون؟ أو ثمان و عشرون؟

أو خمس و عشرون؟.

يتيم قريش، أكذوبه مفضوحه:

و عن ابن اسحاق: أن خديجه قالت له صلى الله عليه و آله وسلم : يا محمد، ألا تتزوج؟ قال: و من؟ قالت: أنا.

قال: و من لى بک؟ أنت أيّم قريش، و أنا يتيم قريش؟.

قالت: إخطب الخ. (2).

بل يذكر البعض أن أبا طالب قال للنبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم): أخاف ألّا يفعلوا، أيّم قريش. و أنت يتيم قريش. ثم إن أبا طالب أرسل بدلا عنه حمزه؛ لأنه خاف إن ذهب بنفسه أن يردوه فتكون الفضيحه (3).

و فى نص آخر: أن خديجه حين طلبت من أبى طالب أن يخطبها لمحمد من عمها، قال أبو طالب لها: (يا خديجه، لا تستهزئى) (4).8.

1- مستدرک الحاکم ج 3 ص 182.
2- السيره الحلبيه ج 1 ص 138.
3- الأوائل لأبى هلال العسكرى ج 1 ص 160/ 161.
4- السيره الحلبيه ج 1 ص 138.

و نحن لا نشک فی کذب کل ذلک؛ إذ کیف یمکن أن یصدر ذلک من رجل یزید عمره علی الخمس و عشرین عاما: أن یصف نفسه بأنه:

یتیم. هذا مع العلم بأنه قد نشأ و تربی فی أعرق بیت فی العرب؛ فکیف لم یکن یعرف أن الیتیم لا یطلق فی لغه العرب إلا علی غیر البالغ؟!.

و أیضا، فإن صدور ذلک من رجل هو فی عقل و ادراک، و شخصیه النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم)، و الذی هو من أعرق عائله عربیه، و أشرفها، و الذی کان فی إباؤه و سمو نفسه یفوق کل وصف، و یتجاوز کل حد- إن صدور ذلک منه- یکاد یلحق بالمستحیلات و الممتنعات.

ثم إنه لماذا اتصف محمد (صلی اللّه علیه و آله و سلم) فقط بالیتم؟

مع أن عبد المطلب قد مات و ابناه العباس و حمزه صغیران لم یبلغا الحلم (1)؟!

و الظاهر هو أن هذا من مجعولات اعداء الدین، أو من أهل الکتاب، أو من أذناب بنی أمیه، الذین کانوا یحاولون الحط من شأن رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله و سلم) کما قدمناه فی الجزء الأول من هذا الکتاب.

و هکذا یقال تماما بالنسبه لما ینسب لأبی طالب (علیه السلام)، لا سیما و أنه هو نفسه یقرّض النبی بذلک التقریض العظیم المتقدم.

و لعل الاصح هو أن القائل لذلک هو نساء قریش، کما سیأتی حین الحدیث عن عدم صحه ما یقال من زواجها من رجلین قبله (صلی اللّه علیه و آله و سلم).

و هکذا یقال تماما بالنسبه لما یقال: من أن عمها کان یأنف من أنه.

1- هذا ما ذکره المحقق البحاثه السید مهدی الروحانی حفظه اللّه.

يزوجها من محمد، يتيم أبى طالب (1)؛ فاحتالت هى عليه حتى سقته الخمر، فزوجها فى حال سكره؛ فلما أفاق، و وجد نفسه أمام الامر الواقع لم يجد بدا من القبول.

و كذا قولهم: إنه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) قد دخل على خديجه قبل التزويج، فأخذت بيده فضمتها إلى صدرها (2). إلى غير ذلک من كلام عجيب و غريب، يتناقض تماما مع كل اخلاق و سجايا النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) و سيرته، فإن كل ذلک كذب، ليس الهدف منه إلا الحط من كرامه النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) و تنقصه من قبل أعداء الاسلام، و مصائد الشيطان، نعوذ باللّه من الخذلان.

هل تزوج صلى الله عليه و آله وسلم خديجه طمعا فى مالها؟!

هذا، و قد جاء فى كلمات بعض المتهمين على الاسلام كلام باطل، تكذبه كل الشواهد التاريخيه، و هو أنه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) إنما تزوج خديجه طمعا فى مالها (3).

و لسنا نريد الاسهاب فى الاجابه على هذا الهذيان، فإن حياه النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) من بدايتها إلى نهايتها لخير شاهد على أنه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) ما كان يقيم للمال و زنا.

و قد انفقت خديجه سلام اللّه عليها كل أموالها طائعه راغبه، ليس على النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) و ملذاته، و انما على الدعوه إلى3.

1- السيره الحلبيه ج 1 ص 138 و تاريخ الإسلام (السيره النبويه) ص 65 ط دار الكتاب العربى، و مسند أحمد ج 1 ص 312 و مجمع الزوائد ج 9 ص 220.
2- السيره الحلبيه ج 1 ص 140.
3- النبوه، تأليف الشيخ محمد حسن آل ياسين ص 63.

الاسلام، و فی سبیل هذا الدین.

و أیضا فإن خدیجه هی التی عرضت نفسها علی النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) (1) و لم یتقدم هو (صلی اللّه علیه و آله و سلم) بطلب یدها، لیقال: إنه إنما فعل ذلک طمعا فی مالها.

و یری الشیخ محمد حسن آل یاسین أن حبه (صلی اللّه علیه و آله و سلم) و تقدیره لها فی أیام حیاتها بل و بعد مماتها، حتی لقد کان ذلک منه یثیر بعض زوجاته اللواتی ما رأین، و لا عشن مع خدیجه، دلیل واضح علی بطلان هذا الزعم (2).

خدیجه مثل أعلی:

و بالنسبه لعرض خدیجه نفسها علیه (صلی اللّه علیه و آله و سلم) نقول:

هکذا، تفعل الحره العاقله اللبیبه، فلا تغرها زبارج الدنیا و بهارجها، و لا تبحث عن اللّذه لأجل اللّذه، و لا عن المال و الشهره، و إنما تبحث عما یخدم هدفها الاسمی فی الحیاه، فتفعل- کما فعلت خدیجه- تردّ زعماء قریش، اصحاب المال و الجاه، و القدره، و السلطان، و تبحث عن رجل فقیر لا مال له، تبادر هی لعرض نفسها علیه؛ لأن کل ذلک لا یملأ عینها، لأنه کله ربما یکون سببا فی تدمیر الحیاه و الانسان، و حتی الانسانیه جمعاء. و انما هی تنظر فقط إلی الاخلاق الفاضله، و السجایا الکریمه، و إلی الواقعیه فی التعامل، و السمو فی الهدف.3.

1- البدایه و النهایه ج 2 ص 294 و السیره الحلبیه ج 1 ص 137 و السیره النبویه لابن هشام ج 1 ص 200/ 201 و تاریخ الخمیس ج 1 ص 264.
2- کتاب النبوه ص 63.

لأن كل ذلک هو الذی یسخر المال، و الجاه، و القوه، و کل شی ء لخدمه الانسان و الانسانیه، و تکاملها فی الدرجات العلی.

خدیجه بین نساء قریش:

و تجدر الاشاره هنا إلی أن عامه المؤرخین علی اختلاف أذواقهم، و مشاربهم، و نحلهم، یقولون: إن خدیجه کانت أجمل نساء قریش. کما أنه لا ریب فی أنها أفضل نسائه صلوات اللّه و سلامه علیها.

و لعل ذلک یفسر لنا السبب فی غیره بعض نساء النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) منها، حتی بعد وفاتها؛ بحیث کن یحاولن تنقصها، و الإزراء علیها باستمرار، مع أنهن لم یدرکنها فی بیت الزوجیه أصلا.

هذا، و لعل أم سلمه تأتی فی المرتبه الثانیه بین أزواجه (صلی اللّه علیه و آله و سلم) بعد خدیجه، فضلا و اخلاصا، و ولاء، و حتی جمالا، کما یظهر من کلام للامام الباقر (علیه السلام).

و علی کل حال: فقد کان ذوات الجمال و الاخلاص من ازواجه (صلی اللّه علیه و آله و سلم) یواجهن الغیره القاتله، و التآمر المستمر من قبل البعض الآخر من نسائه (صلی اللّه علیه و آله و سلم)، ممن لم یکن لهن نصیب من جمال، و لا من التزام تام بالأدب النبوی الکریم. بل کن یؤذینه (صلی اللّه علیه و آله و سلم) بمواقفهن و تصرفاتهن (1).

هل تزوجت خدیجه بأحد قبل النبی صلی الله علیه و آله وسلم ؟!

ثم إنه قد قیل: انه (صلی اللّه علیه و آله و سلم) لم یتزوج بکرا غیرب.

1- سیأتی لذلک مزید توضیح فی فصل: حتی بیعه العقبه، فی الجزء الثانی من هذا الکتاب.

عائشه، و أما خديجه، فيقولون: إنها قد تزوجت قبله (صلى اللّه عليه و آله و سلم) برجلين، و لها منهما بعض الأولاد. و هما عتيق بن عائذ بن عبد اللّه المخزومى، و أبو هاله التميمى.

أما نحن فنقول: اننا نشک فى دعواهم تلک، و نحتمل جدا أن يكون كثير مما يقال فى هذا الموضوع قد صنعته يد السياسه. و لا نريد أن نسهب فى الكلام عن اختلافهم فى إسم أبى هاله، هل هو النباش بن زراره أو عكسه، أو هند، أو مالک، و هل هو صحابى أولا. و هل تزوجته قبل عتيق. أو تزوجت عتيقا قبله (1).

و لا فى كون هند الذى ولدته خديجه هو ابن هذا الزوج أو ذاک، فإن كان ابن عتيق، فهو انثى (2) و إلا فهو ذكر. و أنه هل قتل مع على فى حرب الجمل، أو مات بالطاعون بالبصره (3).

لا، لا نريد أن نطيل بذلک، و إنما نكتفى بتسجيل الملاحظات التاليه:

أولا: قال ابن شهر آشوب: (و روى أحمد البلاذرى، و أبو القاسم الكوفى فى كتابيهما، و المرتضى فى الشافى، و أبو جعفر فى التلخيص:

أن النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) تزوج بها، و كانت عذراء.

يؤكد ذلک ما ذكر فى كتابى الانوار و البدع: أن رقيه و زينب كانتا..

1- راجع الأوائل ج 1 هامش ص 159.
2- راجع: الأوائل ج 1 ص 159 و قال: إن هندا هذه قد تزوجت من صيفى بن عائذ فولدت محمد بن صيفى.
3- للإطلاع على هذه الاختلافات و غيرها راجع المصادر التاليه، و قارن بينها: الإصابه ج 3 ص 611/ 612، و نسب قريش لمصعب الزبيرى ص 22، و السيره الحلبيه ج 1 ص 140، و قاموس الرجال ج 10 ص 431، و نقل عن البلاذرى و أسد الغابه ج 5 ص 12/ 13 و 71، و غير ذلک ..

ابنتی هاله أخت خدیجه (1).

و ثانیا: قال أبو القاسم الکوفی: (إن الاجماع من الخاص و العام، من أهل الانال (الآثار ظ) و نقله الاخبار، علی أنه لم یبق من أشراف قریش، و من ساداتهم و ذوی النجده منهم، إلا من خطب خدیجه، و رام تزویجها، فامتنعت علی جمیعهم من ذلک؛ فلما تزوجها رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله و سلم) غضب علیها نساء قریش و هجرنها، و قلن لها:

خطبک أشراف قریش و أمراؤهم فلم تتزوجی أحدا منهم، و تزوجت محمدا یتیم أبی طالب، فقیرا، لا مال له؟!

فکیف یجوز فی نظر أهل الفهم أن تکون خدیجه، یتزوجها اعرابی من تمیم، و تمتنع من سادات قریش، و أشرافها علی ما وصفناه؟! ألا یعلم ذوو التمییز و النظر: أنه من أبین المحال، و افظع المقال؟!) (2).

و أما الرد علی ذلک بأنه لا یمکن أن تبقی امرأه شریفه و جمیله هذه المده الطویله بلا زواج.

فلیس علی ما یرام، لأن ذلک لا یبرر رفضها لعظماء قریش و قبولها باعرابی من بنی تمیم.

و أما کیف یترکها أبوها أو ولیها بلا تزویج.

فقد قلنا: أن أباها قد قتل فی حرب الفجار، و أما ولیها، فلم یکن له سلطه الأب لیجبرها علی الزواج ممن أراد.

و بقاء المرأه الشریفه و الجمیله مده بلا زواج لیس بعزیز. إذا کانت تصبر إلی أن تجد الرجل الفاضل الکامل، الذی کان یعز وجوده فی تلک الفتره.0.

1- مناقب آل أبی طالب ج 1 ص 159، و البحار: و رجال المامقانی، و قاموس الرجال کلهم عن المناقب.
2- الاستغاثه ج 1 ص 70.

و ثالثا: كيف لم يعيرها زعماء قريش الذين خطبوها فردتهم، بزواجها من اعرابى بوّال على عقبيه؟!

و رابعا: لقد ذكروا: أن أول شهيد فى الاسلام ابن لخديجه رحمها اللّه، اسمه الحارث بن أبى هاله، استشهد حينما جهر رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) بالدعوه (1).

و نقول: إن ذلک لا يمكن قبوله، حيث قد روى بسند صحيح عندهم، عن قتاده: أن أول شهيد فى الاسلام هو سميه و الده عمار (2)، و كذا روى عن مجاهد (3). و عن ابن عباس: (قتل أبو عمار و أم عمار، و هما أول قتيلين قتلا من المسلمين) (4).

إلا أن يدعى: أن سميه كانت أول من استشهد من النساء، و الحارث كان أول من استشهد من الرجال.

و لكنه احتمال بعيد، و مخالف لظاهر كلماتهم، لا سيما و أن كلمه شهيد تطلق على الذكر و الأنثى بلفظ واحد، مثل قتيل و جريح.

فإن معنى كلمه: (شهيد): شخص، أو ذات ثبتت لها صفه الشهاده، لأن المشتقات تدل على ذات ثبت لها وصف مّا؛ فكلمه تقى معناها: شخص له التقوى، و قائم أيضا كذلک.

و كلمه شخص أو ذات أو نحوها تصدق على الرجل على حده،25

1- الأوائل لأبى هلال العسكرى ج 1 ص 311- 312 و الإصابه ج 1 ص 293 عنه و عن ابن الكلبى و ابن حزم و محاضره الأوائل ص 46.
2- الإصابه ج 4 ص 335 و طبقات ابن سعد ج 8 ص 193 ط ليدن.
3- الاستيعاب هامش الإصابه ج 4 ص 331.
4- صفين للمنقرى ص 325

و على المرأه كذلک، و على کليهما معا. و على هذا الاساس نفسر کلمه:

طلب العلم فريضه على کل مسلم، بحيث يشمل الرجل و المرأه معا.

أما إذا کان المشتق فيه (أل) الموصوليه، مثل القائم و المتقى، فإن الأمر يصبح أوضح و أجلى، و ذلک لأن (أل) بمنزله (الذى) فالقائم معناه الشخص الذى له القيام. فيصح أن يراد بها الرجل، و المرأه، و هما معا أيضا.

و على هذا الأساس جرت التعابير القرآنيه، مثل: المتقين، المؤمنين الشاکرين الخ .. فإنها تشمل الرجل و المرأه على حد سواء.

و ذلک واضح لا يخفى.

فتلخص مما تقدم: أن هذا النص لا يدل على وجود ابن لخديجه، مادام أنه قد ثبت حصول الکذب فى جزء منه.

و لعل هذا الکذب قد جاء لأجل الإيحاء بطريق غير مباشر بأن لخديجه ولدا من النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم)، و أن ذلک غير قابل للنقاش- و لکن- قد قيل: لا حافظه لکذوب.

و خامسا: لقد روى أنه کانت لخديجه أخت إسمها هاله (1)، تزوجها رجل مخزومى، فولدت له بنتا اسمها هاله، ثم خلف عليها- أى على هاله الاولى- رجل تميمى يقال له: أبو هند؛ فأولدها ولدا اسمه هند.

و کان لهذا التميمى إمرأه أخرى قد ولدت له زينب و رقيه، فماتت، و مات التميمى، فلحق ولده هند بقومه، و بقيت هاله أخت خديجه و الطفلتان اللتان من التميمى و زوجته الأخرى؛ فضمتهم خديجه إليها، و بعد أن تزوجت بالرسول (صلى اللّه عليه و آله و سلم) ماتت هاله، فبقيت الطفلتان فى حجر خديجه و الرسول (صلى اللّه عليه و آله و سلم).ى.

1- لها ذکر فى کتب الأنساب، فراجع على سبيل المثال: نسب قريش لمصعب الزبيرى.

و كان العرب يزعمون: أن الربيبه بنت، و لأجل ذلک نسبتا إليه (صلى اللّه عليه و آله و سلم)، مع أنهما ابنتا أبى هند زوج أختها و كذلک كان الحال بالنسبه لهند نفسه (1).

و لربما يمكن تأييد هذه الروايات بما ورد من الاختلاف فى اسم والد هند، فلتراجع المصادر التى ذكرناها ثمه.

زوجتا عثمان، هل هما بنات النبى صلى الله عليه و آله وسلم ؟!

و اننا بالاضافه إلى ما قدمناه آنفا عن الاستغاثه نذكر:

أن مما يدل على عدم كون زوجتى عثمان بنات له (صلى اللّه عليه و آله و سلم)- عدا عن كون بعض الاقوال تنافى ذلک- ما ذكره المقدسى، عن سعيد بن أبى عروه، عن قتاده، قال: ولدت خديجه لرسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم): عبد مناف فى الجاهليه، و ولدت له فى الاسلام غلامين، و اربع بنات: القاسم، و به كان يكنى: أبا القاسم؛ فعاش حتى مشى، ثم مات، و عبد اللّه، مات صغيرا. و أم كلثوم. و زينب. و رقيه.

و فاطمه (2).

و قال القسطلانى بعد كلام له: (و قيل: ولد له ولد قبل المبعث، يقال له: عبد مناف، فيكونون على هذا اثنى عشر، و كلهم سوى هذا ولد فى الاسلام بعد المبعث) (3).

كما أن بعضهم ينص على أنه قد صح عنده: أن رقيه كانت أصغر6.

1- راجع: الاستغاثه ج 1 ص 68- 69، و رساله حول بنات النبى صلى الله عليه و آله وسلم مطبوعه ط حجريه فى آخر مكارم الأخلاق ص 6.
2- البدء و التاريخ ج 5 ص 16 و ج 4 ص 139.
3- المواهب اللدنيه ج 1 ص 196.

من الكل حتى من فاطمه عليها السلام (1).

و بعد هذا، فكيف نصدق قول من يقول: انهما تزوجتا فى الجاهليه من ابنى أبى لهب، ثم جاء الاسلام ففارقاهما.

يقول المقدسى: (فزوّج رسول اللّه رقيه عثمان بن عفان، و هاجرت معه فى الهجرتين إلى الحبشه، و أسقطت فى الهجره الأولى علقه فى السفينه) (2).

نعم، كيف نصدق هذا، و نحن نعلم: أن الهجره الأولى إلى الحبشه كانت بعد البعثه بخمس سنين، فكيف تكون رقيه قد تزوجت قبل البعثه بإبن أبى لهب، ثم فارقها ليتزوجها عثمان، ثم تحمل منه قبل الهجره إلى الحبشه، و هى انما ولدت بعد البعثه؟! إن ذلک لعجيب!! و عجيب حقا!!.

و ثانيا: لقد ذكرت بعض الروايات: أن أبا لهب قد أمر ولديه بطلاق رقيه و أم كلثوم بعد نزول سوره (تبت يدا أبى لهب) (3). مع أنهم يقولون:

إن هذه السوره قد نزلت حينما كان النبى و المسلمون محصورين فى الشعب (4). و قد كان ذلک بعد الهجره الأولى إلى الحبشه.ل.

1- راجع: الإصابه ج 4 ص 304 عن الجرجانى، و الاستيعاب بهامش الإصابه ج 4 ص 299، 282. و فى ص 281 عن الزبير بن بكار؛ أن عبد اللّه، ثم أم كلثوم، ثم فاطمه، ثم رقيه كلهم ولدوا بعد الإسلام، و كذا فى البدايه و النهايه ج 2 ص 294. و نسب قريش صفحه 21.
2- البدء و التاريخ ج 5 ص 17 و تهذيب تاريخ دمشق ج 1 ص 298.
3- نسب قريش لمصعب الزبيرى ص 22 و تهذيب تاريخ دمشق ج 1 ص 293 و 298 و أسد الغابه ج 5 ص 456 و الاستيعاب (مطبوع بهامش الإصابه) ج 4 ص 299 و الدر المنثور ج 6 ص 409 عن الطبرانى.
4- الدر المنثور ج 6 ص 408 عن أبى نعيم فى الدلائل.

و ثالثا: لقد روي: أن خديجه ولدت للنبى عبد اللّه، ثم أبطأ عليها الولد، فبينما رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) يكلّم رجلا، و العاص بن وائل ينظر إليه، إذ مرّ رجل فسأل العاص عن النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) و قال: من هذا؟

قال: هذا الأبتر.

فأنزل اللّه: (إِنَّ شانِئَکَ هُوَ الْأَبْتَرُ) (1).

فظاهر الروايه: أنها حين ولدت عبد اللّه لم تكن قد ولدت غيره، أو أن من ولدتهم ماتوا جميعا حتى لم يعد للنبى أولاد أصلا. مع أن رقيه كانت عند عثمان قبل ولاده فاطمه، فلا يصح وصف العاص للنبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) بالأبتر فتنزل الآيه.

إلا أن يقال: إن العرب لم تكن تهتم بالبنات، بل الميزان عندهم هو خصوص الذكور، و لأجل ذلک وصفه العاص بالأبتر.

و رابعا: قد تقدم أن هناک من يقول: إن خديجه إنما تزوجت رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) قبل البعثه بعشر أو بثلاث، أو بخمس سنوات، فكيف تكون رقيه و زينب قد ولدتا من خديجه، و تزوجتا قبل البعثه؟!.

خامسا: ان الدولابى يقول: إن عثمان كان قد تزوج رقيه فى الجاهليه (2).

و ذلک كله يؤكد و يؤيد: أن رقيه التى تزوجها عثمان هى غير رقيه التى يدعى أنها بنت الرسول (صلى اللّه عليه و آله و سلم)، و التى يقال:7.

1- راجع تهذيب تاريخ دمشق ج 1 ص 294 و الدر المنثور ج 6 ص 404.
2- راجع: المواهب اللدنيه ج 1 ص 197.

إنها ولدت بعد البعثه، و أن التى تزوجها عثمان هى ربيبه النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم)، لا إبنته. و قد كانت العرب تطلق على ربيبه الرجل أنها ابنته كما قلنا: و كذلک يقال بالنسبه لأم كلثوم، لأن الفرض أنها قد ولدت بعد البعثه أيضا.

هل زينب بنت الرسول صلى الله عليه و آله وسلم أم ربيبته؟:

و أما عن زينب فلا نستطيع أن نطمئن إلى أنها كانت بنت رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) أيضا، لأننا بالاضافه إلى أن ما قدمناه آنفا حول زوجتى عثمان، كله بعينه جار هنا إذا كان أبو العاص بن الربيع قد تزوجها قبل البعثه- نشير إلى ما يلى:

1- قال مغلطاى عن خديجه: (ثم خلف عليها أبو هاله النباش بن زراره فولدت له هندا، و الحرث، و زينب، و كانت تكنى أم هند، و تدعى الطاهره) (1).

2- و عن عمرو بن دينار: أن حسن بن محمد بن على أخبره: أن أبا العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس بن عبد مناف، و كان زوجا لبنت خديجه فجى ء به للنبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) فى قدّ، فحلّته زينب بنت النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) الخ (2).

فالتعبير أولا ببنت خديجه يشير أنها لم تكن ابنته (صلى اللّه عليه و آله و سلم) و إن كان عاد فذكر أنها بنت النبى؛ فلا يبعد أنه يريد بنوتها له بالتربيه، و إلا فلماذا خصها أولا بأنها بنت خديجه؟! فنسبتها إلى خديجه أولا يكون قرينه على اراده بنوتها للنبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) بالتربيه.4.

1- سيره مغلطاى ص 12.
2- المصنف للحافظ عبد الرزاق ج 5 ص 224.

3- و يذكر الشيخ محمد حسن آل ياسين عن زينب أن: بعض المصادر تقول: إنها ولدت و عمره (صلى اللّه عليه و آله و سلم) ثلاثين سنه (1)، و تزوجها أبو العاص بن الربيع قبل البعثه، و ولدت له عليا مات صغيرا، و امامه، اسلمت حين اسلمت أمها أول البعثه النبويه (2).

و ذلک غير معقول، فإنه لا يمكن لبنت فى العاشره أن تتزوج، و يولد لها بنت، و تكبر تلک البنت حتى تسلم مع أمها فى أول البعثه؛ و هذا حيث لا تزال أمها فى العاشره من عمرها (3).

و لكن كلام هذا الباحث غير متين، لأن المقصود بالتى أسلمت هى و أمها هو زينب و خديجه، و ليس المقصود هو أمامه و زينب و ذلک ظاهر لا يخفى.

و بالنسبه لأم كلثوم فإن الروايات تذكر: أن عليا حين هاجر اصطحب معه خصوص الفواطم، و أم أيمن، و جماعه من ضعفاء المؤمنين (4).

و ليست أم كلثوم بينهم؛ فهل هاجرت قبل ذلک، أو بعده وحدها؟ و كيف لم يصطحبها على (عليه السلام) معه ليحميها من كيد قريش؟ و لماذا؟

و لماذا؟!.

و بعد ما تقدم نستطيع أن نقول: إننا لا يمكن أن نطمئن بشكل نهائى إلى ما يقال: من أن عثمان قد تزوج ابنتى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) للاحتمال القوى بأن تكونا ربيبتيه. و كذا بالنسبه لزينب زوجه أبى العاص.3.

1- أسد الغابه ج 5 ص 467، و نهايه الارب ج 18 ص 211، و الاستيعاب هامش الإصابه ج 4 ص 311.
2- راجع: كتاب النبوه هامش ص 65.
3- راجع هامش كتاب النبوه للشيخ محمد حسن آل ياسين ص 65.
4- سيره المصطفى ص 259. و السيره الحلبيه ج 2 ص 53.

و على هذا فيصح أن يقال: لمن تزوج ربيبه لشخص: أن ذلک الشخص قد صاهره، و نال درجه من القرب منه، و على هذا فلا منافاه بين ما ذكرنا، و بين قول أمير المؤمنين (عليه السلام) لعثمان: (و قد نلت من صهره ما لم ينالا) (1).

لكن يبقى: أن ذلک الصهر هل قام بواجباته تجاه ذلک الذى أكرمه بتزويج ربيبته له؟! فهذا بحث آخر، و له مجال آخر، و ستأتى بعض الاشارات لما كان من عثمان فى حق زوجتيه ربيبتى النبى الاكرم (صلى اللّه عليه و آله و سلم).

و مهما يكن من أمر فقد طبع لنا كتاب باسم بنات النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) أم ربائبه، فليرجع اليه من أراد التفصيل.

منافسون لعلى:

و لعل اصرار الآخرين على بنوتهن له (صلى اللّه عليه و آله و سلم)، و ارسالهم له إرسال المسلمات، يهدف إلى إيجاد منافسين لعلى فى فضائله الخارجيه، و لذلک أطلقوا على عثمان لقب (ذى النورين)!! هذا، مع العلم بأن سيرته لم تكن مع هاتين البنتين على ما يرام، كما سوف نشير إليه حين الحديث عن وفاتهما فى الجزء الرابع من هذا الكتاب إن شاء اللّه تعالى.

و يلاحظ أيضا: روايتهم الموضوعه حول زواج على ببنت أبى جهل، و التى مدح فيها رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) صهر أبى8.

1- نهج البلاغه ج 2 ص 85 و أنساب الأشراف ج 5 ص 60 و العقد الفريد ج 3 ص 376 و الجمل ص 100 عن المدائنى و الغدير ج 9 ص 74. عن بعض من تقدم و عن تاريخ الأمم و الملوک ج 5 ص 96 و عن الكامل فى التاريخ ج 3 ص 63 و عن البدايه و النهايه ج 7 ص 168.

العاص لرسول اللّه، تعريضا بعلى (عليه السلام) حيث كان فى مقام تحذيره، و الإزراء عليه. و سيأتى أيضا فى الجزء الرابع من هذا الكتاب بعض الكلام عن هذا الموضوع إن شاء اللّه تعالى.

خؤوله هند بن أبى هاله للامام الحسن (ع):

و قبل أن نترک الحديث حول هذا الموضوع إلى غيره، نسجل هنا تحفظا على ما يقال من أن الامام الحسن (عليه السلام) قال:

(سألت خالى هند بن أبى هاله عن حليه رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم)، و كان وصافا، و أنا أرجو أن يصف لى منها شيئا أتعلق به، قال: كان رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) فخما مفخما الخ).

قال الحسن فكتمها (فكتمتها. صح) الحسين بن على زمانا، ثم حدثته، فوجدته قد سبقنى إليه، فسأل أباه عن مدخل رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) و مخرجه، و مجلسه، و شكله، فلم يدع منه شيئا، قال الحسين سألت أبى الخ (1).

أقول:

أولا: سند هذا الحديث هو جميع العجلى، عن رجل من بنى تميم، من ولد أبى هاله، زوج خديجه أم المؤمنين رضى اللّه عنها، يكنى أبا عبد اللّه، عن ابن لأبى هاله، عن الحسن بن على الخ (2).

و نحن فى غنى عن التكلم حول هذا السند، فإن الأمر فيه بيّن.

و ثانيا: قد تقدم الإختلاف فى كون هند المتولد من خديجه، هل هو7.

1- راجع التراتيب الإداريه ج 2 ص 448 و 449 فما بعدها و دلائل النبوه ج 2 ص 286 ط دار الكتب العلميه.
2- المصدر السابق ص 447.

ذكر أم انثى، و أشرنا إلى اختلافهم فى أبيه من هو فيما تقدم؟!.

و ثالثا: إن الامام الحسن (عليه السلام) نفسه قد رأى النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) بنفسه، و عاش معه عده سنوات، و قد بايعه و شهد له على بعض عهوده، و خرج معه إلى مباهله النجرانيين و والخ.

فلماذا يشتهى أن يصف هند من رسول اللّه شيئا يتعلق به. فهل هو قد نسى جده يا ترى؟. و إذا كان قد نسى حقا، فلماذا لا يسأل أباه و هو أفصح العرب؟ و أعلم الأمه، الذى رباه النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) فى حجره، و كان يعرف عنه كل شى ء، مما دق و جلّ.

أم يعقل أن يكون هند مطلعا على أحوال النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) أكثر من على أمير المؤمنين عليه الصلاه و السلام؟!.

على أننا لم نجد فيما بين أيدينا من نصوص، حتى المكذوب منها ما يشير إلى أن هندا كان يعيش مع رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم)، أو بالقرب منه، أو أنه كان يحضر مجالسه، أو نحو ذلک، رغم أننا نسمع الكثير عن غيره ممن كانوا يأتون إلى مجلس النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) بين حين و آخر.

و رابعا: لا ندرى لماذا كتم الحسن (عليه السلام) أخاه هذا الأمر.

مع أننا لا نعرف عنه أنه كان يستأثر لنفسه على أخيه فى أمور كهذه.

خامسا: إن ما تقدم كله يدفع هذا الحديث و يلقى عليه ظلالا من الريبه و الشک.

سادسا: لا ندرى، من هو ابن أبى هاله الراوى عن الامام الحسن (عليه السلام)؛ فهل هو من أبناء خديجه أيضا؟! فإن كان الجواب بالإيجاب، فلماذا لم يحدثنا عنه التاريخ.

و إن كان هو ابن لأبى هاله من إمرأه أخرى غير خديجه. فهذا ما لم

يذكره التاريخ لنا أيضا، و لا أشارت إليه كتب الأنساب، و لا ذكر فى عداد الرواه، و لا فى كتب الرجال!!

ص: 135

ص: 136

الفصل الرابع: حتی البعثه

اشاره

حضور النبی صلی الله علیه و آله وسلم حرب الفجار:

و یذکر المؤرخون: أن حربا قد هاجت بین قیس من جهه، و قریش و کنانه من جهه أخری. فی الأشهر الحرم- و هی أشهر الحج، و رجب معها- و لذلک سمیت حرب الفجار.

و یقال إنه (صلی اللّه علیه و آله و سلم) قد حضر بعض أیامها، و شارک فیها فعلا، بنحو من المشارکه.

و لکننا بدورنا لا نستطیع أن نؤکد صحه ذلک، بل و نشک کثیرا؛ فیه و ذلک لأمور:

الأول: لقد وقعت حرب الفجار فی الأشهر الحرم، فی رجب. و لا نری مبررا لأن ینتهک أبو طالب و معه الرسول (صلی اللّه علیه و آله و سلم) حرمه الأشهر الحرم، کما یظهر لمن راجع سیرتهما و حیاتهما، و مدی تقیدهما بمثل هذه الأمور؛ فإنهما کانا مسلمین (1)، بل لقد کان أبو طالب مستودعا للوصایا (2)، کما ورد فی بعض الأخبار فی الکافی، بالإضافه إلی9.

1- راجع: البحار: ج 15 ص 117، و ستأتی مصادر أخری فی فصل: بحوث تسبق السیره، حین الکلام حول إیمان آباء النبی صلی اللّه علیه و آله و سلم.
2- الغدیر: ج 7 ص 394، و الکافی: ج 1 ص 445، و الدر المنثور للعاملی: ج 1 ص 49.

نصوص أخرى تدل على عظمته و ثبات قدمه فى الدين، فراجع ما ذكر فى الغدير، و غيره من الكتب المعده للحديث عن أبى طالب (عليه السلام).

إلا إذا وجّهت المشاركه: بأن حرب الفجار قد وقعت فى أشهر النسى ء، أو فى شعبان أو شوال، و كان سببها فى الأشهر الحرم (1).

و لكنه توجيه لا يعتمد على أى سند تاريخى؛ فلا مجال للتعويل عليه. بالإضافه إلى ما سيأتى.

الثانى: قال ابن واضح المعروف باليعقوبى: (و قد روى أن أبا طالب منع أن يكون فيها (أى فى حرب الفجار) أحد من بنى هاشم، و قال: هذا ظلم، و عدوان، و قطيعه رحم، و استحلال للشهر الحرام، و لا أحضره، و لا أحد من أهلى؛ فأخرج الزبير بن عبد المطلب مستكرها.

و قال عبد اللّه بن جدعان التيمى، و حرب بن أميه: لا نحضر أمرا تغيب عنه بنو هاشم) (2).

الثالث: إختلاف الروايات حول الدور الذى أداه النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) فى هذه الحرب؛ فبعضهم يروى: أن عمله (صلى اللّه عليه و آله و سلم) قد اقتصر على مناوله أعمامه النبل، و ردّ نبل عدوهم عليهم، و حفظ متاعهم (3).

و آخر يروى: أنه قد رمى فيها برميات، ما يحب أنه لم يكن قد9.

1- راجع السيره الحلبيه ج 1 ص 128، فإنه قد ذكر أن سبب الفجار قد كان فى الأشهر الحرم أما نفس الحرب فكانت فى شعبان. و أقول: و لكن ما معنى تسميتها حينئذ بحرب الفجار؟ .. هذا بالإضافه إلى تصريح اليعقوبى فى تاريخه بأن حرب الفجار كانت فى رجب فراجع.
2- تاريخ اليعقوبى ط صادر ج 2 ص 15.
3- سيره ابن هشام ج 1 ص 198، و تاريخ الخميس ج 1 ص 259.

رماها (1).

و ثالث يروى: أنه طعن أبا براء ملاعب الأسنه فصرعه (2) مع أنهم يقولون: إن عمره حينئذ كان أربع عشره سنه! (3)، أو أنه كان حينئذ غلاما (4). و لا ندرى إن كانت العرب تسمح للغلام بخوض المعارک و الحروب، أولا. و لا سيما بالنسبه إلى محمد (صلى اللّه عليه و آله و سلم)، الولد المتميز و العزيز جدا على عمه أبى طالب.

بل نجد البعض يناقض نفسه، فيقول: إن النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) قد ولد عام الفيل، و أنه حضر الفجار و عمره أربع عشره سنه، ثم يقول فى آخر كلامه: إن حرب الفجار كانت بعد عام الفيل بعشرين سنه (5).

و نشير إلى تناقض آخر هنا، و هو أن الكلام الذى نقلناه فى الأمر الثانى، عن اليعقوبى ينص على أن حرب بن أميه قد تغيب عن هذه الحرب، بينما نجد الروايات الأخرى تنص على أنه كان قد حضرها، و كان هو قائد قريش و كنانه.

سرّ التلاعب فى الروايات هنا:

و قد لفت نظرنا هذا التناقض الأخير، إذ لو كان الإختلاف فى رجل عادى من سائر أفراد الجيش، هذا يقول: حضر، و ذاک يقول: لم يحضر؛8.

1- السيره النبويه لدحلان ج 1 ص 51، و السيره الحلبيه ج 1 ص 127.
2- المصدران المتقدمان.
3- المصادر الأربعه المتقدمه إلا أن صفحه ابن هشام هى 195.
4- تاريخ اليعقوبى ج 2 ص 16 ط صادر.
5- تاريخ الخميس ج 1 ص 259، و سيره ابن هشام ج 1 ص 195 و 198.

لكان يمكن أن تلتمس بعض المبررات لاختلاف كهذا!! و أنه ربما يقال لا تعمد فى المقام!!.

ولكن إذا كان هذا يقول: كان فلان على رأس الجيش، و ذاک يقول: لم يحضر أصلا؛ فلا يمكن إلا أن يكون ثمه تعمد للكذب فى قضيه كهذه.

و لعل الهدف هو ابعاد حرب بن أميه عن حرب فيها ظلم، و عدوان، و قطيعه رحم، و فى الأشهر الحرم، و لو بالمخالفه لكل المؤرخين، لأن حرب بن أميه هو من تهتم الدوله برفعه شأنه، و تنزيه مقامه، و لو عن طريق الدجل و التزوير!!.

أما النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم)؛ فقد تقدم أن الخطه الملعونه كانت تهدف إلى عكس ذلک؛ و لذلک يلاحظ هنا: تعمد جعل النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) حتى بعد نبوته يظهر على أنه منسجم مع مشاركته فى حرب الفجار فى الأشهر الحرم، و التى فيها ظلم و عدوان، و قطيعه رحم، و استحلال للشهر الحرام، حتى ليقول: إنه رمى فيها برميات، ما يحب أنه لم يكن قد رماها!!.

حلف الفضول:

و بعد منصرف قريش من حرب الفجار دعا الزبير بن عبد المطلب (1) إلى حلف الفضول، و عقد الإجتماع فى دار عبد اللّه بن جدعان، و غمسوا أيديهم فى ماء زمزم، و تحالفوا و تعاقدوا على نصره المظلوم، و التأسى بالمعاش، و النهى عن المنكر، و كان أشرف حلف.م.

1- هو غير الزبير بن العوام، الذى حارب أمير المؤمنين عليه السلام فى وقعه الجمل، و قتل و هو منهزم.

و المتحالفون على ذلک هم: بنو هاشم، و بنو المطلب، و بنو أسد بن عبد العزى، و زهره، و تيم (1).

و أنكر البعض أن يكون بنو أسد بن عبد العزى فى حلف الفضول (2)، و قالوا: إن عبد اللّه بن الزبير قد ادّعى ذلک لهم فى الإسلام (3).

و قد حضر هذا الحلف نبينا الأعظم (صلى اللّه عليه و آله و سلم)، و أثنى عليه بعد نبوته، و أمضاه؛ فقد روى أنه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) قال: ما أحبّ أن لى بحلف حضرته فى دار ابن جدعان حمر النعم، و لو دعيت به لأجبت (4). أو ما هو قريب من هذا.

سبب هذا الحلف:

و سبب هذا الحلف: أن رجلا من زبيد قدم مكه ببضاعه، فاشتراها منه العاص بن وائل؛ فحبس عنه حقه؛ فاستعدى عليه الزبيدى الأحلاف، الذين كانوا يسمون: لعقه الدم، لأنهم حين تحالفوا غمسوا أيديهم بالدم على خلاف المطيبين المشار إليهم آنفا، الذين هم اصحاب حلف الفضول أيضا. و الأحلاف هم: عبد الدار، و مخزوم، و جمح، و سهم،7.

1- راجع: شرح نهج البلاغه للمعتزلى ج 14 ص 129، و نسب قريش لمصعب ص 383 فإنه قد شرح كلا الحلفين: حلف الأحلاف، لعقه الدم، و حلف المطيبين. و البدايه و النهايه ج 2 ص 293، و الأغانى: ج 16 ص 66 و 65.
2- الأغانى: ج 16 ص 66.
3- الأغانى: ج 16 ص 70.
4- أعيان الشيعه ج 2 ص 13، و سيره ابن هشام ج 1 ص 142، و البدايه و النهايه ج 2 ص 293 و 291، و تاريخ الخميس ج 1 ص 261، و السيره الحلبيه ج 1 ص 131، و السيره النبويه لدحلان ج 1 ص 53 و الأغانى: ج 16 ص 66 و 67.

و عدى بن كعب.

فأبى الأحلاف معونه الزبيدى على العاص بن وائل، و انتهروه، و ذلک لما كان يتمتع به العاص هذا من نفوذ، و سيأتى أنه قد أنقذ عمر من براثن أهل مكه.

فلما رأى الزبيدى الشر، صعد على أبى قبيس، و استغاث. فقام الزبير بن عبد المطلب، و دعا إلى الحلف المذكور؛ فعقد؛ ثم مشوا إلى العاص، و انتزعوا منه سلعه الزبيدى؛ فدفعوها إليه (1).

بنو أميه و حلف الفضول:

و أمّا ما ذكره أبو هريره من أن بنى أميه قد كانوا فى حلف الفضول؛ فهو ما لم يتابعه عليه أحد، و أنكره غير واحد من المؤرخين (2).

و كذا قول البعض: إن أبا سفيان، و العباس بن عبد المطلب، هما اللذان دعيا إلى هذا الحلف (3).

لكن روايه الأغانى ليست صريحه فى العباس بن عبد المطلب، فلعل المراد: العباس بن مرداس السّلمى، حيث إنه كان يتحدث عنه أولا؛ ثم جاء بهذه الروايه بعده ..

و لكن يرد عليه: أن العباس بن مرداس لا شأن له فى هذا الأمر...

1- البدايه و النهايه ج 2 ص 291، 292 و السيره الحلبيه ج 1 ص 132، و السيره النبويه لدحلان ج 1 ص 53.
2- البدايه و النهايه ج 2 ص 291، و السيره الحلبيه ج 1 ص 131 و السيره النبويه لدحلان ج 1 ص 53، و السنن الكبرى للبيهقى.
3- السيره الحلبيه ج 1 ص 132 و السيره النبويه لدحلان ج 1 ص 53، و كان سن العباس حينئذ يساعد على دعوه كهذه لأن عمره حينئذ كان لا يزيد على ثمانيه عشر عاما، كما يفهم من تاريخ عقد حلف الفضول ..

و أما إراده العباس بن عبد المطلب و أبی سفیان فلا یمکن قبولها، و ذلک لأمور:

أولا: إن هذا الحلف إنما کان ضد الأمویین، و کان سببه العاص بن وائل السهمی، حلیف الأمویین، و والد عمرو بن العاص. فکیف یشارک أبو سفیان فیه، فضلا عن یکون هو الداعی له؟!.

لا سیما و أنه قد تقدم: أن الأحلاف و منهم بنو أمیه قد طردوا الزبیدی حینما استجار بهم، و تاریخ أبی سفیان و أخلاقیاته لا تساعد علی موقف کهذا منه. الصحیح من السیره النبی الأعظم، مرتضی العاملی ج 2 143 بنو أمیه و حلف الفضول: ..... ص : 142

أضف إلی ذلک: أن أبا سفیان و العباس، لم یکونا مؤهلین من حیث السنّ و النفوذ و الإعتبار للقیام بأمر کهذا، کما أشیر إلیه فی الهامش.

ثانیا: ورد أن محمد بن جبیر بن مطعم، قدم علی عبد الملک، حین قتل ابن الزبیر، فقال له عبد الملک: یا أبا سعید، ألم نکن نحن و أنتم- یعنی عبد شمس بن عبد مناف، و بنی نوفل بن عبد مناف- فی حلف الفضول؟! قال: أنت أعلم. قال: لتخبرنّی یا أبا سعید بالحق من ذلک.

فقال: لا و اللّه، لقد خرجنا نحن و أنتم منه. قال: صدقت. و زاد البعض (و هو المعتزلی فی جواب ابن جبیر: و ما کانت یدنا و یدکم إلا جمیعا فی الجاهلیه و الإسلام) (1).

و ثالثا: کان عتبه بن ربیعه بن عبد شمس یقول: لو أن رجلا وحده خرج من قومه لخرجت من عبد شمس حتی أدخل فی حلف الفضول،م.

1- سیره ابن هشام ج 1 ص 143، و شرح النهج للمعتزلی ج 15 ص 226 عن الزبیر بن بکار، و الأغانی: ج 16 ص 68 و 70، لکن فی ص 69: أن ذلک قد کان بین معاویه و جبیر بن مطعم.

و ليس عبد شمس فى حلف الفضول (1).

و رابعا: مجموعه قضايا تدل على أن الأمويين ما كانوا فى حلف الفضول، و على أن الإسلام قد اعترف بهذا الحلف و أمضاه. و نذكر منها:

ألف: أنه كان الحسين (عليه السلام)، و الوليد بن عتبه الأموى أمير المدينه من قبل عمه معاويه منازعه فى مال متعلق بالحسين، فكأنّ الوليد تحامل على الحسين فى حقه لسلطانه، فقال الحسين: أحلف باللّه، لتنصفنى من حقى، أو لآخذن سيفى، ثم لأقومنّ فى مسجد رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم)، ثم لأدعونّ بحلف الفضول.

فاستجاب للحسين جماعه، منهم: عبد اللّه بن الزبير، و هو من أسد بن عبد العزى، و المسور بن مخرمه الزهرى، و عبد الرحمان بن عثمان التيمى؛ فلما بلغ الوليد ذلک أنصف الحسين من حقه حتى رضى (2).

ب: و حسب نص أبى هلال العسكرى: (كان بين الحسين (عليه السلام) و بين معاويه كلام فى أرض للحسين. فقال الحسين لإبن الزبير:

خيّره فى ثلاثه، و الرابعه الصيلم: أن يجعلک أو ابن عمر بينى و بينه. أو يقر بحقى، ثم يسألنى أن أهبه له. أو يشتريه منى؛ فإن أبى- فو الذى نفسى بيده- لأهتفن بحلف الفضول الخ (3).

ج: و عند أبى الفرج روايه جاء فى آخرها: أنه حينما أظهر معاويه إنزعاجه من عدم زياره الإمام الحسن المجتبى (عليه السلام) له، و هو فى8.

1- الأغانى: ج 16 ص 66 و 70.
2- سيره ابن هشام ج 1 ص 142 و السيره الحلبيه ج 1 ص 132، و الكامل لابن الأثير ط صادر ج 2 ص 42، و البدايه و النهايه ج 2 ص 293 و السيره النبويه لدحلان ج 1 ص 53 عن سيره الحافظ الدمياطى و أنساب الأشراف ج 2 ص 14، و الأغانى: ج 16 ص 68.
3- الأوائل ج 1 ص 73/ 74. و الأغانى: ج 16 ص 68.

المدينه، أغراه به ابن الزبير، فلم يستجب له معاويه.

فقال له إبن الزبير: (أما و اللّه إنى و إياه ليد عليک بحلف الفضول.

فقال معاويه: من أنت؟! لا أعرض لک، و حلف الفضول و اللّه إما الخ) (1).

فهذه النصوص تدل على قبول الأئمه (عليه السلام) بحلف الفضول و إمضائهم له، تبعا لرسول اللّه فى إمضائه له حسبما تقدم.

كما و تدل و لا سيما النص الأخير منها على أن معاويه و قومه ما كانوا فى حلف الفضول، الذى يعرّض له به إبن الزبير. كما أن مناداه الحسين (عليه السلام) بهذا الحلف، و استجابه الزبيريين، و غيرهم له ضد الأمويين، يشير إلى ذلک أيضا.

و بعد كل ما تقدم، فإن ما يريد أبو هريره، و من هم على شاكلته إثباته، تزلّفا و تقربا لأسيادهم من الحكام الظالمين، مما يكذبه كل أقوال المؤرخين، و كل الوقائع التاريخيه.

و لكن حرص أبى هريره على أن لا تفوت بنى أميه فضيله كهذه، هو الذى دفعه إلى إدخال الأمويين فى أشرف حلف فى العرب، و الذى يوافق مبادى ء الاسلام و شرائعه، و ينسجم مع الفطره السليمه و العقل القويم.

ملاحظه:

و يلاحظ اخيرا. أننا نجدهم يروون عن النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) ما يدل على لزوم التمسک بأحلاف الجاهليه (2).ى.

1- الأغانى ط ساسى ج 8 ص 108.
2- المصنف للحافظ عبد الرزاق ج 10 ص 306/ 370 و فى هامشه عن مسلم و الترمذى ج 4 ص 146 ط المكتبه الإسلاميه و عن سعيد بن منصور و عن فتح البارى ج 8 ص 173 و الدارمى.

و هی دعوه مغرضه و خبیثه، إلا إذا أرید منها خصوص حلف الفضول، الذی امضاه الاسلام. أو أی حلف آخر تنسجم اهدافه مع الاسلام، کالحلف الذی عقده عبد المطلب مع جماعه خزاعه، فلما قتلت قریش جماعه من خزاعه، استنصروا النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) استنادا إلی ذلک الحلف، و کان فتح مکه لذلک (1).

ملاحظات هامه علی حلف الفضول:

1- إن دعوه الحسین (علیه السلام) بحلف الفضول، انما کانت منه (علیه السلام) لأنه کان یعلم من خلال دراسته للاوضاع و للنفسیات أن هذه الدعوه سوف لن تنتهی إلی حد الخطر الاقصی. و قد کان یهدف منها إلی تعریف الناس علی واقع و حقیقه بنی أمیه، و انهم ظالمون عتاه، لا یهمهم إلا الدنیا و حطامها و أن الهاشمیین، و أهل البیت هم الذین یهتمون بالحفاظ علی العهود و المواثیق التی تهدف إلی نصره المظلوم، و الدفاع عن الحق.

و قد خاف معاویه من هذا الأمر بالذات، فاستسلم للحسین (علیه السلام)، و ارجع الحق إلی أصحابه.

کما أن هذه الدعوه قد کانت فی ظرف حرج، لا یمکن اللجوء فیه إلی أیه وسیله أخری غیرها، حتی و لا وسیله الثوره العامه ضد تلک الطغمه الفاسده، إذ أن إعلانه للثوره العامه حینئذ، و فی مناسبه کهذه، لسوف یفسر علی أنه لدوافع شخصیه، و لا علاقه له بالدفاع عن الدین و الأمه لا من قریب و لا من بعید.

و علیه فلو استشهد الامام الحسین (علیه السلام) و الحاله هذه فیی.

1- سیأتی الحدیث عن ذلک فی فتح مکه إن شاء اللّه تعالی.

هذه المناسبه، فسوف لا يكون لقتله أيه فائده تعود على الدين و الأمه. بل ربما يكون ضرر ذلک اکثر من نفعه؛ و ذلک عندما يلاحق ذلک معاويه الداهيه بحمله دعائيه مغرضه، يقضى فيها على الأمل الوحيد للأمه، و يفصل المجتمع المسلم نفسيا و فكريا عن أهل البيت (عليه السلام) بشكل عام، و عن أئمتهم بصوره خاصّه.

و ذلک لأن الظروف التى أوصلت معاويه إلى الحكم، و إن كانت واضحه لدى كثيرين من أهل العراق و الحجاز، إلا أن أهل الشام، الذين لم يعرفوا إلا الاسلام السفيانى، إسلام المصالح و الأهواء، الاسلام الذى يستحل كل شى ء فى سبيل الوصول إلى الأهداف الشخصيه، و اللذات الفرديه- نعم- إن أهل الشام الذين لم يتربوا تربيه اسلاميه صحيحه، و لا عرفوا عليا و أهل البيت على حقيقتهم، و لا عرفوا إسلام على، و لا مبادى ء على، و لا اهداف على (عليه السلام)، بل كان الأمويون يظهرون لهم:

أنهم هم قرابه النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) و هم أهل بيته، حتى ليدعى عشره من أمرائهم و قوادهم: أنهم ما كانوا يعرفون للنبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) أهل بيت غير بنى أميه (1).

بل إن معاويه ليتجرأ و يقول لأهل الشام: إن عليا (عليه السلام) لا يصلى!! (2).م.

1- النزاع و التخاصم للمقريزى ص 28، و شرح النهج للمعتزلى ج 7 ص 159، و مروج الذهب ج 3 ص 33، و عن دعواهم الخلافه بالقرابه من رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم راجع: العقد الفريد ط دار الكتاب العربى ج 2 ص 120؛ و حياه الإمام الرضا السياسيه للمؤلف ص 54/ 55.
2- الفتوح لابن اعثم ج 3 ص 196 و وقعه صفين لنصر بن مزاحم ص 354 و شرح النهج للمعتزلى ج 8 ص 36 و الكامل لابن الأثير ج 3 ص 313، و تاريخ الطبرى ج 4 ص 30، و الغدير ج 9 ص 122 عن بعضهم.

إن أهل الشام و الحاله هذه لا يمكنهم أن يدركوا واقع ما يجرى و ما يحدث. بل إن باستطاعه معاويه أن يموّه و يشبه الامر على غير أهل الشام أيضا؛ لمكره وشيطنته؛ فإنه قد تأمر على الشام من قبل عمر بن الخطاب، الذى احبه العرب، و اخلصوا له؛ لأنه أرضى غرورهم، و رفع معنوياتهم، بتفضيلهم على غيرهم، من أهل الامم الأخرى فى العطاء، و فى مختلف الشؤون. مع أنهم الذين كانوا إلى الأمس القريب لا قيمه لهم، يتيهون فى صحرائهم القاحله، يأكلون الجشب، و يشربون الكدر، إلى آخر ما تقدم فى أوائل الفصل الأول؛ ثم جاء الاسلام، فساواهم بغيرهم، و رفع من شأنهم، و قرّر: أن لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى.

و لكن سياسه عمر بن الخطاب قد اقتضت إعطاء كل الإمتيازات، و فى مختلف الشؤون لخصوص العرب، و حرمان غيرهم من كل الإمتيازات، و من كل شى ء (1).

فأحب العرب عمر بن الخطاب أعظم الحب، و قدّروه أجل تقدير، و صارت افعاله و أقواله عندهم قانونا متبعا، لا يمكن مخالفته، و لا الخروج عليه، و يكفى أن نذكر: أن مجرد توليته لأحدهم قد أوجبت لذلک الرجل عظمه و منزله خاصه (2).

بل إن عليا الذى لم يكن يرى لبنى اسماعيل فضلا على بنى اسحاق (3) لم يستطع أن يعزل شريحا عن القضاء؛ و قد أبى ذلک عليه أهل7.

1- راجع كتابنا: سلمان الفارسى فى مواجهه التحدى.
2- الثقات: ج 2 ص 295.
3- سنن البيهقى ج 6 ص 349 و الغدير ج 8 ص 240 عنه. و أنساب الأشراف، بتحقيق المحمودى: ج 2 ص 141. و الغارات: ج 1 ص 74- 77، و حياه الصحابه: ج 2 ص 112 عن البيهقى، و تاريخ اليعقوبى: ج 2 ص 183، و البحار ج 41 ص 137.

الكوفه، و قالوا له: لا تعزله؛ لأنه منصوب من قبل عمر، و بايعناک على أن لا تغير شيئا مما قرره أبو بكر و عمر (1).

كما أنه لم يستطع أن يمنع جيشه من صلاه التراويح؛ لأن عمر هو الذى شرّعها. و صاحوا و اسنّه عمراه (2). و لعل أول من صاح فى هذه المناسبه ب (وا عمراه) هو قاضيه شريح (3).

بل لقد نادوا بعلى (عليه السلام) فى حرب الجمل: (اعطنا سنه العمرين (4)).

و سمع رجل النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) يقول عن معاويه:

من أدرک هذا أميرا فليقرنّ خاصرته بالسيف؛ فرآه يخطب فى الشام؛ فأراد تنفيذ أمر رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم)، فقالوا له: أتدرى من استعمله؟.

قال: و من قالوا: أمير المؤمنين عمر.3.

1- كشف القناع عن حجيه الإجماع: 64، و راجع: تنقيح المقال: ج 2 ص 83، و قاموس الرجال: ج 5 ص 67.
2- راجع: شرح النهج للمعتزلى: ج 2 ص 283 و ج 1 ص 269، و الصراط المستقيم: ج 3 ص 26، و الكافى ج 8 ص 63 و تلخيص الشافى: ج 4 ص 58، و البحار ط حجريه: ج 8 ص 284، و راجع: الجواهر: ج 21 ص 337، و الوسائل: باب (10) من أبواب نوافل شهر رمضان، كتاب الصلاه، و كشف القناع: ص 65/ 66 و سليم بن قيس ص 126 ط مؤسسه البعثه.
3- راجع: قاموس الرجال: ج 5 ص 67.
4- الكامل للمبرد ج 1 ص 144 ط دار نهضه مصر. و راجع الكافى: ج 8 ص 59، و شرح النهج: ج 1 ص 269، و الكامل فى التاريخ: ج 3 ص 343، و الأخبار الطوال: ص 207، و أنساب الأشراف، بتحقيق المحمودى: ج 2 ص 370/ 371، و تنقيح المقال: ج 2 ص 83.

قال: سمعا و طاعه لأمير المؤمنين (1).

و قدّ صرح أمير المؤمنين فی خطبه له بأعمال كثيره لمن سبقوه. لم يستطع تغييرها، و لو أنه حاول ذلک لتفرق عنه جنده، حتی يبقی وحده، و قليل من شيعته. و هی أمور كثيره فلتراجع (2). و لتراجع أيضا الشواهد الكثيره التی تؤيد ذلک فی مصادرها.

ثم جاءت الدوله الأمويه، فاستنت بسنه عمر، و سارت بسيرته، و انتهجت نهجه.

و إذا كان معاويه قد تولیّ الشام من قبل عمر، و إذا كان قدموّه علی الناس فی قضيه قتل عثمان، و ألقی فی الناس الشبهات الكثيره حولها، حتی استطاع أن يقود جيشا ليحارب فی صفين اعظم رجل بعد الرسول الأعظم (صلی اللّه عليه و آله و سلم).

و إذا كان قد استغل قضيه التحكيم، و اضفی علی خلافته نوعا من الشرعيه المزوّره، التی يمكن تضليل العوام و السذج بواستطها.- إذا كان كل ذلک- فإن من الطبيعی أن يستطيع معاويه الذی وصل إلی الحكم فی مثل تلک الظروف الغامضه، أن يصوّر الحسين بن علی (عليه السلام)، بعد قتله علی أنه باغ و طاغ و طامع، تحركه المصالح الشخصيه، بل و حتی خارج عن الاسلام، و العياذ باللّه.

و لسوف يتمكن عن طريق الاخطبوط الأموی المتغلغل فی مختلف البلاد، و الذی استطاع أن يضع العراقيل فی طريق علی (عليه السلام)، و غيره من الأئمه الطاهرين، لسوف يتمكن من استغلال تلک الظروف6.

1- البحار ج 92 ص 36 عن معانی الأخبار.
2- الكافی ج 8 ص 59- 63 و سليم بن قيس ص 125/ 126.

الخاصه، فی الحجاز، و العراق، و فی الشام، ابشع استغلال، و لا سیما بالنسبه لأهل الشام، الذین ما کان یمکنهم ! إدراک واقع ما یجری و ما یحدث إلا عن طریق الجهاز الأموی نفسه.

یضاف إلی ذلک کله: أنه قد کان فی عهد الخلفاء قبل علی (علیه السلام)، و لأهداف سیاسیه معینه، ثمه حصار مضروب علی کبار الصحابه؛ فلم تتح لهم الفرصه لیتفرقوا فی البلاد، و ینشروا تعالیم النبی الاعظم (صلی اللّه علیه و آله و سلم) علی حقیقتها. بل حصروهم فی المدینه مده طویله. و من استطاع منهم الافلات منها قلیل، و من کان یصر علی الجهر بالحقیقه، فإنه یتعرض لمختلف انواع القهر و الاضطهاد، کما کان الحال بالنسبه لأبی ذر (رحمه اللّه) (1).

و هکذا .. فإن الصحابه لم یتمکنوا من الجهر بما تجیش، أو بکل ما تجیش به صدورهم، حتی أشرف هذا الجیل علی الفناء و الزوال، مما کان من شأنه أن یفسح المجال أمام الجهاز الحاکم لکل افتراء ضد أهل البیت (علیه السلام)، و ضد النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) نفسه، ثم ضد الاسلام بشکل عام.

و خلاصه الامر: إن قتل الحسین (علیه السلام) فی زمن معاویه لیس فقط لا یجدی و لا ینفع، و إنما یکون فیه قضاء تام علی الامل الوحید للدین، و الأمه، و للحق. و فی هذا خیانه حقیقیه ظاهره لکل ذلک، بمقدار ما کان استشهاد الحسین (علیه السلام) بعد ذلک وفاء للدین، و للأمه و للحق، عند ما لم یعد انحراف الحکم و لا دینیته، بل وعداؤه للدین خافیا علی أحد، و لم یکن بعد للدهاء و المکر، و للسیاسات المنحرفه: أن تتستر علیه، و لا أن تقلّل من وضوحه. و أصبح السکوت علیه فی تلک الظروف..

1- راجع مقالنا عن أبی ذر فی الجزء الأول من کتابنا: دراسات و بحوث فی التاریخ و الإسلام ..

هو الخيانه للدين، و للامه، و للحق.

و إلا فإن الحسين (عليه السلام) قد عاش فى حكم معاويه بعد استشهاد أخيه الحسن (ع) عشر سنوات، و لم يقم بالثوره ضده، مع أن الحسين (عليه السلام) الذى سكت فى زمن معاويه هو نفسه الحسين الذى ثار فى زمان يزيد. كما أن الانحراف و الظلم الذى كان فى زمان هذا قد كان فى زمان ذاک. و ما ذكرناه هو المبرر لسكوته هناک، و ثورته هنا.

هذا، و قد تمدّح الإمام الحسين (عليه السلام) أخاه الإمام الحسن (عليه السلام) على صلحه مع معاويه، و اعتبره إيثارا للّه عند مداحض الباطل، فى مكان التقيه بحسن الروايه. كما قاله (عليه السلام) و هو يؤبن أخاه الإمام الحسن (عليه السلام) حينما استشهد بسمّ معاويه (1).

و كتب أهل الكوفه أكثر من مره إلى الإمام الحسين (عليه السلام) يدعونه إلى الخروج إليهم فى خلافه معاويه، و فى كل ذلک يأبى عليهم (2)، و قد أمرهم بلزوم بيوتهم ما دام معاويه حيّا (3).

فالقول بأن سبب عدم ثورته على معاويه إنما هو عدم بيعه الناس له فى زمنه، لا يصح.

كما أن الناس كانوا قد بايعوا الإمام الحسن (عليه السلام)، فلماذا سكت؟ و لماذا لم يطالبه الحسين بالقيام؟! و لماذا يمدحه على صلحه لمعاويه؟2.

1- راجع: تهذيب تاريخ دمشق: ج 4 ص 230، و عيون الأخبار لابن قتيبه: ج 2 ص 314.
2- ترجمه الإمام الحسين (ع) من تاريخ دمشق (بتحقيق المحمودى): ص 197.
3- الأخبار الطوال: ص 221/ 222.

هذا ما أردنا الاشاره إليه هنا، و لهذا البحث مجال آخر.

2- و يلاحظ أيضا: أنه حين دعا الحسين (عليه السلام) بحلف الفضول قد استجاب له حتى أعداؤه، كابن الزبير، الذى لم يكن ليخفى على أحد، كيف كان موقفه من الهاشميين أيام خلافته حتى لقد كان يريد أن يحرقهم بالنار فى مكه، لولا وصول النجده لهم من العراق.

كما أنه قد قرت عينه- على حد تعبير ابن عباس- حين توجه الحسين (عليه السلام) إلى العراق.

أضف إلى ذلک: أنه قد قطع الصلاه على النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) فى خطبه، و لما عوتب على ذلک ادعى: أن هذا الحى من بنى هاشم إذا سمعوا ذكره (صلى اللّه عليه و آله و سلم) أشرأبت أعناقهم، و أبغض الاشياء إليه ما يسرهم. و فى روايه: إن له أهيل سوء الخ (1).

نعم، لقد استجاب للإمام الحسين صلوات اللّه و سلامه عليه حتى اعداؤه حين دعاهم بحلف الفضول، و لكنهم لا يستجيبون لداعى اللّه و الرسول الذى يأمرهم بقبول إمامه الحسنين (عليهما السلام) قاما أو قعدا و لا يدافعون عن إمامهم الذى خرج فى طلب الاصلاح فى أمه جده، بل و ينصبون العداء له و لأهل بيته عموما كما أشرنا إليه.

فما هو سر استجابتهم للنداء بحلف الفضول، ثم عدم استجابتهم للحسين، حين دعاهم للجهاد ضد أعداء الدين، فلم يخرج منهم أحد إلى كربلاء لمحاربه الظلم و الطغيان، و الانحراف عن الدين و الحق؟!.

مع أن القضيه الأولى و إن كانت تمثل مكافحه للظلم و التجبر، إلا أنها فى4.

1- راجع: العقد الفريد ج 4 ص 413 ط دار الكتاب العربى، و شرح النهج للمعتزلى ج 20 ص 127 و غير ذلک، و أنساب الأشراف ج 4 ص 28 و قاموس الرجال ج 5 ص 452، و مقاتل الطالبيين ص 474.

الحقيقه تنتهى إلى مسأله خاصه، محدوده الزمان و المكان، و الأشخاص، كما سوف تفسرها ابواق الدعايه الأمويه المغرضه.

أما فى قضيه كربلاء، فقد كان واضحا لدى كل أحد حقيقه أهداف الثوره. و قد أوضحها الامام الحسين (عليه السلام) أكثر من مره، و لم يبق مجالا للشک فى أنها ذات أهداف اسلاميه جامعه، بعيده كل البعد عن المكاسب الشخصيه و النفعيه المحدوده.

فلماذا السكوت؟، و ربما السرور من بعضهم بالمصير الذى لاقاه الامام الحسين (عليه السلام) هنا؟ ثم هم يهبون لنصرته، و القيام دونه، أو على الاقل يظهرون استعدادهم لذلک هناک؟! مع أن الأهداف إن لم تكن فى المآل واحده؛ فإنها فى قضيه كربلا أهم و اكثر مساسا بهم و بدينهم و كرامتهم .. فهل كانوا يهدفون إلى إضعاف عدوهم الأقوى أوّلا؟! أم أنهم أمنوا معاويه، و خافوا يزيد الخمور؟ ربما يكون ذلک، و ربما لأن حلف الفضول كان جاهليا، و هم إلى الجاهليه فى حقها و فى باطلها أقرب منهم إلى الاسلام، حتى حينما تكون القضيه مصيريه، و حتى و لو كانت مصيريه بالنسبه للأمه بأسرها، و بالنسبه للدين نفسه.

و لو أنهم التفتوا إلى أن حلف الفضول قد امضاه الاسلام، و صار اسلاميا فلربما يكون لهم حينئذ موقف آخر.

إن ذلک لعجيب حقا! و أى عجيب!!.

3- إن موقف الحسين هذا، و كذلک إمضاء النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) لهذا الحلف فى كلامه المتقدم، ليدل على أن الاسلام قد أمضى هذا الحلف؛ لأنه قائم على أساس الحق و العدل و الخير. و هل الاسلام إلا ذلک؟- إنه يمضيه- مع أن الذين قاموا به كانوا وقتها على الشرک و الكفر. و لكنه يهدم مسجد الضرار، مع أن الذين بنوه كانوا يتظاهرون بالاسلام، و يتعاملون على اساسه، بحسب الظاهر.

و هذا ما يؤكد واقعيه الاسلام، و أنه إنما ينظر إلى عمل يدى الصياد لا إلى دموع عينيه، و أنه لا يغتر بالمظاهر، و لا تخدعه الشعارات مهما كانت براقه، إذا كانت تخفى وراءها الوصوليه، و الخيانه و التآمر، فالحق حق، و مقبول، و لا بد من الالتزام به، و التعامل على أساسه، و لو صدر من مشرک، و الباطل باطل و مرفوض، و لا يجوز الالتزام به، و لا التعامل على أساسه، مهما كانت الشعارات براقه و مغريه.

و لهذا نفسه نجد أمير المؤمنين أيضا يرفض خدعه رفع المصاحف على الرماح فى صفين و يحذر منها. و لقد كان هو المصيب فى رفضه.

و غيره، ممن كان يتظاهر بالتقى و العباده كان هو المخطئ.

وفقنا اللّه للسير على هدى أمير المؤمنين على (عليه السلام)، و تأثّر خطاه، و العمل بمنهاجه، الذى هو نهج الايمان و الإسلام، إنه ولى قدير.

4- إن اهتمام النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم)، و الأئمه (عليهم السلام) بحلف الفضول إنما يدل على أن الاسلام ليس منغلقا على نفسه، و إنما هو يستجيب لكل عمل إيجابى فيه خير الانسان، و يشارک فيه على أعلى المستويات، انطلاقا من الشعور بالمسؤوليه، و انسجاما مع أهدافه العليا، و مع المقتضيات الفطريه، و احكام العقل السليم.

5- أما استجابه الذين استجابوا للزبير بن عبد المطلب حينما دعا لعقد هذا الحلف، فلعل لهم دوافع مختلفه باختلاف الأشخاص، و البيوتات، و القبائل، و نذكر من هذه الدوافع:

ألف: الدافع الفطرى الإنسانى؛ لأن هذا هو ما تحكم به الفطره، و العقل السليم، ثم هو ينسجم مع الشعور الإنسانى، و الأخلاقى.

ب: الدافع المصلحى، و ذلک لأن عدم الأمن فى مكه لسوف يقلل من رغبه التجار فى الوفود عليها، و التعامل مع أهلها.

ج: وثمه دوافع أخرى ربما تكون لدى بعضهم، كالحفاظ على قدسيه مكه و أهلها فى نفوس العرب؛ و غير ذلک. و قد تقدم فى الفصل الأول ما يفيد هنا؛ فراجع إن شئت.

تاريخ ولاده أمير المؤمنين (ع):

أما عن تاريخ ولاده أمير المؤمنين (عليه السلام) ففيه إثنا عشر قولا على وجه التقريب، تبدأ من سبع، حتى ست عشره سنه قبل البعثه، و قال آخرون: ولد قبل البعثه بعشرين، و غيرهم بثلاث و عشرين سنه (1).0.

1- راجع الأقوال المذكوره كلا أو بعضا فى الكتب التاليه: المصنف لعبد الرزاق ج 5 و العقد الفريد ج 4 ص 311، و أنساب الأشراف، و مقاتل الطالبيين ص 26، و الأنس الجليل ج 1 ص 178، و التهذيب ج 7 ص 336، و الأوائل، و تاريخ الخميس ج 1 ص 279 عن شواهد النبوه، و طبقات ابن سعد ط ليدن ج 3 ص 13، و المعارف لابن قتيبه ص 51، و حياه الحيوان ج 1 ص 54، و البحار، و ينابيع الموده، و تاريخ بغداد ج 1 ص 134، و ذخائر العقبى ص 58، و الاستيعاب، و سنن البيهقى ج 6 ص 206، و نزهه المجالس، و مناقب الخوارزمى و أسد الغابه ج 4 ص 16- 18، و البدايه و النهايه، و مجمع الزوائد ج 9 ص 102، و فتح البارى ج 7 ص 57، و إحقاق الحق ج 7 ص 538- 554. و القول بالعشر موجود فى: الفصول المهمه لابن الصباغ ص 12 و الاستيعاب ج 3 ص 30 ط صادر، و طبقات ابن سعد ط مصر ج 3 ص 21، و سيره ابن هشام ج 1 ص 262، و الكافى ج 1 ص 376، و إرشاد المفيد ص 9، و إعلام الورى ص 153، و مناقب آل أبى طالب ج 2 ص 78، و تاريخ الخميس ج 1 ص 286، و مستدرک الحاكم ج 3 ص 111، و تلخيصه بهامشه للذهبى، و مناقب الخوارزمى ص 17، و تاريخ الخلفاء ص 166 و البدايه و النهايه ج 3 ص 26، و ذخائر العقبى، و أنساب الأشراف، و ملحقات إحقاق الحق ج 7 عن بعض من تقدم. و للقول بالإثنى عشر راجع: البحار ج 35 ص 7 و إحقاق الحق ج 7 ص 549، عن نهايه الإرب ج 8 ص 181 و الاستيعاب ج 3 ص 30. و نقلت كثير من الأقوال عن المصادر التاليه: إكمال الرجال ص 687 و الروضه النديه ص 13، و احكام الأحكام ج 1 ص 190، و أنباه الرواه فى أنباء النحاه ج 1 ص 11، و نهايه الارب ج 8 ص 181، و المختصر فى أخبار البشر ج 1 ص 115، و نظم درر السمطين ص 81 و 82، و الرياض النضره ج 2 ص 156 و الغره المنيفه ص

176 و شرح المواهب للزرقانى ج 1 ص 242، و الطبقات المالكيه ج 2 ص 71، و المصباح الكبير ج 560.

و يمكن أن تقلّ الأقوال عن ذلک، إذا قلنا: إنه لا منافاه بين القول:

بأنه ولد قبل البعثه باثنى عشره سنه، و بين القول بأنه ولد قبلها بخمس عشره سنه، إذا كان القائل بالثانى لا يسقط السنوات الثلاث الأولى من بعثته صلى الله عليه و آله وسلم من الحساب، لأن النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) لم يكن يجهر فيها بالدعوه.

و لعل اختلافهم فى مده نبوته صلى الله عليه و آله وسلم فى مكه على قولين: عشر سنوات، و ثلاث عشره سنه سببه ذلک أيضا.

بل نجد البعض يقول إن سرّيه الدعوه قد استمرت خمس سنوات، فيمكن بملاحظه هذا و ما تقدم فى سائر الاقوال: أن تقلّ الأقوال عن ذلک كثيرا. ولكن هذا على أى حال يبقى مجرد احتمال.

و على كل حال، فإن القول بالإثنى عشر، و إن كان مرويا عن أهل البيت، إلا أن القول الآخر، و هو أن ولادته كانت قبل البعثه بعشر سنوات مروى أيضا، و هو المشهور عند علمائنا، و عند غيرهم، كما يظهر من ملاحظه المصادر المتقدمه.

و لذا، نقول: إن هذا القول المعتضد بالشهره هو الأولى بالاعتماد و الإعتبار. لا سيما و أنه مروى عن أهل البيت الذين هم أدرى من كل أحد بما فيه.

و أما محاولات البعض الاستفاده من ذلک، و استنتاج نتيجه معينه

لتأكيد فكره معينه، من قبيل ادعاء أن عليا هو أول من اسلم من الصبيان؛ ليكون أبوبكر أول من أسلم من الرجال. فسيأتى عند الحديث عن اسلام أمير المؤمنين (عليه السلام): أن هذا لا يمكن أن يصح بأى وجه.

أول هاشمى ولد من هاشميين:

لقد ولد أمير المؤمنين (عليه السلام) و هو الشخصيه الأولى بعد الرسول، و الذى تربّى فى حجر الوحى، و ارتضع لبان النبوه من أبوين قرشيين هاشميين، هما: أبو طالب، شيخ الابطح. و فاطمه بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف.

و قال الكلينى و غيره: (و هو أول هاشمى ولد هاشم مرتين) و قريب منه غيره (1).

و علق المجلسى: بأن اخوته طالبا، و عقيلا، و جعفرا قد ولدوا قبله من هذين الهاشميين. و قول التهذيب و غيره: (فى الاسلام)، لا يصحّح ذلک؛ إذ لو كان مرادهم أنه ولد بعد البعثه فهو لا يصح، للاتفاق على أنه قد ولد قبلها.

و لو كان المراد: أنه الوحيد الذى ولد بعد ولاده الرسول، فهو كذلک لا يصح، لأن أكثر إخوته قد ولدوا بعد ولاده النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم)، مع أنه اصطلاح غريب غير معهود (2).

و الصحيح: أن يقال كما قال المعتزلى، و الشهيد، و غيرهما: (و أمه6.

1- الكافى ج 1 ص 376، و نسب قريش لمصعب الزبيرى ص 17، و التهذيب للشيخ ج 6 ص 19 و البحار ج 35 ص 5 عنه و عن الكافى، و أسد الغابه ج 4 ص 16 و ج 5 ص 517 و الفصول المهمه لابن الصباغ ص 13.
2- راجع: البحار ج 35 ص 6.

أول هاشميه ولدت لهاشمى) (1).

ولاده أمير المؤمنين (ع) فى الكعبه:

لقد ورد أنه عليه الصلاه و السلام قد ولد فى جوف الكعبه أعزها اللّه، فى يوم الجمعه فى الثالث عشر من شهر رجب. و أن هذه فضيله اختصه اللّه بها، لم تكن لأحد قبله، و لا بعده، و قد صرح بذلک عدد كبير من العلماء، و رواه الأثر، و نظمها الشعراء و الادباء. و ذلک مستفيض عند شيعه أهل البيت (عليهم السلام)، كما أنه كذلک فى كتب غيرهم، حتى لقد قال الحاكم و غيره:

(تواترت الأخبار: أن فاطمه بنت أسد، ولدت أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم اللّه وجهه فى جوف الكعبه ...).

و صرح بأنه لم يولد فيها أحد سواه عدد من العلماء و المؤرخين (2).ات

1- البحار ج 35 ص 6 عن الدروس للشهيد، و شرح النهج للمعتزلى ج 1 ص 13 و ج 15 ص 278 و البدء و التاريخ ج 5 ص 71، و نسب قريش لمصعب ص 40، و نزهه المجالس ج 2 ص 165، و معرفه الصحابه لأبى نعيم مخطوط فى مكتبه طوپ قپوسراى رقم 1/ 497 أ الورقه 19 و ذخائر العقبى ص 55 و المعارف لابن قتيبه ص 88.
2- راجع مستدرک الحاكم ج 3 ص 483، و تلخيصه للذهبى هامش نفس الصفحه، و نور الأبصار ص 76، و الفصول المهمه لابن الصباغ ص 12، و كفايه الطالب للكنجى الشافعى ص 406 و 407 و مناقب الإمام أمير المؤمنين لابن المغازلى ص 7 و ذكر ولادته فيها أيضا: أسد الغابه ج 4 ص 31 و السيره الحلبيه ج 1 ص 139 و نزهه المجالس ج 2 ص 204. و تذكره الخواص ص 10 و نقله صاحب الغدير ج 6 ص 22- 38 عن عشرات المصادر مثل: إزاله الخفاء للدهلوى، و الآلوسى فى شرح الخريده الغيبيه، ص 15 و مروج الذهب ج 2 ص 2 و شرح الشفا ج 1 ص 151، و المناقب لمحمد صالح الترمذى، و آئينه تصوف ص 1311 و روائح المصطفى ص 10 و كتاب الحسين للسيد على جلال الدين ج 1 ص 16، و نقله أيضا عن عشرات

و يقول السيد الحميرى، المتوفى فى سنه 173 ه:

ولدته فى حرم الاله و أمنه و البيت حيث فناؤه و المسجد

بيضاء طاهره الثياب كريمهطابت و طاب وليدها و المولد

فى ليله غابت نحوس نجومهاو بدا مع القمر المنير الاسعد

ما لف فى خرق القوابل مثله إلا أبن آمنه النبى محمد

و يقول عبد الباقى العمرى:

أنت العلى الذى فوق العلى رفعابطن مكه وسط البيت إذ وضعا و لكن نفوس شانئى على (عليه السلام)، قد نفست عليه هذه الفضيله التى اختصه اللّه بها، فحاولت تجاهل كل أقوال العلماء و المؤرخين، و رواه الحديث و الأثر، و الضرب بها عرض الجدار، حيث نجدهم- و بكل جرأه و لا مبالاه- يثبتون ذلک لرجل آخر غير على (عليه السلام)، بل و يحاولون التشكيک فى ما ثبت لعلى أيضا، حتى لقد قال فى كتاب النور:

(حكيم بن حزام ولد فى جوف الكعبه، و لا يعرف ذلک لغيره. و أما ما روى من أن عليا ولد فيها فضعيف عند العلماء (1)).40

1- راجع: السيره الحلبيه ج 1 ص 139، و ذكر ولادتها فيها فى أسد الغابه ج 2 ص 40

و قال المعتزلی: (کثیر من الشیعه یزعمون: أنه ولد فی الکعبه، و المحدّثون لا یعترفون بذلک، و یزعمون: أن المولود فی الکعبه حکیم بن حزام (1).

ثم حاول الحلبی و الدیار بکری الجمع و الصلح بین الفریقین، باحتمال ولاده کلیهما فیها (2).

و لکن کیف یصح هذا الجمع، و نحن نجد عددا ممن قدمنا أسماءهم، و غیرهم ممن ذکرهم العلامه الأمینی فی کتاب الغدیر، و غیره، یصرّون علی أنه لم یولد فی جوف الکعبه سوی علی، لا قبله و لا بعده؟! و أن تلک فضیله اختصه اللّه بها دون غیره من العالمین؟!

و کیف یقبل ذلک الجمع، و نحن نجد الحاکم یصرح بتواتر الأخبار فی ولاده أمیر المؤمنین (علیه السلام) فی جوف الکعبه؟!. فهل الحاکم بنظر المعتزلی جاهل بالحدیث؟!

و من أین لحدیث ولاده حکیم بن حزام حتی خصوصیه صحه سنده.

فضلا عن أن یکون متواترا و مقطوعا به؟!.

لماذا حکیم بن حزام؟!

و إنما اثبتت هذه الفضیله لحکیم بن حزام؛ لأنه کان للزبیریین فیه هوی؛ فإنه ابن عم الزبیر، و ابن عم اولاده؛ فهو حکیم بن حزام بن خویلد بن أسد بن عبد العزی، و الزبیریون ینتهون أیضا إلی أسد بن عبد العزی.9.

1- شرح النهج ج 1 ص 14.
2- تاریخ الخمیس ج 1 ص 279، و السیره الحلبیه ج 1 ص 129.

و لم يسلم حكيم إلا عام الفتح، و هو من المؤلفه قلوبهم. (1) و كان يحتكر الطعام على عهد رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم (2) و عن المامقانى: نقل الطبرى:

أنه كان عثمانيا متصلبا تلكأ عن على (3)، و لم يشهد شيئا من حروبه (4).

و إذن فمن الطبيعى أن يروى الزبير بن بكار، و مصعب بن عبد اللّه، (5) و هما لا شک فى كونهما زبيريى الهوى: أنه لم يولد فى جوف الكعبه سواه، و ذلک على خلاف جميع الأخبار المتواتره، و مخالفه لكل من نص على أنه لم يولد فيها سوى أمير المؤمنين (عليه السلام) لا قبله و لا بعده؟!.

تجديد بناء الكعبه أعزّها اللّه تعالى:

و يقولون: إن الكعبه قد جاءها سيل جارف تجاوز الردم، الذى كان قد وضع ليمنع من مثل ذلک؛ فدخلها، و صدع جدرانها.

و يقال أيضا: إنها كانت قد احترقت حينما أرادت احدى النساء تبخيرها فطارت شراره إلى ثياب الكعبه فاحترقت جدرانها (6). ثم جاء السيل بعد ذلک فزاد فى تصدعها حتى خاف الناس عليها.

و يرى البعض: أن هذا الحريق كان فى زمان ابن الزبير.ى.

1- الإصابه ج 1 ص 349، و الاستيعاب ج 1 ص 320 هامش الإصابه.
2- وسائل الشيعه كتاب التجاره ص 316.
3- قاموس الرجال ج 3 ص 387 عن تنقيح المقال.
4- قاموس الرجال ج 3 ص 387.
5- راجع: الإصابه ج 1 ص 349، و مستدرک الحاكم ج 3 ص 483.
6- مصنف عبد الرزاق ج 5 ص 319، و البدايه و النهايه ج 2 ص 300 كلاهما عن الزهرى.

و رفع الحلبى التنافى باحتمال حصول الحريق مرتين (1).

و نحن نقول: انه يبدو أن دعوى احتراقها على هذا النحو الاتفاقى، إنما صيغت للتخفيف من الامتعاض الناشى ء من جرأه الامويين على بيت اللّه الحرام، حيث إنها قد تصدعت حينما ضربت بالمنجنيق و بالنار من قبلهم، و تركها ابن الزبير ليراها الناس محترقه، يحرضهم على أهل الشام (2).

و مهما يكن من أمر. فقد اتفقت قريش قبل بعثه النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) على هدمها، و إعاده بنائها، و أن يرفع بابها، حتى لا يدخلها إلا من شاؤا، و أعدّوا لذلک نفقه طيبه، ليس فيها مهر بغى، و لا بيع ربا، و لا مظلمه مما اخذوه غصبا، أو قطعوا فيه رحما، أو انتهكوا فيه حرمه، أو ذمه (3).

و بدأت كل قبيله تجمع الحجاره على حده، و يقولون: إنه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) قد شارک فى جمع الحجاره. و كان أول من جرأهم على هدمها هو الوليد بن المغيره.

و تجزأت قريش الهدم و البناء، لكل قبيله شق، وجهه معينه. و قد اختلف المؤرخون فى اختصاصات هذه القبائل بتلک الجهات1.

1- السيره الحلبيه ج 1 ص 141.
2- صحيح مسلم هامش القسطلانى ج 6 ص 18، و الكامل لابن الأثير ج 4 ص 124 ط صادر و ذكر فى الكامل عن البخارى قولا آخر، و هو أنها احترقت فى زمن ابن الزبير، بسبب نار أوقدها أصحابه حولها. و أقول الظاهر أن الأمويين أرادوا رد التهمه فى جنايتهم على ابن الزبير و أصحابه.
3- سيره ابن هشام ج 1 ص 206 و البدايه و النهايه ج 2 ص 301، و السيره الحلبيه ج 1 ص 141.

و الأجزاء (1). و لا مجال لتأكيد أو نفى أى من الأقوال فى ذلک، و لا سيما فى موارد كهذه، يجهد فيها كل فريق أن ينيل من يميل إليهم بعض الشرف، و مواقف الكرامه.

و أما عن تاريخ بناء البيت فقد اختلفت كلمات المؤرخين فيه، فهذا يقول: إن بناءه كان حين بلوغه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) الحلم، أى بعد الفيل ب 15 سنه (2). و آخر يقول: إنه بنى بعد الفيل بخمس و عشرين سنه (3). و ثالث يقول: إنه كان بعد الفيل بخمس و ثلاثين سنه، أى قبل البعثه بخمس سنين (4).

و لعل هذا الأخير هو الاشهر:

وضع الحجر الأسود:

و لما بلغ البنيان موضع الحجر الاسود اختصموا: كل قبيله تريد هى أن تنال شرف رفعه إلى موضعه. و كاد أن يؤدى الامر بهم إلى السيف، حتى جاء بنو عبد الدار، و بنو عدى بإناء فيه دم؛ فوضعوا أيديهم فيه، و معهم بنو سهم، و بنو مخزوم (5)، و تحالفوا على الموت،، فسموا:

(لعقه الدم) (6). حتى أشار أبو أميه بن المغيره- و الد أم سلمه، أم3.

1- راجع: سيره ابن هشام ج 1 ص 207، و البدايه و النهايه ج 2 ص 302، و السيره الحلبيه ج 1 ص 144.
2- مصنف عبد الرزاق ج 5 ص 318، و البدايه و النهايه ج 2 ص 300 عن الزهرى
3- البدايه و النهايه ج 2 ص 300 عن موسى بن عقبه، عن مجاهد، و عروه و محمد بن جبير بن مطعم، و تاريخ الخميس ج 1 ص 279 عن تاريخ يعقوب.
4- السيره النبويه لابن هشام ج 1 ص 204، و البدايه و النهايه ج 2 ص 300.
5- شرح النهج للمعتزلى ج 14 ص 129.
6- السيره النبويه لابن هشام ج 1 ص 209، و البدايه و النهايه ج 2 ص 303.

المؤمنين، و أحد أجواد قريش. و يقول البلاذرى: أبو مهشم بن المغيره بأن يحكموا أول داخل عليهم من باب السلام، و هو باب بنى شيبه، أو من باب الصفا على الاختلاف.

فكان الرسول (صلى اللّه عليه و آله و سلم) أول داخل. فلما رأوه قالوا: هذا الامين، رضينا، هذا محمد.

و يقول البعض: إنهم كانوا يتحاكمون إلى النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) فى الجاهليه؛ لأنه كان لا يدارى، و لا يمارى (1).

فلما أخبروه بالأمر طلب ثوبا، أو بسط إزاره- على الاختلاف- ثم أخذ الحجر؛ فوضعه فيه بيده، ثم قال: لتأخذ كل قبيله بناحيه من الثوب، ثم ارفعوه جميعا، ففعلوا، فلما حاذوا موضعه أخذه رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) بيده الشريفه، فوضعه مكانه.

ملاحظات هامه:

1- إن بنى عبد الدار، و معهم بنو سهم، و مخزوم و عدى قد جاؤا بالدم، فوضعوا أيديهم فيه، و تحالفوا على الموت. و نجد فى مقابل ذلک:

أن بنى عبد مناف قد جاؤا بالغاليه- و هى نوع من الطيب- فوضعوا أيديهم فيها، حينما تحالفوا زمن قصى فى مقابل بنى عبد الدار؛ فسموا حلف المطيبين.

و لبنى عبد مناف حلف آخر هو اكرم و أشرف حلف سمع به فى العرب (2)، و هو حلف الفضول الذى أمضاه الاسلام، حسبما تقدم. و كان فى مقابلهم حلف الاحلاف، من قبل بنى عبد الدار، و سهم، و جمح، و مخزوم، و عدى، و لا يقصد فى حلفهم إلا الشرف الدنيوى، و لو أريقت الدماء، و ازهقت النفوس.1.

1- السيره الحلبيه ج 1 ص 145.
2- البدايه و النهايه ج 2 ص 291.

و لعل هذا يعكس بوضوح الفرق بين الاتجاهين، و نوعيه التفكير، و مستوى الوعى، و النظره للحياه لدى كل من الفريقين.

و لا نبالغ إذا قلنا: إن من الممكن أن نفهم من مراجعه كتب التاريخ و الانساب: أن بنى عبد مناف، و لا سيما آل أبى طالب كانوا هم رجالات الاسلام، و الهداه إلى الحق، و المجاهدين فى سبيل الدين.

بينما نجد بنى عبد الدار، و المتحالفين معهم أقل تحمسا للدين، و تضحيه فى سبيله، بل و يكثر فيهم المناوؤون له، و الحاقدون عليه.

2- إن اشتراط قريش: أن تكون نفقه الكعبه طيبه، لا ربا فيها، و لا مظلمه لأحد الخ .. إن دل على شى ء فإنما يدل و لا شک على شعور حقيقى بقبح هذه الامور، و عدم رضا اللّه و الوجدان بها.

و قد يفسر ذلک أيضا باقتضاء الفطره لذلک، و حكم العقل بقبحه.

و نحن،، و إن كنا نعترف بأن ذلک كذلک. بل إن كل احكام الدين موافقه للفطره، و لأحكام العقل، إلا أننا لا بد و أن نضيف هنا: أنه يدل أيضا على بقاء شى ء من تعاليم الحنيفيه فيهم، خصوصا عند قريش، و بنى عبد مناف، و لذلک يلاحظ كثره الاشارات إلى دين ابراهيم، و ما يدل على ايمانهم باللّه فى كلمات عبد المطلب، و أبى طالب (عليهم السلام) كثير.

و ما الخطبه التى ألقاها أبو طالب حينما طلب يد خديجه للنبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) عنا ببعيده.

3- إن ما تقدم يدل على أن أهل مكه كانوا يتعاملون بالمنطق القبلى حتى فى تعاونهم على بناء البيت، و حمل الحجاره له، و هو أقدس مقدساتهم، و رمز عزهم و مجدهم و كرامتهم. بل و عليه تقوم حياتهم. و إن تحالف لعقه الدم حين الاختصام فيمن يرفع الحجر إلى موضعه، ليعتبر الذروه فى هذا الأمر، الذى يمجه الذوق، و تنبو عنه الفطره، و يرفضه العقل السليم.

4- و بعد هذا، فإن ما يلفت نظرنا: هو فرح قريش حينما رأوا النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) أول داخل عليهم، ثم وصفهم له بأنه (الأمين)، مما يعنى أنه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) كان يحتل مكانه خاصه فى نفوس الناس في مكه، حيث تسكن قريش سيده القبائل العربيه كلها، حتى إنهم كانوا يحكّمونه فى كثير مما كان يشجر بينهم، و يضعون كل ثقتهم فيه، حتى لقبوه ب (الأمين). بل اننا نجد:

فى كلمات أبى طالب المتقدمه، خير شاهد على مكانته (صلى اللّه عليه و آله و سلم)، و علو منزلته، و شرفه، و سؤوده.

و فى موقف أميه بن خلف فى غزوه بدر دلاله على ذلک أيضا (1) فراجع.

خرافه انحلال الازار:

هذا، و بعد كل ما تقدم، فإننا نواجه هنا اكذوبه مفضوحه، ليس الهدف منها إلا الحط من كرامه النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم)، و الاساءه لمقامه الاقدس، من أولئک الذين لمّا يدخل الايمان فى قلوبهم، و لم يسلموا و انما استسلموا، و أقسموا على العمل على دفن ذكر محمد، و طمس اسمه و دينه. و لكن اللّه يأبى إلا أن يتم نوره و لو كره الكافرون.

و تلک الاكذوبه التى هى واحده من مئات امثالها، مما تقشعر له الابدان، و يشتد له غضب الرحمان، هى التاليه:

روى الشيخان، و غيرهما من المؤلفين فى التاريخ و الحديث، ممن تجمعهم معهما رابطه الدين، و السياسه، و الصنعه- و النص للبخارى-:

(أن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) كان ينقل معهم الحجاره للكعبه، و عليه إزاره، فقال له العباس عمه: يابن أخى لو حللت إزاركه.

1- سيأتى ذلک فى أوائل غزوه بدر إن شاء اللّه.

فجعلت على منكبیک دون الحجاره؟ ..

قال: فحلّه، فجعله على منكبيه؛ فسقط مغشيا عليه. فما رؤى بعد ذلک عريانا (1)).

و فى روايه أخرى للبخارى فى كتاب الحج: (فخر إلى الأرض، فطمحت عيناه، فقال: أرنى ازارى، فشده عليه).

و نحن لا نشک أن ذلک مختلق و مفتعل، و نكتفى بالاشاره هنا إلى ما يلى:

أولا: إن ثمه تناقض ظاهر بين هذه الروايات، الامر الذى يذكرنا بالمثل المشهور: (لا حافظه لكذوب). و كمثال على ذلک نذكر:

أن روايه تقول: إن تعريه صلى الله عليه و آله وسلم كان و هو صغير، حينما كان يلعب مع الصغار، و كلهم قد تعرى، و هم أيضا ينقلون الحجاره للعب، فلكمه لاكم لا يراه، و قال: شد عليک إزارک (2).

و فى أخرى: أن ذلک كان حينما كان عمه أبو طالب يصلح زمزم، فأمر بالستر، من قبل متكلم لا يراه (3).2.

1- البخارى، باب كراهيه التعرى فى الصلاه ط سنه 1309 ج 1 ص 50 ص 181 و ج 2 ص 203، و صحيح مسلم ط سنه 1334 ه ج 1 ص 184، و مسند أحمد ج 3 ص 295 و 310 و 333، و ج 5 ص 454 و 455، و المصنف ج 5 ص 103 و البدايه و النهايه ج 2 ص 287 عن الصحيحين و عن البيهقى. و راجع: مرآه الجنان ج 1 ص 19 و الغدير ج 9 ص 285 و 286 عن البخارى و مسلم و عن السيره النبويه لابن هشام ج 1 ص 197.
2- السيره الحلبيه ج 1 ص 122 و فتح البارى ج 7 ص 111 عن ابن إسحاق و سيره ابن هشام ج 1 ص 194 و البدايه و النهايه ج 2 ص 287.
3- السيره الحلبيه ج 1 ص 142 و 122.

و ثالثه تذكر: أن ذلک كان حين بناء البيت، و هى المتقدمه. و معنى ذلک أن عمره كان 35 سنه.

و نوع آخر من الاختلاف، و هو: أن النمره قد ضاقت عليه، فذهب يضعها على عاتقه، فبدت عورته، لصغر النمره؛ فنودى: يا محمد، خمر عورتک. فلم ير عريانا بعد ذلک (1).

و أخرى تقول: إن العباس طلب منه أن يضع إزاره عن عاتقه (2).

و روايه تقول: صرع. و أخرى: لكم، و ثالثه: اغمى عليه. إلى آخر ما هنالک من وجوه الاختلاف.

طريق جمع فاشل:

و قد حاول العسقلانى و الحلبى الجمع بين الروايات:

فقال العسقلانى: إن النهى السابق لم يكن يفهم منه الشمول لصوره الاضطرار العادى. و حين بناء البيت اضطر إلى ذلک، فرأى أن لا مانع من التعرى حينئذ (3).

و هكذا يبذل هؤلاء المحاولات لإثبات هذا الأمر الشنيع على الرسول الاكرم (صلى اللّه عليه و آله و سلم)، لأن ذلک قد ورد فى صحيح البخارى، و هو الكتاب المقدس عندهم، بل هو أصح شى ء بعد القرآن.

بل إن القرآن فيه تحريف و نسخ للتلاوه و غيرها عندهم. أما البخارى فيجل عن ذلک!!1.

1- مسند أحمد ج 5 ص 455، و مصنف عبد الرزاق ج 5 ص 103.
2- ربما يجاب عن ذلک بأن العباس حين رأى ضيق النمره طلب منه ذلک فأجاب، فنودى.
3- فتح البارى ج 1 ص 401.

مع أنه قد فات العسقلانی هنا: أنه قد جاء فی روایه أبی الطفیل:

(فما رؤیت له عوره قبل و لا بعد) (1).

هذا کله عدا عن أنه هو نفسه یذکر: أنه صلی الله علیه و آله وسلم کان مصونا عما یستقبح قبل البعثه و بعدها (2)

ثم جاء الحلبی، و قال: إن من الممکن أن تکون عورته صلی الله علیه و آله وسلم قد انکشفت، لکن لم یرها أحد حتی العباس (3).

و لکن ما یصنع الحلبی بعباره البخاری، و غیره، و التی تنص علی أنه: ما رؤی بعد ذلک عریانا.

و عباره أبی الطفیل: ما رئیت له عوره قبل و لا بعد.

و ثانیا: و مما یکذب ذلک: ما ورد عنه (صلی اللّه علیه و آله و سلم)- و کأنه تنبأ عما سوف یقال زورا، و بهتانا عنه-: من کرامتی علی ربی: أن أحدا لم یرعورتی. أو ما هو قریب من هذا (4).

و ثالثا: لقد قال عنه أبو طالب (علیه السلام)، قبل بناء البیت بعشر سنوات: أنه (صلی اللّه علیه و آله و سلم) لا یوزن برجل إلا رجح به، و لا یقاس به أحد إلا و عظم عنه الخ. فکیف إذن یقدم هذا الرجل العظیم علی التعری أمام الناس، حین حمله الحجاره للکعبه؟!.

و رابعا: إن ثمه روایات تفید: أنه (صلی اللّه علیه و آله و سلم) کان9.

1- فتح الباری ج 7 ص 111.
2- فتح الباری ج 1 ص 401.
3- السیره الحلبیه ج 1 ص 142.
4- السیره الحلبیه ج 1 ص 53 و 54 و 142. و کنز العمال ج 12 ص 83 عن الطیالسی و الخطیب و ابن عساکر، و الطبرانی و تهذیب تاریخ دمشق ج 1 ص 350 و المعجم الصغیر ج 2 ص 59.

مصونا من رؤيه عورته حتى بالنسبه لأزواجه؛ فعن عائشه: ما رأيت عوره رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) قط، أو نحو ذلک (1).

و إن كانت قد عادت فذكرت: أن زيد بن حارثه قرع الباب، فقام إليه رسول اللّه يجر ثوبه عريانا، قالت: (و اللّه ما رأيته عريانا قبله و لا بعده، فاعتنقه، و قبّله) (2).

لكن نصا آخر يقول: (فما رأيت جسمه قبلها) (3). و هذا هو الأقرب إلى الصواب، بملاحظه ما قدمناه و ما سيأتى.

و خامسا: في حديث الغار: أن رجلا كشف عن فرجه، و جلس يبول، فقال أبوبكر: قد رآنا يا رسول اللّه، قال: لو رآنا لم يكشف عن فرجه (4).

و هذا يدل على أن المشركين كانوا يستقبحون أمرا كهذا، و لا يقدمون عليه؛ فكيف فعله الرسول الاعظم (صلى اللّه عليه و آله و سلم)؟!

و سادسا: لقد روى أنه صلى الله عليه و آله وسلم كان أشد حياء من العذراء فى خدرها (5)، فهل العذراء الخجول تستسيغ لنفسها التعرى أمام الناس.م.

1- الشفاء لعياض ج 1 ص 95 و شرحه للقارى عن ابن ماجه، و الترمذى فى شمائله و حياه الصحابه ج 2 ص 611 عن الترمذى فى الشمائل ص 26، و لسان الميزان ج 2 ص 9 و السيره الحلبيه ج 1 ص 142. و سنن ابن ماجه ج 1 ص 619 و راجع: صيد الخاطر ص 481 و المعجم الصغير ج 1 ص 53.
2- حياه الصحابه ج 2 ص 544/ 545 عن الترمذى ج 2 ص 97 و قال: حسن غريب.
3- صيد الخاطر ص 481.
4- فتح البارى ج 7 ص 10، و السيره الحلبيه ج 2 ص 37، و البحار ج 19 ص 78 عن المناقب لابن شهر آشوب ج 1 ص 111.
5- راجع الغدير ج 9 ص 281، و عن البخارى و مسلم.

و سابعا: عن ابن عباس: كان رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) يغتسل وراء الحجرات، و ما رأى أحد عورته قط (1).

و ثامنا: و قد عد من خصائصه (صلى اللّه عليه و آله و سلم): أنه لم ترى عورته قط، و لو رآها أحد لطمست عيناه (2).

فلماذا لم تطمس عينا العباس، الذى كان حاضرا و ناظرا، و شدّ عليه إزاره، و كذا أعين سائر من رآه حين بناء البيت؟! و كذلک لماذا لم تطمس أعين رفقائه الصغار، الذين رأوا منه ذلک و هم يلعبون؟! فإن كانوا قد رأوا، فاللازم هو طمس أعينهم، و إن لم يكونوا قد رأوا، فلماذا هذا الكذب و الافتراء، و سوء الادب، و الجرأه على مقام النبى الاقدس (صلى اللّه عليه و آله و سلم)، و التفوّه بما يتنافى مع شرفه، و علو منزلته و كرامته، و سؤوده، و تسديد اللّه له. نعوذ باللّه من الخذلان، و من وساوس الشيطان.

و تاسعا: و أخيرا، لقد روى عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قوله:

ليس للرجل أن يكشف ثيابه عن فخذه، و يجلس بين قوم (3).

فكيف اذن يكشف النبى الاعظم عورته أمام الناس يا ترى؟

و أخيرا، فإن ثمه نصوصا أكثر شناعه و قباحه من ذلک، نجلّ مقام النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) الاقدس عن ذكرها.

ثوبى حجر!!

و بالمناسبه، فإن أمثال هذه الافتراءات قد تعدت نبينا الاكرم صلى الله عليه و آله وسلم إلى نبى اللّه موسى (عليه السلام) و لكن بنحو أكثر شناعه، و أشد قباحه،6.

1- الغدير ج 9 ص 288 عن شرح المواهب للزرقانى ج 4 ص 284، و عن فتح البارى ج 6 ص 450.
2- الشفاء للقاضى عياض ج 1 ص 95 و تاريخ الخميس ج 1 ص 214.
3- البحار ج 75 ص 466.

حیث نسبت ذلک إلی فعل اللّه سبحانه به.

فلقد روی البخاری و غیره: أن بنی اسرائیل اتهموا موسی بأنه آدر (أی مصاب بانتفاخ فی خصیته بسبب الفتق) فنزع ثوبه، و وضعه علی حجر و اغتسل. فلما أراد أن یأخذ ثوبه عدا الحجر بثوبه؛ فأخذ موسی عصاه، و طلب الحجر، فجعل یقول: ثوبی حجر، ثوبی حجر، حتی نظرت بنو اسرائیل إلی موسی، فقالوا: و اللّه ما بموسی من بأس، و أخذ ثوبه، فطفق بالحجر ضربا.

قال أبو هریره: فو اللّه، إن بالحجر لندبا: ثلاثا، أو اربعا، أو خمسا، فذلک قوله تعالی: لا تَکُونُوا کَالَّذِینَ آذَوْا مُوسی، فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قالُوا، وَ کانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِیهاً (1).

و لا ندری کیف لم یلتفت موسی إلی نفسه، حتی بلغ مجالس بنی اسرائیل؟!، و ما هو الذی أفقده صوابه حتی خرج عن حیائه و سجیته، التی ذکرتها الروایه: أنه کان حییا ستیرا لا یری من جلده شی ء استحیاء منه؟!.

و لا ندری ما هی حقیقه هذا الحجر العبقری! الذی یهرب من موسی، و یترکه یعدو خلفه؟! و لا ندری کذلک کیف التفت موسی إلی عصاه قبل أن یلحق بالحجر، و ما الذی خطر فی باله آنئذ؟!.

و إذا لم یکن الحجر مأمورا، فما الذی جعله یقوم بهذه العملیه،3.

1- البخاری ط سنه 1309 ج 1 ص 40 و ج 2 ص 158، و مسند أحمد ج 2 ص 315 و الدر المنثور ج 5 ص 223 عنه و عن عبد الرزاق، و أحمد، و عبد بن حمید، و الترمذی، و ابن جریر، و ابن المنذر، و ابن أبی حاتم، و ابن مردویه و ابن الأنباری فی المصاحف، و البزار، و الحاکم و صححه، و ابن أبی شیبه، عن أبی هریره، و أنس، و ابن عباس، و تفسیر المیزان ج 16 ص 353، و تفسیر القمی ج 2 ص 19 بسند حسن و لکن نسبه التفسیر إلی القمی مشکوک فیها و مشکل الآثار ج 1 ص 11 و تفسیر نور الثقلین ج 4 ص 309 و تفسیر البرهان ج 3 ص 339. و کشف الأستار ج 3 ص 66 و مجمع الزوائد ج 7 ص 93.

و يخرجه عن وضعه الطبيعى؟!، و إذا كان مأمورا، فلماذا لم يدرک موسى ذلک بمجرد تحرک الحجر بثوبه الذى هو أمر خارق للعاده؟. هذا مع كونه يناديه و يخاطبه، حتى كأنه عاقل مدرک لما يقول!!

و أخيرا، فإننى لا أدرى ما هو ذنب هذا الحجر، حتى استحق هذا الضرب الوجيع الذى أثر فيه و جعل فيه ندبا؟! و لماذا لم يعين لنا عدد تلک الندب، فذكرت على نحو الترديد: ثلاثا، أو أربعا، أو خمسا؟!. و فى بعض الروايات: ستا، سبعا؟!.

و إذا كان أبو هريره قد بلغ به النسيان هذا الحد، فكيف استطاع أن يحفظ تلک التفاصيل الدقيقه للقصه نفسها؟!.

ثم كيف استطاع أن يحفظ هذه الآلاف المؤلفه من الاحاديث عن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم)؟!.

هذا و تحسن الإشاره هنا إلى أنه لا يرد كثير مما ذكرنا، على روايه القمى التى لم تذكر عصاه، و مناداته، و ضربه للحجر. و لعلها أقرب إلى الاعتبار من تلک الروايه البخاريه.

و قد جاء أن آيه ايذاء موسى، قد نزلت فى طعن بنى اسرائيل على موسى بسبب هارون: لأنه توجه معه إلى زياره، فمات هارون؛ فدفنه موسى؛ فاتهمه بعض بنى اسرائيل بقتله، فبرأه اللّه تعالى بأن أخبرهم جسد هارون بأنه مات و لم يقتل (1).

حياء عثمان:

هذا، و لا بأس بالمقارنه بين ما يذكر هنا عن نبينا الاعظم (صلى اللّه2.

1- فتح البارى ج 6 ص 313 عن ابن مردويه و الطحاوى، و ابن منيع بسند حسن، و الدر المنثور ج 5 ص 223 عن هؤلاء و عن ابن جرير، و ابن المنذر، و ابن أبى حاتم، و الحاكم، و صححه عن ابن عباس، و مشكل الآثار ج 1 ص 12.

علیه و آله و سلم) و بین ما یذکر عن حیاء عثمان، حتی إن أبابکر، و عمر لیدخلان علی النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم)، و فخذه مکشوفه، فلا یسترها، حتی إذا دخل علیه عثمان جلس، و ستر فخذه، و سوی علیه ثیابه؛ فتسأله عائشه؛ فیجیبها بأنه: ألا یستحی من رجل تستحی منه الملائکه؟ أو ما هو قریب من هذا (1).

هذا، مع أن هذا النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) نفسه یأمر و یؤکد باستمرار بالحیاء، و یحث علیه، فیقول: إذا لم تستح، فاصنع ما شئت.

و یقول: الحیاء من الایمان، و الایمان فی الجنه. إلی غیر ذلک من النصوص الکثیره عنه (صلی اللّه علیه و آله و سلم) و لا مجال لتتبعها.

کما أن أبا سعید الخدری قد وصف النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) بأنه: أشد حیاء من العذراء فی خدرها (2).

و أیضا، فإنهم ینقلون عنه (صلی اللّه علیه و آله و سلم): أنه أمر رجلا6.

1- مجمع الزوائد ج 9 ص 82، و البدایه و النهایه ج 7 ص 202 عن الطبرانی فی الکبیر، و الأوسط، و مسند أحمد، و أبی یعلی، و تاریخ جرجان ص 416، و المصنف ج 11 ص 232/ 233 و المحاسن و المساوی ج 1 ص 61 و حیاه الصحابه ج 2 ص 611 و 612 عن الأولین و مشکل الآثار ج 2 ص 283/ 284، و مسند أحمد ج 1 ص 71 و ج 6 ص 62 و 155 و 167 و صحیح مسلم ج 7 ص 116/ 177، و الغدیر ج 9 ص 274 و 275 و 287 و ص 290 عن الأخیرین و عن: مصابیح السنه ج 2 ص 273، و الریاض النضره ج 2 ص 88 و راجع: تأویل مختلف الحدیث ص 323 و التراتیب الإداریه ج 2 ص 383 و 384 و فیه أحادیث أخری عن حیاء الملائکه من عثمان و مسند أبی یعلی ج 7 ص 415.
2- البدایه و النهایه ج 6 ص 36، و مجمع الزوائد ج 9 ص 17، عن الطبرانی بإسنادین، رجال أحدهما رجال الصحیح، و صحیح مسلم ج 7 ص 87، و الغدیر 9 ص 281 عن البخاری باب صفه النبی صلی الله علیه و آله وسلم و عن مسلم، و حیاه الصحابه عن بعض من تقدم و عن الترمذی ص 26.

بستر فخذه؛ فإنها من العوره (1).

و أما ما يدل على أن ما بين السره و الركبه عوره، فكثير أيضا (2).

و عن حياء أبى موسى و أبى بكر، و الخدرى (3) هناک نصوص لا مجال لإيرادها فعلا.

و قد قال العلامه الامينى: (هب أن النهى عن كشف الأفخاذ تنزيهى، إلا أنه لا شک فى أن سترها أدب من آداب الشريعه، و من لوازم الوقار، و مقارنات الأبهه، و رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) أولى برعايه هذا الأدب، الذى صدع به هو الخ) (4).

أهل الكتاب، و تعرّى الانبياء:

و لا بد أن نشير أخيرا إلى أننا نجد لهذا الأمر أصلا عند أهل الكتاب،5.

1- مسند أحمد ج 5 ص 290 و ج 1 ص 275، و صحيح البخارى ج 1 ص 51 و سنن البيهقى ج 2 ص 228، و الإصابه ج 3 ص 448، و فتح البارى ج 1 ص 403، و نيل الأوطار ج 2 ص 50، و مستدرک الحاكم ج 4 ص 180/ 181، و مجمع الزوائد ج 2 ص 52 عن أحمد و الطبرانى فى الكبير و الغدير ج 9 ص 282 فما بعدها عن من تقدم و عن إرشاد السارى، و ابن حبان فى صحيحه و ليراجع: موطأ مالک، و الترمذى، و أبو داود، و مشكل الآثار ج 2 ص 284 و 285 و 286 و حتى ص 293. و المصنف ج 11 ص 27 و تأويل مختلف الحديث ص 323/ 324.
2- راجع: الغدير ج 9 ص 285، و 284، و 288، 290 و 291 و 292. و المعجم الصغير ج 2 ص 96. و حياه الصحابه ج 2 ص 612/ 613 تجد كثيرا من أقوال العلماء و النصوص حول ذلک.
3- راجع: طبقات ابن سعد ج 4 ص 113 و 114 و الزهد و الرقائق ص 107 و ربيع الأبرار ج 1 ص 760 و حياه الصحابه ج 3 ص 482 عن كنز العمال ج 8 ص 306 و ج 5 ص 124 و عن حليه الأولياء ج 1 ص 34، و الغدير ج 7 ص 248 و ج 9 ص 281.
4- الغدير ج 9 ص 285.

فلعل الخطه الأمويه الملعونه قد استفادت أصل هذا الموضوع من أهل الكتاب!!.

فقد جاء فی أخريات العشرين من أشعيا: أن اللّه أمر نبيه أشعيا: أن يمشی عريانا و حافيا بين الناس ثلاث سنين، ليبلغ الناس، و يقول لهم: هكذا يسوق ملک آشور سبی مصر، و جلاء كوش الفتيان و الشيوخ عراه و حفاه، و مكشوفی الاستاه، خزيا لمصر.

و جاء فی تاسع التكوين الفقره (21): و شرب نوح من الخمر فسكر، و تعرّی داخل جنانه.

و فی صموئيل الأولی، الاصحاح التاسع عشر، الفقره 23/ 24: (فكان يذهب و يتنبأ، حتی جاء نايوت فی الرامه، فخلع هو أيضا ثيابه، و تنبأ هو أيضا أمام صموئيل، و انطرح عريانا ذلک النهار كله، و كل الليل، لذلک يقولون:

أشاول أيضا بين الأنبياء).

ولاده فاطمه بنت الرسول صلی الله علیه و آله وسلم :

يذكر البعض: أن فاطمه الزهراء (عليها السلام)، بنت الرسول الاكرم (صلی اللّه عليه و آله و سلم)، قد ولدت قبل البعثه، ثم يختلفون- أولئک البعض- فيما بينهم فی تحديد سنه ولادتها، فبعضهم يقول: إنها ولدت سنه بناء الكعبه، أی قبل البعثه بخمس سنين (1).

و بعضهم يقول: إنها ولدت قبل البعثه بسبع سنين (2)؛ و قيل (3):ن.

1- راجع: تاريخ الخميس ج 1 ص 277، و ذخائر العقبی ص 52 و مقاتل الطالبيين ص 48، و سيره مغلطای ص 17 عن ابن الجوزی. و البحار ج 43 ص 9.
2- تاريخ الخميس ج 1 ص 278، و ذخائر العقبی ص 52.
3- المصدران السابقان.

باثنتی عشره سنه (1).

و القائلون بأنها ولدت بعد البعثه اختلفوا أیضا، بین قائل: إنها ولدت سنه البعثه (2)، و قیل: فی الثانیه (3). و قیل: سنه أحدی و اربعین من عمره الشریف (4).

القول الحق:

و القول الحق هو ما علیه شیعه أهل البیت تبعا لأئمتهم (علیهم السلام)، و أهل البیت أدری بما فیه، و تابعهم علیه جماعه من غیرهم،0.

1- تاریخ الخمیس ج 1 ص 277، و ذخائر العقبی ص 52، و المواهب اللدنیه ج 1 ص 198 و الاستیعاب هامش الإصابه ج 4 ص 374، و اختاره الحاکم فی المستدرک ج 3 ص 161.
2- البحار ج 43 ص 8 عن إقبال الأعمال، عن حدائق الریاض، للشیخ المفید رحمه اللّه و تاریخ الخلفاء: ص 75. و هو مقتضی کلام العسقلانی فی تهذیب التهذیب: ج 2 ص 441 حیث قال: إنها تزوجت فی السنه الثانیه من الهجره و عمرها خمسه عشر سنه و خمسه أشهر و نصفا.
3- البحار: ج 43 ص 9، و فی الاستیعاب (بهامش الإصابه): ج 4 ص 374 أنها ولدت سنه إحدی و أربعین من مولد النبی صلی الله علیه و آله وسلم و نهایه الإرب ج 18 ص 213.
4- فی مستدرک الحاکم ج 3 ص 163 ذکر أنها ماتت و عمرها (21) سنه و ولدت علی رأس (41) من مولده صلی الله علیه و آله وسلم . و کذا فی نهایه الارب ج 18 ص 213 و دلائل النبوه للبیهقی ط دار الکتب العلمیه ج 2 ص 71 و التبیین فی أنساب القرشیین ص 91 و مختصر تاریخ دمشق ج 2 ص 269 و المواهب اللدنیه ج 1 ص 198 و الاستیعاب بهامش الإصابه ج 4 ص 374. و سیره مغلطای 17، و البحار ج 43 ص 8، و ملحقات احقاق الحق للمرعشی ج 10 ص 11 عن الثغور الباسمه للسیوطی. و راجع: البصائر و الذخائر ج 1 ص 193 و راجع تاریخ الیعقوبی ج 2 ص 20.

و هو أنها قد ولدت فی السنه الخامسه من البعثه، و توفیت و عمرها ثمانیه عشر عاما (1).

و یدل علی ذلک، أو یؤیده:

1- ما تقدم فی البحث عن أولاد خدیجه، من أن البعض قد ذکر أنهم کلهم قد ولدوا بعد الاسلام باستثناء عبد مناف (2)، مع العلم بأن فاطمه (علیه السلام) کانت أصغر أولاده (صلی اللّه علیه و آله و سلم).

و یدل علی ذلک: أنه قد ذکر فی الاستیعاب فی ترجمه خدیجه: أن الطیب قد ولد بعد النبوه، و ولدت بعده أم کلثوم، ثم فاطمه.

2- و یدل علی أنها قد ولدت بعد البعثه روایات کثیره، أوردها جماعه من العلماء، علی اختلاف نحلهم و مشاریهم، تدل علی أن نطفتها قد انعقدت من ثمر جاء به جبرئیل إلی النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) من الجنه، حین الاسراء و المعراج، و ذلک مروی عن عدد من الصحابه، منهم: عائشه، و عمر بن الخطاب، و سعد بن مالک، و ابن عباس، و غیرهم (3).ج.

1- ذخائر العقبی ص 52 و تاریخ الخمیس ج 1 ص 278 نقلا عن الإمام أبی بکر أحمد بن نصر بن عبد اللّه الدراع فی کتاب تاریخ موالید أهل البیت و مروج الذهب: ج 2 ص 289، و البحار ج 43 ص 1- 10 عن الکافی بسند صحیح، و المصباح الکبیر، و دلائل الإمامه، و مصباح الکفعمی، و الروضه، و مناقب ابن شهر آشوب، و فی الأخیرین: أنها ولدت بعد البعثه بخمس سنین، و بعد الإسراء بثلاث سنین، و کذا فی کشف الغمه: ج 2 ص 75، و إثبات الوصیه للمسعودی، و غیر ذلک.
2- راجع: البدء و التاریخ ج 5 ص 16، و المواهب اللدنیه ج 1 ص 196، و تاریخ الخمیس ج 1 ص 272.
3- تجد بعض هذه الروایات فی کتب الشیعه، مثل: البحار ج 43 ص 4 و 5 و 6 عن أمالی الصدوق، و عیون أخبار الرضا، و معانی الأخبار، و علل الشرائع، و تفسیر القمی، و الاحتجاج و غیر ذلک. و الأنوار النعمانیه ج 1 ص 80. و فی کتب غیرهم مثل: المستدرک علی الصحیحین: ج 3 ص 156، و تلخیصه للذهبی (مطبوع بهامشه)، و نزل الأبرار: ص 88، و الدر المنثور: ج 4 ص 153، و تاریخ بغداد: ج 5 ص 87، و المناقب لابن المغازلی: ص

357. تاريخ الخميس ج 1 ص 277، و ذخائر العقبى ص 36 و لسان الميزان ج 1 ص 134 و اللآلى المصنوعه ج 1 ص 392- 394، و نقله النجفى فى ملحقات إحقاق الحق ج 10 ص 1- 10 عن بعض من تقدم و عن ميزان الاعتدال و الروض الفائق، و نزهه المجالس، و مجمع الزوائد، و كنز العمال، و منتخبه، و محاضره الأوائل. و مقتل الحسين للخوارزمى، و مفتاح النجاه، و المناقب لعبد اللّه الشافعى، و إعراب ثلاثين سوره، و اخبار الدول. و ستأتى بغيه المصادر حين الكلام حول تاريخ الإسراء و المعراج.

و إذا أمكنت المناقشه فی بعض تلک الروایات فإن البعض الآخر لا مجال للنقاش فیه.

و یؤید ذلک أیضا: أن النسائی قد روی: أنه لما خطب أبو بکر و عمر فاطمه ردّهما (صلی اللّه علیه و آله و سلم)، و قال لهما: إنها صغیره (1). فلو کان عمرها سبع عشره سنه أو أکثر، فلا یقال: إنها صغیره.

و یؤیده أیضا: ما روی من أن خدیجه رحمها اللّه کانت قد هجرتها نساء قریش، فلما حملت بفاطمه کانت تحدثها من بطنها، و تصبّرها (2).

بقی أن نشیر إلی أن استبعاد حمل خدیجه بفاطمه فی السنه الخامسه من البعثه؛ لأن سن خدیجه کان حینئذ عالیا- هذا الاستبعاد-.

فی غیر محله؛ لما تقدم، من أن سن خدیجه حینئذ کان ما بین 45 حتی 50 سنه بناء علی عدد من الأقوال فی مقدار عمرها، و لعل من بینها ما هو الأقوی، و إن کان المشهور خلافه.2.

1- راجع: خصائص أمیر المؤمنین علی بن أبی طالب: ص 114، و المناقب لابن شهر اشوب: ج 3 ص 345، و تذکره الخواص: ص 306/ 307.
2- البحار ج 43 ص 2.

و حتی علی هذا المشهور؛ فإن عمر خدیجه حینئذ کان لا یأبی عن الحمل؛ فإن القرشیه یستمر حیضها إلی الستین، کما هو مقرر فی الفقه.

و هذا یعنی أن قابلیه الحمل موجوده أیضا، کما هو ظاهر.

و مما ذکرناه، و من قول المصباح: (و العامه تروی: أن مولدها کان قبل المبعث بخمس سنین) (1)، نعرف: أن المسعودی قد اشتبه فی نسبه القول بالتسع و العشرین إلی أکثر أهل البیت و شیعتهم (2). و لعله سهو من قلمه، أو عمد أو سهو من النساخ، بحیث کان فی الاصل تسع عشره، فبدل إلی تسع و عشرین.

و بعد کل ما تقدم؛ فإنه إذا کانت فاطمه قد ولدت فی السنه الخامسه من البعثه؛ فإنها تکون قد توفیت و عمرها ثمانیه عشر عاما فقط، کما هو ظاهر.0.

1- البحار ج 43 ص 2 و لیراجع حتی ص 10
2- التنبیه و الإشراف ص 250.

الفصل الخامس: بحوث تسبق السيره

اشاره

البحث الأول: إيمان آباء النبى صلى الله عليه و آله وسلم إلى آدم (ع):

اشاره

قالوا: إن كلمه الاماميه قد اتفقت على أن آباء النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم)، من آدم إلى عبد اللّه كلهم مؤمنون موحدون (1). بل و يضيف المجلسى قوله: (... بل كانوا من الصديقين، إما انبياء مرسلين، أو أوصياء معصومين، و لعل بعضهم لم يظهر الاسلام، لتقيه، أو لمصلحه دينيه). (2)

و يضيف الصدوق هنا: أن أم النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) آمنه بنت وهب كانت مسلمه أيضا (3).

و معنى ذلک: هو أنه ليس فى آباء الرسول (صلى اللّه عليه و آله و سلم) إلا الخير و البركه، و هذا هو ما ورثه الرسول عنهم، و يتأكد بذلكر.

1- راجع: أوائل المقالات ص 12، و تصحيح الاعتقاد ص 67، و تفسير الرازى ج 24 ص 173 ط دار الكتب العلميه بطهران و فى طبعه أخرى ج 4 ص 103، و البحار ج 15 ص 117، و مجمع البيان ج 4 ص 322، و ليراجع البدايه و النهايه ج 2 ص 281.
2- البحار ج 15 ص 117.
3- نفس المصدر.

طهارته (صلی اللّه علیه و آله و سلم) من الأرجاس، و الرذائل، حتی ما یکون عن طریق الوراثه، و الناس معادن کمعادن الذهب و الفضه، و هو ما أثبته العلم الحدیث أیضا، حیث لم یبق ثمه أیه شبهه فی تأثیر عامل الوراثه فی تکوین شخصیه الإنسان، و فی خصاله و مزایاه.

قال ابو حیان الاندلسی: (ذهبت الرافضه إلی أن آباء النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) کانوا مؤمنین) (1).

أما غیر الامامیه، فذهب اکثرهم إلی کفر والدی النبی و غیرهما من آبائه (صلی اللّه علیه و آله و سلم)، و ذهب بعضهم إلی ایمانهم.

و ممن صرح بایمان عبد المطلب، و غیره من آبائه (صلی اللّه علیه و آله و سلم)، المسعودی، و الیعقوبی، و هو ظاهر کلام الماوردی، و الرازی فی کتابه اسرار التنزیل، و السنوسی، و التلمسانی محشی الشفاء، و السیوطی، و قد ألف هذا الاخیر عده رسائل لإثبات ذلک (2).

و فی المقابل قد الف بعضهم رسائل لإثبات کفرهم، مثل ابراهیم الحلبی، و علی القاری الذی فصّل ذلک فی شرح الفقه الاکبر، و اتهموا السیوطی بأنه متساهل، لا عبره بکلامه، مالم یوافقه کلام الائمه النقاد.

و سیأتی فی آخر هذا البحث إن شاء اللّه تعالی ما یشیر إلی السبب فی الإصرار علی کفر آباء النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) و أعمامه.).

1- تفسیر البحر المحیط ج 7 ص 47.
2- رسائل السیوطی، هی التالیه: 1- مسالک الحنفا. 2- الدرج المنیفه فی الآباء الشریفه. 3- المقامه السندسیه فی النسبه المصطفویه. 4- التعظیم و المنه فی أن أبوی رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم فی الجنه. 5- السبل الجلیه فی الآباء العلیه. 6- نشر العلمین المنیفین. فی إثبات عدم وضع حدیث إحیاء أبویه صلی الله علیه و آله وسلم و إسلامهما علی یدیه صلی الله علیه و آله وسلم .

بعض الأدله على إيمانهم:

و قد قال الإماميه: إن ثمه روايات كثيره تدل على ايمان آبائه (صلى اللّه عليه و آله و سلم)، بالاضافه إلى اجماع الطائفه المحقّه، و هذا الإجماع و إن كان معلوم المستند، فلا بد من النظر إلى مستنده نفسه، و مستند ذلک هو الاخبار. و الاحاطه بجميعها متعسر، إن لم يكن متعذرا (1).

و هذا هو الدليل المعتمد.

و قد استدلوا على ذلک ايضا:

1- بقوله (صلى اللّه عليه و آله و سلم): (لم يزل ينقلنى اللّه من أصلاب الطاهرين إلى ارحام المطهرات، حتى اخرجنى فى عالمكم، و لم يدنسنى بدنس الجاهليه). (2)

و لو كان فى آبائه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) كافر، لم يصفهم كلهم بالطهاره، مع قوله تعالى: (إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ). (3)

إلا أن يكون المقصود هو الطهاره من العهر، أو من الأرجاس و الرذائل، و هو لا يلازم الكفر.ه.

1- ذكر طائفه منها العلامه المجلسى رحمه اللّه فى البحار: ج 15، و السيوطى فى رسائله المشار إليها، فراجع رساله السبل الجليه: ص 10 فما بعدها، و راجع أيضا: السيره الحلبيه، و غير ذلک و تاريخ الخميس ج 1 ص 234 فما بعدها.
2- مجمع البيان ج 4 ص 322، و البحار ج 15 ص 117 و 118 و تفسير الرازى ج 24 ص 174 و السيره الحلبيه ج 1 ص 30، و الدر المنثور ج 5 ص 98، و سيره دحلان ج 1 ص 18 و تصحيح الاعتقاد ص 67 و تاريخ الخميس ج 1 ص 234 و تفسير البحر المحيط ج 7 ص 47.
3- راجع: المصادر المتقدمه.

2- و استدلوا على ذلک ایضا بقوله تعالى: (الَّذِی یَراکَ حِینَ تَقُومُ، وَ تَقَلُّبَکَ فِی السَّاجِدِینَ) (1). لما روی عن ابن عباس، و أبی جعفر، و أبی عبد اللّه (علیهما السلام): انه (صلى اللّه علیه و آله و سلم) لم یزل ینقل من صلب نبی إلى نبی.

و یمکن المناقشه فی ذلک أیضا: بأن الآیه تقول: إنه تعالى یراه حال عبادته و سجوده؛ فهو (صلى اللّه علیه و آله و سلم) فی جمله الساجدین الموجودین فعلا، و غیرهم.

لا أنه یراه و هو یتقلب فی أصلاب الانبیاء.

و لو ثبتت الروایه، فیمکن القول بانها لا تدل على استغراق ذلک لجمیع آبائه؛ فلعله یرى تقلبه فی أصلاب الانبیاء من آبائه، کما یرى تقلبه فی أصلاب غیر الانبیاء.

هذا، عدا عن أن من الصعب جدا اثبات نبوه جمیع آبائه (صلى اللّه علیه و آله و سلم) إلى آدم (علیه السلام).

و أما أدله غیر الامامیه فقد استقصاها السیوطی فی رسائله المشار الیها، ولکن استعراضها و الاستقصاء فیها نقضا و ابراما یحتاج إلى وقت طویل، و تألیف مستقل.

3- و یمکن أن یستدل على ایمان آبائه (صلى اللّه علیه و آله و سلم) إلى إبراهیم بقوله تعالى، حکایه لقول إبراهیم و إسماعیل: (وَ اجْعَلْنا مُسْلِمَیْنِ لَکَ، وَ مِنْ ذُرِّیَّتِنا أُمَّهً مُسْلِمَهً لَکَ) (2)، مع قوله تعالى:8.

1- الشعراء 218/ 219 و راجع تاریخ الخمیس ج 1 ص 234 و 235 و تفسیر البحر المحیط ج 7 ص 47.
2- البقره: 128.

(وَ جَعَلَها كَلِمَةً باقِيَةً فِی عَقِبِهِ (1))، أی فی عقب ابراهیم، فیدل علی أنه لا بد أن تبقی کلمه اللّه فی ذریه ابراهیم، و لا یزال ناس منهم علی الفطره یعبدون اللّه تعالی حتی تقوم الساعه. و لعل ذلک استجابه منه تعالی لدعاء ابراهیم الذی قال: (وَ اجْنُبْنِی وَ بَنِیَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنامَ (2)) و قوله:

(رَبِّ اجْعَلْنِی مُقِیمَ الصَّلاهِ وَ مِنْ ذُرِّیَّتِی (3)).

و واضح أنه: لو أنه تعالی قد استجاب لابراهیم فی جمیع ذریته لما کان ابو لهب من أعظم المشرکین، و اشدهم علی رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله و سلم). و هذا ما یفسر الاتیان بمن التبعیضیه فی قوله: (وَ مِنْ ذُرِّیَّتِی).

استغفار ابراهیم (ع) لابیه:

و قد اعترض علی القائلین بایمان جمیع آبائه (صلی اللّه علیه و آله و سلم) إلی آدم، بأن القرآن الکریم ینص علی کفر آزر أبی ابراهیم، قال تعالی: (وَ ما کانَ اسْتِغْفارُ إِبْراهِیمَ لِأَبِیهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَهٍ وَعَدَها إِیَّاهُ، فَلَمَّا تَبَیَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ، إِنَّ إِبْراهِیمَ لَأَوَّاهٌ حَلِیمٌ) (4).

و أجابوا:

أولا: إن إبن حجر یدعی اجماع المؤرخین علی أن آزر لم یکن أبا لابراهیم، و إنما کان عمه، أو جده لأمه، علی اختلاف النقل (5) و إسم أبیه0.

1- الزخرف: 28.
2- ابراهیم: 35.
3- ابراهیم: 4.
4- التوبه: 114.
5- راجع: السیره النبویه لدحلان ج 1 ص 37، و راجع: الدر المنثور للعاملی: ج 1 ص 160.

الحقیقی: تارخ (1)، و انما اطلق علیه لفظ الاب توسعا، و تجوزا و هذا کقوله تعالی: (أَمْ کُنْتُمْ شُهَداءَ إِذْ حَضَرَ یَعْقُوبَ الْمَوْتُ؛ إِذْ قالَ لِبَنِیهِ ما تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِی؟ قالُوا: نَعْبُدُ إِلهَکَ وَ إِلهَ آبائِکَ (2)). ثم عد فیهم اسماعیل، و لیس من آبائه؛ و لکنه عمه.

و قد ذکر بعض العلماء: أن اسم آزر لم یذکر فی القرآن إلا مره واحده فی أول الأمر، ثم لم یتکرر إسمه فی غیر ذلک المورد، تنبیها علی أن المراد بالأب: آزر.

و ثانیا: إن استغفار ابراهیم لابیه قد کان فی اول عهده و فی شبابه، مع أننا نجد أن إبراهیم حین شیخوخته، و بعد أن رزق أولادا، و بلغ من الکبر عتیا یستغفر لوالدیه، قال تعالی حکایه عنه: رَبَّنَا اغْفِرْ لِی وَ لِوالِدَیَّ وَ لِلْمُؤْمِنِینَ، یَوْمَ یَقُومُ الْحِسابُ (3) قال هذا بعد أن وهب اللّه له علی الکبر اسماعیل و اسحاق حسب نص الآیات الشریفه. (4) مع أن الآیه تفید: أن الإستغفار الأول قد تبعه التبرّؤ مباشره.

و لکن من الواضح: أن بین الوالد و الأب فرقا، فإن الأب یطلق علی المربی و علی العم و الجد، أما (الوالد) فإنما یخص الوالد بلا واسطه.

فالإستغفار الثانی إنما کان للوالد، أما الأول فکان للأب.

و ثالثا: إنه یمکن أن یکون ذلک الذی استغفر له، و تبرأ منه، قد عاد إلی الایمان، فعاد هو إلی الاستغفار له.

هذا، ولکن بعض الأعلام (5) یری: أن اجماع المؤرخین علی أن أبای.

1- الدر المنثور للعاملی: ج 1 ص 160 و تاریخ الخمیس ج 1 ص 235 و 236.
2- البقره 133.
3- ابراهیم 41.
4- راجع: تفسیر المیزان ج 12 ص 78/ 79.
5- هو العلامه المحقق السید مهدی الروحانی.

ابراهيم ليس آزر منشؤه التوراه، التى تذكر ان اسم أبى ابراهيم هو: (تارخ). ثم ذكر ما استظهرناه نحن أيضا من أن من الممكن أن يكون نفس والد إبراهيم قد كان مشركا يجادله فى الايمان باللّه، فوعده بالاستغفار له، و وفى بوعده، ثم عاد فآمن بعد ذلک فكان يدعو له بعد ذلک أيضا حتى فى أواخر حياته هو كما اسلفنا.

و هذا الإحتمال و إن كان واردا حيث لا ملزم لحمل الأب فى القرآن، و الوالد على المجاز.

إلا أنه ينافى الإجماع و الأخبار؛ فلا محيص عن الإلتزام بما ذكرناه آنفا من أن المراد بالأب هو العم و المربى، لا الوالد على الحقيقه. مع عدم قبولنا منه قوله: إن استعمال الاب فى العم المربى، يكون مجازا.

ان أبى و أباک فى النار:

روى مسلم و غيره: أن رجلا سأل النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم): أين أبى؟ فقال: فى النار. فلما قفا دعاه، و قال له: إن أبى و أباک فى النار (1).

و نقول: إن هذا لا يصح.

أولا: لما تقدم. مما يدل على إيمان جميع آبائه (صلى اللّه عليه و آله و سلم).

و ثانيا: لقد روى هذه الروايه حماد بن سلمه، عن ثابت، عن أنس.2.

1- راجع بالإضافه إلى صحيح مسلم: صفه الصفوه ج 1 ص 172 عن مسلم و الإصابه ج 1 ص 337 عن ابن خزيمه، و سنن أبى داود المطبوع مع عون المعبود ج 12 ص 494، و البدايه و النهايه ج 2 ص 280 عن مسلم و مسالک الحنفا ص 54 عن مسلم و تاريخ الخميس ج 1 ص 232.

مع أننا نجد: أن معمرا قد روى نفس هذا الحديث عن ثابت عن أنس، و لكن بنحو آخر لا يدل على كفر أبيه (صلى اللّه عليه و آله و سلم)، فقد قال له (صلى اللّه عليه و آله و سلم): (حيثما- أو إذا- مررت بقبر كافر فبشره بالنار (1)).

و قد نص علماء الجرح و التعديل- من اصحاب هؤلاء الرواه- على أن معمرا أثبت من حماد. و أن الناس قد تكلموا فى حفظ حماد، و وقع فى احاديثه مناكير، دسّها ربيعه فى كتبه، و كان حماد لا يحفظ، فحدث بها، فوهم فيها (2).

و ثالثا: لقد رويت هذه الروايه بسند صحيح على شرط الشيخين عن سعد بن ابى وقاص، و جاء فيها: حيثما مررت بقبر كافر فبشره بالنار (3).

و كذا أيضا روى عن الزهرى، بسند صحيح أيضا (4)

و رابعا: كيف يكون أبواه (صلى اللّه عليه و آله و سلم)، و أبو طالب، و عبد المطلب، و غيرهم، فى النار حسب اصرار هؤلاء، ثم يكون ورقه بن نوفل، الذى أدرک البعثه، و لم يسلم، فى الجنه عليه ثياب السندس (5).

و كذلک فان زيد بن عمرو بن نفيل- ابن عم عمر بن الخطاب- فى الجنه يسحب ذيولا، مع أنه مثل ورقه الآنف الذكر (6). كما أن أميه بن أبى1.

1- السيره الحلبيه ج 1 ص 50/ 51، مسالک الحنفا ص 54/ 55.
2- السيره الحلبيه ج 1 ص 51، و مقدمه فتح البارى ص 397، و تهذيب التهذيب ج 3 ص 12- 15. و مسالک الحنفا 55.
3- السيره الحلبيه ج 1 ص 51 عن البزار، و الطبرانى، و البيهقى، و البدايه و النهايه ج 2 ص 280. عن البيهقى، و مسالک الحنفا ص 55 عنهم و ص 56 عن ابن ماجه.
4- مصنف الحافظ عبد الرزاق ج 10 ص 454.
5- سيأتى بعض الحديث عن ورقه حين الكلام على روايات بدء الوحى فانتظر.
6- السيره النبويه لدحلان ج 1 ص 39 و 168 و البدايه و النهايه ج 2 ص 237- 241.

الصلت كاد يسلم فى شعره، و هكذا؟!. (1)

و كيف تطرح كل تلك الاحاديث و التواريخ المتضافره، المتواتره الدالّه على ايمان أولئک، و يتشبث لايمان هؤلاء ببيت شعر، أو بكلمه عابره، لم يتبعها إلا التصميم على النهج الأول؟!.

نعم، و كيف لا يكون لهؤلاء نجاه و يكونون فى النار (2)، ثم يدخل المشركون الذين عاشوا فى زمن الفتره الجنه؟! فقد ذكر الحلبى و دحلان و غيرهما: أن أهل الفتره لا عذاب عليهم إلا على قول ضعيف، مبنى على وجوب الايمان و التوحيد بالعقل، و الذى عليه اكثر أهل السنّه و الجماعه:

أنه لا يجب ذلک إلا بارسال الرسل.

و اطبق الأشاعره فى الاصول، و الشافعيه فى الفقه على أن من مات و لم تبلغه الدعوه مات ناجيا، و يدخل الجنه؛ فعليه أهل الفتره من العرب لا تعذيب عليهم، و إن غيّروا، أو بدّلوا، أو عبدوا الأصنام، و الاحاديث الوارده بتعذيب من ذكر مؤوّله (3).

و بهذا، و بالاحاديث المتواتره يرد ما زعموه من أنه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) قد منع من الاستغفار لأمه رضوان اللّه تعالى عليها، و إن كنا نحن نعتقد أن اهل الفتره يعذبون إذا قامت عليهم الحجه العقليه أو النقليه إلا القاصرين منهم؛ فان التوحيد يثبت بالعقل لا بإرسال الرسل، و إلا، لم يمكن اثبات شى ء على الاطلاق، لا التوحيد، و لا النبوه، و لا الدين من الأساس.ى.

1- الأغانى ط ساسى ج 3 ص 190.
2- عون المعبود ج 12 ص 494، و البدايه و النهايه ج 2 ص 281 عن دلائل النبوه للبيهقى.
3- السيره النبويه لدحلان ج 1 ص 32/ 33، و السيره الحلبيه ج 1 ص 106/ 107، و هذا هو رأى ابن حجر الهيتمى، و المناوى، و السيوطى.

غریبه:

و من غریب الأمر هنا: أن نجد البعض یوجه روایه: إن أبی و أباک فی النار، بأن المقصود هو عمه أبو طالب؛ لأن العرب تسمی العم أبا، و قد کان (صلی اللّه علیه و آله و سلم) ینسب بالبنوه إلی ابی طالب (1).

و لا ندری لماذا ترک عمه أبا لهب لعنه اللّه تعالی. فان کفره مسلم و مقطوع به، و تمسک بالمدافع عنه، و المناصح له، و الباذل مهجته فی سبیل نبیه و دینه- و سوف یأتی إن شاء اللّه أن ایمان أبی طالب هو المسلم و المقطوع به. بل هو کالنار علی المنار، و کالشمس فی رابعه النهار.

و یکفی أن نذکر أن العظیم آبادی قد قال هنا: و هذا أیضا کلام ضعیف باطل (2).

ملاحظه:

و یلاحظ هنا أن فی عباره الرسول الأعظم (صلی اللّه علیه و آله و سلم) المتقدمه فی حدیث: (حیثما مررت بقبر کافر فبشره بالنار) توریه لطیفه؛ حیث إن عبارته هذه قد خففت من تأثر السائل. و هی فی نفس الوقت صادقه المضمون، و لا تدل علی کفر أبیه (صلی اللّه علیه و آله و سلم)؛ إذ أن من الطبیعی أن الکافر مبشر بالنار. و أما أن أباه (صلی اللّه علیه و آله و سلم) کافر أولا؛ فذلک مسکوت عنه.

و الغریب هنا: أنه قد روی أن النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) قد قال ذلک عن أمه رحمها اللّه، فقد قال لرجلین: أمی و أمکما فی النار.5.

1- عون المعبود ج 12 ص 494/ 495 عن السندی، و السیره الحلبیه ج 1 ص 51، و مسالک الحنفا ص 58.
2- عون المعبود ج 12 ص 495.

و نحن لا نزيد على أن نذكر هنا أن الذهبى قد حلف على عدم صحه هذا الحديث. يعنى حديث كون أمه و أمهما فى النار (1).

و أخيرا: فإننا نكاد نصدق مقوله: أن السبب فى تكفير آباء رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) و أعمامه هو مشاركه على (عليه السلام) له فيهم، أو أنهم يريدون أن لا يكون آباء الخلفاء من بنى أميه و من غيرهم، و آباء رجالات الحكم و أعوانه كفارا، و يكون آباء النبى و أهل بيت النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) مؤمنين، فلا بد من سلب هذه الفضيله عنه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) ليستوى هو و غيره فى هذا الأمر.

البحث الثانى بماذا كان يدين النبى صلى الله عليه و آله وسلم قبل البعثه:

اشاره

إن ايمان النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) و توحيده قبل بعثته يعتبر من المسلمات، و لكن يبقى: أنهم قد اختلفوا فى أنه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) هل كان متعبدا بشرع أحد من الانبياء قبله او لا. فهل هو متعبد بشرع نوح، أو ابراهيم، أو عيسى، أو بما ثبت أنه شرع، أو لم يكن متعبدا بشرع أحد؟ ذهب إلى كلّ فريق (2).

و توقف عبد الجبار، و الغزالى، و السيد المرتضى.

و ذهب المجلسى إلى أنه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) حسبما صرحت به الروايات: كان قبل البعثه، مذ اكمل اللّه عقله فى بدو سنه4.

1- السيره الحلبيه ج 1 ص 106 و مسالک الحنفا ص 52.
2- راجع: تاريخ الخميس ج 1 ص 254.

نبیا، مؤیدا بروح القدس (1)، یکلمه الملک، و یسمع الصوت، و یری فی المنام، ثم بعد أربعین سنه صار رسولا، و کلمه الملک معاینه، و نزل علیه القرآن، و أمر بالتبلیغ. و قال المجلسی: إن ذلک ظهر له من الآثار المعتبره، و الاخبار المستفیضه (2).

و قد استدلوا علی نبوته (صلی اللّه علیه و آله و سلم) منذ صغره بأن اللّه تعالی قد قال حکایه عن عیسی: إِنِّی عَبْدُ اللَّهِ آتانِیَ الْکِتابَ، وَ جَعَلَنِی نَبِیًّا، وَ جَعَلَنِی مُبارَکاً أَیْنَ ما کُنْتُ، وَ أَوْصانِی بِالصَّلاهِ وَ الزَّکاهِ ما دُمْتُ حَیًّا (3).

و یقول تعالی عن یحیی (علیه السلام): وَ آتَیْناهُ الْحُکْمَ صَبِیًّا (4) فإذا أضفنا إلی ذلک: أنه قد ورد فی أخبار کثیره بعضها صحیح، کما فی روایه یزید الکناسی فی الکافی: إن اللّه لم یعط نبیا فضیله، و لا کرامه، و لا معجزه، إلا أعطاها نبینا الاکرم (صلی اللّه علیه و آله و سلم).

فان النتیجه تکون: هی أن اللّه تعالی قد اعطی نبیا محمدا (صلی اللّه علیه و آله و سلم) الحکم و النبوه منذ صغره (5)؛ ثم أرسله للناس کافه، حینما بلغ الاربعین من عمره ... و قد أید المجلسی هذا الدلیل بوجوه کثیره (6).1.

1- و کان عیسی أیضا مؤیدا بروح القدس؛ قال تعالی: (وَ أَیَّدْناهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ) و لو لم یکن نبینا صلی اللّه علیه و آله و سلم مؤیدا بروح القدس، لکان یحیی و عیسی أفضل منه صلی اللّه علیه و آله و سلم.
2- البحار ج 18 ص 277.
3- مریم: 30.
4- مریم: 12.
5- راجع: البحار ج 18 ص 278/ 279.
6- راجع: البحار: ج 18 ص 277- 281.

و يمكن المناقشه فى ذلک بأن إعطاءه صلى الله عليه و آله وسلم فضائل الانبياء و معجزاتهم الوارده فى الروايه لا يستلزم ما يراد اثباته هنا؛ فان بعض معجزاتهم لم يكن ثمه حاجه إليها فى زمانه (صلى اللّه عليه و آله و سلم).

نعم هى واقعه تحت اختياره (صلى اللّه عليه و آله و سلم) و لو احتاجها لاستفاد منها جميعا. و أما الفضائل فقد كان (صلى اللّه عليه و آله و سلم) هو الجامع لها على النحو الاكمل و الاشمل فى جميعها، حتى انه إذا كان أيوب قد امتاز على غيره من الانبياء بالصبر، فان صبر نبينا (صلى اللّه عليه و آله و سلم) كان اكمل من صبر أيوب، و هكذا بالنسبه لسائر الانبياء، و امتيازاتهم فى الفضائل، و مكارم الاخلاق.

و أما الكرامات، فان الظاهر هو أن المقصود بها نفس المعجزات، فان اللّه تعالى قد اكرمه بها.

و مع الغض عن كل ذلک، فانه لا بد من ثبوت تلک الأخبار؛ ليمكن الحكم بمضمونها، بعد تسليم دلالتها بشكل قطعى و نهائى.

نعم ثمه روايات كثيره تلمح و تصرح بنبوته قبل بعثته، أشار إليها المجلسى كما قلنا، و أشار العلامه الأمينى أيضا إلى حديث: إنه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) كان نبيا و آدم بين الروح و الجسد، و رواه عن العديد من المصادر من غير الشيعه (1).

و لكن لا يمكن الحكم بمضمون هذه الروايات إلا بعد التأكد من اسانيدها و دلالتها، و ثبوت ذلک بشكل قطعى، حيث إنه يراد إثبات أمر إعتقادى بها، و المطلوب فى الإعتقادات هو القطع، و لا يكفى ما دونه.

و بعد كل ما تقدم، فان ما نستطيع نحن الجزم به، هو انه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) كان مؤمنا موحدا، يعبد اللّه، و يلتزم بما ثبت له أنه شرع7.

1- راجع: الغدير: ج 9 ص 287.

اللّه تعالى مما هو من دين الحنيفيه شريعه إبراهيم (عليه السلام)، و بما يؤدى إليه عقله الفطرى السليم، و أنه كان مؤيدا و مسددا، و أنه كان أفضل الخلق و اكملهم خلقا، و خلقا و عقلا.

و كان الملک يعلمه، و يدله على محاسن الأخلاق.

كما أننا نجدهم ينقلون عنه (صلى اللّه عليه و آله و سلم): انه كان يلتزم بأمور لا تعرف إلا من قبل الشرع و كان لا يأكل الميته، و يلتزم بالتسميه و التحميد، إلى غير ذلک مما يجده المتتبع لسيرته صلوات اللّه عليه.

ملّه ابيكم ابراهيم:

بل إننا نقول: إن هناک آيات و دلائل تشير إلى أن إبراهيم الخليل (عليه السلام) و نبينا الأكرم (صلى اللّه عليه و آله و سلم)، هما اللذان كان لديهما شريعه عالميه، و قد بعثا إلى الناس كافه.

أما موسى و عيسى (عليهما السلام) فإنما بعثا إلى بنى اسرائيل.

و قد حرصت الآيات القرآنيه العديده على ربط هذه الأمه بإبراهيم (عليه السلام) فلاحظ قوله تعالى: وَ ما جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ، مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْراهِيمَ، هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ (1).

و قال تعالى: وَ مَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَ هُوَ مُحْسِنٌ، وَ اتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْراهِيمَ حَنِيفاً (2).

و قال سبحانه: قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْراهِيمَ حَنِيفاً (3).5.

1- الحج: 78.
2- النساء: 125.
3- آل عمران: 95.

و قال جل و علا: إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْراهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ، وَ هذَا النَّبِىُّ، وَ الَّذِينَ آمَنُوا (1).

و قال تعالى: وَ قالُوا: كُونُوا هُوداً أَوْ نَصارى تَهْتَدُوا. قُلْ: بَلْ مِلَّةَ إِبْراهِيمَ حَنِيفاً وَ ما كانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (2).

ثم نجد القرآن يصرح أيضا أن النبى الأعظم (صلى اللّه عليه و آله و سلم) شخصيا كان مأمورا أيضا باتباع مله ابراهيم (عليه السلام)، فقد قال سبحانه:

ثُمَّ أَوْحَيْنا إِلَيْکَ: أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْراهِيمَ حَنِيفاً، وَ ما كانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (3).

و قال فى موضع آخر: قُلْ: إِنَّنِى هَدانِى رَبِّى إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ، دِيناً قِيَماً مِلَّةَ إِبْراهِيمَ حَنِيفاً وَ ما كانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (4).

و هذا، و إن كان ظاهره: أنه (صلى اللّه عليه و آله) قد أمر بذلک بعد البعثه و بعد نزول الوحى عليه، لكنه يثبت أيضا: أنه لا مانع من تعبده صلى الله عليه و آله وسلم قبل بعثته بما ثبت له أنه من دين الحنيفيه، و من شرع إبراهيم (عليه السلام)، و ليس فى ذلک أيه غضاضه، و لا يلزم من ذلک أن يكون نبى اللّه إبراهيم أفضل من نبينا (صلى اللّه عليه و آله و سلم)، فإن التفاضل إنما هو فى ما هو أبعد من ذلک.

هذا كله، لو لم نقتنع بالادله الداله على نبوته صلى الله عليه و آله وسلم من صغره (صلى اللّه عليه و آله و سلم).1.

1- آل عمران: 68.
2- البقره: 135.
3- النحل: 123.
4- الأنعام: 161.

و وجدک ضالا فهدی:

و بعد ما تقدم نقول: إن قوله تعالی: ما كُنْتَ تَدْرِی مَا الْكِتابُ وَ لَا الْإِیمانُ (1) و قوله سبحانه: وَ وَجَدَکَ ضَالًّا فَهَدی (2) لا یدل علی وجود ضلاله فعلیه و لا علی وجود جهل فعلی قبل النبوه.

بل غایه ما یدل علیه هو أنه (صلی اللّه علیه و آله و سلم) لولا هدایه اللّه له لکان ضالا و لولا تعلیم اللّه له لکان جاهلا. أی لو أن اللّه أوکله إلی نفسه، فإنه بما له من قدرات ذاتیه و بغض النظر عن الالطاف الإلهیه، و العنایات الربانیه ضال قطعا، و جاهل بلا ریب. فهو من قبیل قولک: ما أنا فی نفسی بفوق أن أخطی ء لولا لطف اللّه و عصمته و توفیقه، لکن بعد أن کان لطف اللّه حاصلا من أول الأمر فإن العصمه تکون حاصله بالضروره من أول الأمر أیضا. الصحیح من السیره النبی الأعظم، مرتضی العاملی ج 2 200 أولوا العزم: ..... ص : 200

أولوا العزم:

و بعد، فقد نجد فی قوله تعالی حکایه عن آدم (علیه السلام): لَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً (3). و قوله: فَاصْبِرْ کَما صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ (4).

و غیر ذلک من شواهد و دلائل ما یشجعنا علی القول: بأن المراد من إطلاق هذه الصفه علی بعض الأنبیاء هو التأکید علی رسوخ و عمق درجه5.

1- الشوری: 52.
2- الضحی: 7.
3- سوره طه: 115.
4- سوره الأحقاف: 35.

العصمه فيهم، و قدرتهم الكبيره على التحمل فى مواجهه أعظم التحديات مع الطواغيت و الجبارين، و تحمل المسؤوليات الجسام، و المشاق العظام فى نطاق الدعوه إلى اللّه سبحانه. و قد يكون بعض أولى العزم، حتى مثل موسى و عيسى (عليهما السلام) لم يبعث للناس كافه، و إنما لخصوص بنى إسرائيل، الذين ربما يحتاجون إلى بعض التشريعات الإستثنائيه الخاصه بهم، مع كون العمل فى المسار العام إنما هو شريعه إبراهيم عليه الصلاه و السلام.

و هذا بحث يحتاج إلى توفر تام، و جهد مستقل، نأمل ان يوفقنا اللّه لهما فى فرصه أخرى إن شاء اللّه تعالى.

من الأساطير:

و بعد كل ما تقدم نعلم: أن كل ما يذكر عنه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) من أمور تتنافى مع التسديد، و مع شرع اللّه تعالى، لا أساس له من الصحه. و نذكر هنا على سبيل المثال:

ما رواه البخارى و غيره، من أنه قد قدّم لزيد بن عمرو بن نفيل سفره فيها شاه ذبحت لغير اللّه تعالى. (و عند البخارى إنها قدمت للنبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم))؛ فأبى زيد أن يأكل منها، و قال: أنا لا آكل مما تذبحون على أنصابكم، و لا آكل إلا ما ذكر اسم اللّه عليه.

و فى روايه أحمد: إن زيدا مرّ على النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) و هو يأكل مع سفيان بن الحرث من سفره لهما، فدعواه إلى الطعام فرفض، و قال الخ.

قال: فما رؤى النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) من يومه ذاک يأكل مما ذبح على النصب حتى بعث.

و يذكرون أيضا: ان زيد بن عمرو بن نفيل كان يعيب على قريش ذبائحهم و يقول الخ ... (1).

و عليه، فزيد بن عمرو بن نفيل كان أعقل من النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) و اعرف منه- و العياذ باللّه- لأنه أدرک و عرف قبح اكل ما ذبح على النصب، و لم يذكر اسم اللّه عليه، أو بلغه ذلک. و لكن النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) لم يستطع أن يدرک ذلک، و لا كان على قرب من مصادر المعرفه، فكان يأكل منه؛ مع أنه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) اعقل الكل و فوق الكل، و مع أنه قد تربّى فى حجر عبد المطلب، الذى ترک الاصنام، و ابتعد عنها حسبما تقدم. ثم فى حجر عمه أبى طالب،.

و بيتهم كان أرفع بيت فى العرب. و هم أعرف الناس بتعاليم الحنيفيه.

نعم، لقد أدرک زيد ذلک برايه، حسبما يرجحه العسقلانى (2)، و لم يستطع النبى الاعظم (صلى اللّه عليه و آله و سلم) أن يدركه. لقد كانت النبوّه بزيد قريب عمر بن الخطاب (3) أجدر منها بمحمد، نعوذ باللّه من الزلل فى القول و العمل.

و احتمال: أن يكون زيد قد أخذ ذلک عن بعض النصارى أو اليهود، كما احتمله البعض.

يحتاج إلى اثبات: أن النصارى كانوا يحرمون اكل ما ذبح على7.

1- راجع: صحيح البخارى ط مشكول المصريه ج 5 ص 50 و ج 7 ص 118 باب ما ذبح على النصب و الأصنام، و السيره الحلبيه ج 1 ص 123، و مسند أحمد ج 1 ص 189 و راجع فتح البارى ج 7 ص 108 و 109 و الروض الأنف ج 1 ص 256 و البدايه و النهايه ج 2 ص 238 و 239 و 240 و راجع ص 237.
2- فتح البارى ج 7 ص 109.
3- البدايه و النهايه ج 2 ص 237.

النصب، أو ما لم يذكر اسم اللّه عليه.

أما اليهود فما كانوا يهتمون بدخول غيرهم فى دينهم. و إذا كان ذلک شائعا عنهم؛ فلماذا لم يعرف به غير زيد.

على أن هناک نص يقول: إن النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم): (كان لم يأكل مما ذبح على النصب) (1).

و مهما يكن من أمر، فقد قال السهيلي: (كيف وفق اللّه زيدا الي ترک ما ذبح على النصب، و ما لم يذكر اسم اللّه عليه، و رسوله (صلى اللّه عليه و آله و سلم) كان أولى بهذه الفضيله فى الجاهليه؛ لما ثبت من عصمه اللّه تعالى له).

ثم أجاب عن ذلک: بأنه ليس فى الروايه: أنه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) قد اكل من السفره، و بأن شرع ابراهيم إنما جاء بتحريم الميته، لا بتحريم ما ذبح لغير اللّه تعالى. فزيد امتنع عن اكل ما ذبح لغير اللّه برأى رآه لا بشرع متقدم (2).

و لكنه جواب بارد حقا.

فان إدراک زيد لهذا الأمر الذى وافق فيه نظر الشرع، و عدم إدراكه هو (صلى اللّه عليه و آله و سلم) له مما لا يمكن قبوله، أو الالتزام به.

هذا .. و لماذا يسدد اللّه تعالى نبيه حينما كشف عن عورته حين بناء البيت، و يمنعه عن ذلک- حسبما يدعون-، ثم تبغض اليه الاصنام، و الشعر، و لا يسدده اللّه، و يحفظه من اكل ما ذبح لغير اللّه تعالى؟! الذى9.

1- تاريخ الخميس ج 1 ص 254.
2- الروض الأنف ج 1 ص 256، و راجع: السيره الحلبيه ج 1 ص 123 عنه، و فتح البارى ج 7 ص 109.

يدرک بعض الناس أنه ليس محبوبا للّه تعالى؟!

استلام الاصنام:

و من أساطيرهم أيضا ما ذكروه من أنه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) كان يستلم الأصنام بل لقد ذكر البعض: أنه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) قال: (أهديت للعزى شاه عفراء، و أنا على دين قومى) (1).

مع أنهم يذكرون: ان زيدا المتقدم و عمر بن الحويرث، و ابا قيس بن هرمه، و قس بن ساعده، و أسعد بن كريب، و عبيد اللّه بن جحش، و رباب بن البراء و غيرهم، لم يسجدوا لصنم قط، و حرّموا عباده الاوثان.

فلماذا أدركوا هم ذلک دونه؟!.

و ايضا فقد سئل (صلى اللّه عليه و آله و سلم): هل عبدت وثنا قط؟

قال: لا.

و قال: ابن حجر: إن الناس قد انكروا حديث استلامه الاصنام.

و قال أحمد بن حنبل- على ما فى الشفاء-: إنه حديث موضوع (2).

و على كل حال؛ فان هناک تفاهات كثيره، و أكاذيب عديده عليه (صلى اللّه عليه و آله و سلم)، سواء بالنسبه إلى الفتره التى سبقت البعثه، أو التى تلتها. و سيأتى بعض من ذلک، و لكن لابد من الاعتراف:

بأن استقصاءها متعسر بل متعذر؛ و لذا فلا بد من الاقتصار على ما يسعه المجال، ثم الانصراف إلى ما هو أهم، و أجدر، و أولى.0.

1- السيره النبويه لابن هشام ج 1 ص 86.
2- راجع السيره النبويه لدحلان ج 1 ص 50/ 51 و السيره الحلبيه ج 1 ص 125 و 270.

البحث الثالث: شروط النهضه:

هناک عده أمور تعتبر ضروريه و حتميه فی بناء الحضاره، و حصول النهضه لأی شعب کان، و أيه أمه کانت. و نود أن نشير إلی بعض مقومات و عناصر ذلک عموما. ثم .. و بمقارنه بسيطه و موجزه، نستطيع أن نتعرف علی جانب من عظمه الاسلام و سموّه، و أصالته.

و من اجل تسهيل تصور ما نريد عرضه علی القاری ء، نقوم بمقارنه محدوده بين واقع و ظروف عرب شمال الجزيره العربيه، و هم اهل الحجاز، و بين واقع و ظروف عرب جنوبها، و هم أهل اليمن.

فنقول:

ألف: لقد عاش اليمنيون فی منطقه غنيه و ثريه، و تستطيع، اذا ما اشتغل أهلها بزراعتها: أن توفر لهم لقمه العيش. و هی بالاضافه إلی ذلک أرض جبليه، صعبه المسالک، فهی إذن تستطيع فی کثير من الأحيان أن توفر لهم حمايه طبيعيه، و قدره علی مقاومه الأعداء.

و إذا کان اليمنيون يشتغلون بزراعه أرضهم، و يستفيدون منها، و يعتبرونها المصدر الأول و الاساس لحياتهم، و استمرار وجودهم؛ فمن الطبيعی أن يتولد فيهم لذلک شعور مبهم بمحبه هذه الارض، و التمسک بها، و الحنين إليها.

و هذا بالطبع، هو المهم عاده فی حب الناس لأوطانهم، و حنينهم إليها، حتی إنهم قد يبذلون کل غال و نفيس حتی دماءهم فی سبيل الدفاع

عنها، بل و حتى عن شبر واحد منها؛ فمحبه الوطن تنشأ غالبا من محبه الارض، و محبه الارض تنشأ (عموما) من الشعور بأنها تعطيه كل مقومات الحياه، و بأنها تحفظ له استمرار بقائه و وجوده، بالشكل المرضى له، و المقبول عنده.

ب: و كان فى اليمن أيضا حكومه مركزيه مهيمنه تفرض النظام و القانون، و تهتم باشاعه الطمأنينه، و الأمن و السلام.

و إذا كان الانسان يشعر بالامن، و يعيش فى ظل القانون، و لا يتخوف من أى عدو يتربص به الغوائل، فانه يجد الفرصه للتفكير فى تغيير الوضع الحياتى الذى يعيشه، إلى وضع أفضل و اكمل.

ج: ثم تتاح الفرصه لآمال و تطلعات هذا الانسان للتعبير عن نفسها، و فرض وجودها، فتدفعه إلى بذل المحاوله. و التصرف فيما تناله قدراته فى توجيهه فى هذا السبيل.

د: ثم يأتى دور الأهم و الأقوى تأثيرا فى النهضه، ألا و هو النظام الأكمل و الاشمل و الأصلح، الذى يستطيع أن يبنى الانسان من الداخل، و يحافظ عليه من الخارج، و يزيل من طريقه كل العقبات، التى يمكن أن تعترض سبيل تقدمه؛ و لتنمو، و تتكامل فى ظل ذلک النظام- من ثم- ملكات هذا الانسان، و خصائصه، و لتجد طاقاته و امكاناته الفرصه للتأثير فى عمليه التغيير للحاضر الذى يعيشه، و التخطيط الصحيح و السليم للمستقبل الذى يقدم عليه.

فاذا توفرت كل تلک العناصر لايه أمه، فانها و لا شک سوف تكون قادره على أن تبنى حضاره، و تصنع لنفسها مستقبلا مغريا و زاهرا و مجيدا.

و قد كانت كل تلک العناصر متوفره فى منطقه اليمن، باستثناء العنصر الأخير منها. و كان فقدانها له بالذات هو السبب فى أنها لم تستطع أن تفيد شيئا من تلک القدرات و الامكانات التى توفرت لها، و لا يحدثنا

التاريخ عن شی ء ذی بال، تميزت به اليمن فی تاريخها القديم، سواء علی الصعيد الفكری، أو الحضاری، أو غير ذلک، و لا كان فيها ما يعبر عن نظره واعيه، أو عقليه متطوره تتلائم مع حجم امكاناتها تلک.

كما أن الديانه اليهوديه المحرفه، التی سيطرت عليها حقبه من الزمن، لم تستطع أن تقدم لها شيئا يذكر فی مجال النهوض باهلها، و الخروج بهم من ظلمات جهلهم، و التخفيف من شقائهم و آلامهم، تماما كما لم تستطع المسيحيه المحرفه فی الرومان، و الزرادشتيه فی الفرس:

أن تؤثر تأثيرا يذكر فی ذلک.

أما فی الحجاز، فقد كانت كل تلک العناصر مفقوده؛ و لكن عند ما وجد العنصر الاخير منها- فقط- استطاعت هذه الامه- و ذلک هو الاعجاز حقا- أن تنتقل من أمه متوحشه بدائيه، تتصف بكل صفات الذل و المهانه، إلی امه لا تدانيها، و لن تدانيها أيه أمه أخری علی الاطلاق.

فعرب الحجاز لم يكونوا فی الاكثر أهل زراعه، لان أرضهم لم تكن صالحه لذلک؛ بسبب قله المياه فيها، حيث لم يكن فيها حتی نهر واحد بالمعنی الصحيح للكلمه (1). كما أن الامطار تقل فيها بشكل ملحوظ. و كل ما كان هناک هو بعض الينابيع، التی كانت تظهر فی الشتاء، و تجف فی الصيف، فيرحلون عنها بحثا عن غيرها. هذا عدا عن أن الارض نفسها كان فيها القليل مما يصلح للزراعه.

إذن، فلا شی ء يشد العربی إلی هذه الارض، أو يربطه بها، و يجعله يحبها، و يتفانی فی سبيلها. بل كان مصدر حياتهم و رزقهم هو:

السيف، و الماشيه، و الابل بصوره عامه، و لهذا نری أن اكثر ما يعزّ عليهم، و له مكانه فی نفوسهم هو هذه الأمور بالذات؛ فنری الشاعر العربی يتغنی بالجمل، و السيف، و الفرس، و يتغزل بالرياح الطيبه، التيا.

1- راجع: المفصل فی تاريخ العرب قبل الإسلام ج 1 ص 157 فما بعدها.

تخفف عنه بعض ما يعانيه من آلام؛ نتيجه حرّ منطقته، ثم هو يناجى القمر و النجوم كثيرا أيضا.

و إذا ما رأيناه يبكى- أحيانا- الديار و الاطلال، فليس ذلک إلا لأنها كانت فى وقت ما مصدر أنس له، أو لأنه هو نفسه كان حضريا.

و لأن العربى هذا قد اتخذ الغزو و السلب وسيله من وسائل العيش؛ فاننا نراه يهتم بالتغنى بمواقفه هذه، و يفتخر باستمرار بشنّه الغارات فرسانا و ركبانا.

و من الجهه الاخرى، فانه دائما يتوقع أن يغزى، و أن تشنّ عليه الغارات؛ و لا يشعر بوجود سلطه تستطيع أن تحميه، فهو فى خوف دائم، و رعب مستمر.

و إذا كان الامن غير متوفر له، فكيف يمكن أن تتوفر له الفرصه للتفكير فى حياته، و محاوله الخروج من واقعه، و تحسين ظروف عيشه، ثم التخطيط للمستقبل بواقعيه، و أناه، ثم العمل بهدوء و اطمينان على تنفيذ خططه، و تحقيق آماله؟!

و من الجهه الثالثه، كيف و أنى يمكن لآماله أن تنمو، و لطموحاته أن تتجسد؟ و هو فى كل يوم يفقد أملا، و يتحمل ألما.

و خلاصه الامر: إنه لا سلطه مركزيه تستطيع أن تفرض هيبتها و هيمنتها بيسر و فعاليه، بل إن ذلک قد يتعذر بالنسبه إلى أمه تعيش حياه التنقل و الغاره، و تتحول باستمرار من مكان إلى مكان.

و قد كان العرب يتجنّبون الالتحام بالجيوش المنظمه،؛ لتفوقها عليهم، فاذا تعقبتهم تلک الجيوش هربوا الى الباديه، و اعتصموا بها.

و كذلک يفعلون اذا واجهوا الجيش و وجدوا فيه قوه (1).3.

1- راجع: المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام ج 5 ص 413 و 414 و 420. و راجع: تاريخ التمدن الإسلامى المجلد الأول، الجزء الأول ص 70 و

حياه محمد لهيكل ص 39 و محاضرات تاريخ الأمم الإسلاميه للخضرى ج 1 ص 33.

و إذن .. فهم كانوا يفقدون كل اسباب النهضه و التقدم، و لا يملكون منها حتى الامل بالتغيير، فضلا عن ارادته، و العمل من أجله. هذا فضلا عن أن الصفات الذميمه، و العادات السيئه، التى كانت تهيمن عليهم جماعات و أفرادا لم تكن تسمح لهم بأيه نهضه، أو أى تقدم نحو الافضل، إن لم تكن تزيد من بلائهم و شقائهم، و تدفعهم خطوه بل خطوات إلى الوراء.

و لكنهم مع ذلک كله، عندما وجدوا الرساله السماويه الحقه، استطاعت تلک الرساله، و ذلک الرسول- و فى فتره و جيزه جدا- ان تنقل هذه الامه من حضيض الذل و المهانه إلى أوج العظمه، و العزه و الكرامه، و أن تغير فيها كل عاداتها و مفاهيمها، و تخفف، بل و تقضى على كل أسباب شقائها، و آلامها. و ذلک هو الاعجاز حقا.

نعم لقد استطاع الاسلام فى فتره لا تتجاوز سنواتها عدد أصابع اليدين أن يحدث انقلابا حقيقيا و جذريا فى عقليه و مواقف و سلوک تلک الامه، و فى مفاهيمها، و ان ينقلها من العدم إلى الوجود، و من الموت إلى الحياه.

و لو أن المسيحيه و اليهوديه و غيرها من الأديان و المذاهب كان فيها أدنى صلاح، و مع توفر كل الظروف الملائمه لنجاحها فى تغيير الاوضاع السيئه آنذاک- لعبرت عن نفسها، و لأثبتت وجودها، مع أن المسيحيه قد كانت فى العرب أيضا قبل الاسلام، و كذلک اليهوديه، و لكنها لم تستطع أن تغير من عقليه العربى، و سلوكه، و مفاهيمه عن الحياه و المستقبل شيئا، بل بقى يئد البنات، و يشن الغارات، إلى غير ذلک من أفعال و صفات.

بل إنهم ليذكرون أن القبيله العربيه الفلانيه التى كانت تدين

بالمسيحيه ما كانت تعرف من المسيحيه غير شرب الخمر، كما سيأتى.

كما أن اليهود قد عاشوا بينهم، و كان العرب يحترمونهم جدا، و يعتبرونهم وحدهم مصدرا للمعرفه و العلم- كما تقدم فى الجزء السابق- و لكنهم لم يكن لهم فى سلوكهم، و عقليتهم، أثر يذكر.

البحث الرابع: العوامل المساعده على انتصار الاسلام و انتشاره:

اشاره

و بعد ذلک الموجز الذى قدمناه لابد أن نشير إلى بعض العوامل و الظروف التى ساعدت على انتصار الاسلام و انتشاره، فى منطقه لها تلک الصفات و المميزات المشار إليها فى البحث السابق.

و بعض تلک العوامل يرجع إلى شخصيه الرسول (صلى اللّه عليه و آله و سلم)، و بعضها يرجع إلى الرساله نفسها، و بعضها يعود إلى أمور أخرى، خارجه عن هذا و ذاک. و يمكن أن نلخص ما نريد الاشاره إليه فى الامور التاليه:

1- منطلق الدعوه: مكه:

أ: إنه يلاحظ أن الاسلام قد انطلق من أقدس بلد لدى الانسان العربى، بل ولدى غيره أيضا، و هو المكان الذى تهوى إليه ثمار الافئده من كل مكان. و هو ملتقى لكل العواطف، و محل آمال الناس، و غايه رجائهم.

ب: يقول البوطى: (البقعه الجغرافيه للجزيره العربيه ترشحها للقيام بعب ء مثل هذه الدعوه؛ بسبب أنها تقع- كما قلنا- فى نقطه الوسط بين الأمم المختلفه التى من حولها. و هذا مما يجعل اشعاعات الدعوه

الاسلاميه تنتشر بين جميع الشعوب و الدول المحيطه بها فى سهوله و يسر ((1)).

و طبيعى: أن هذا الدين لو كان ظهر فى بلاد كسرى؛ فان اتباع قيصر لا يتبعونه، و كذلک العكس؛ و ذلک بسبب المنافسه القائمه بين الامبراطوريتين و الحواجز النفسيه الحاكمه و المهيمنه على الأمتين.

ج: لقد بدأ (صلى اللّه عليه و آله و سلم) دعوته فى مكان بعيد عن نفوذ الدولتين العظيمتين: الرومان، و الفرس، و غيرهما من الدول ذات القوه.

إذن، فلا قوه قاهره تستطيع أن تضرب الضربه الحاسمه، و تقضى على دعوته فى مهدها؛ و ذلک لأن المحيط الذى بدأ فيه دعوته، و الحجاز عموما، كانت تسيطر عليه الروح القبليه، و يطغى عليه التعصب القبلى.

و القوى فيه متكافئه: تقريبا، و كانت القبائل المتعدده كثيره- فبطون قريش وحدها كانت عشره أو تزيد- يرقب بعضها بعضا، و يخشى بعضها بأس بعض.

هذا كله، عدا عن أنها كانت تعرف: أنها إذا أرادت أن تنتهک حرمه الحرم، و يحارب بعضها بعضا؛ فان مكانتها و احترامها- و بالتالى مصالحها الحيويه، سوف تتعرض لدى سائر العرب لنكسه قاسيه، إن لم تكن قاضيه.

2- خصائص شخصيه الرسول صلى الله عليه و آله وسلم :

أ: لقد كان صاحب هذه الدعوه: محمد (صلى اللّه عليه و آله و سلم) من قريش، أعظم قبائل العرب خطرا، و قوه، و نفوذا، و التى كان0.

1- فقه السيره ص 30.

ينظر إليها من كل أحد بعين الاجلال و الاكبار، و بالأخص هو من البيت الهاشمى منها، الذى كان يمتاز بالنزاهه و الطهر، و له السياده و الزعامه، و السؤدد فى مكه، و له الشرف الرفيع الذى لا يدانيه و لا ينازعه فيه أحد.

فمحمد (صلى اللّه عليه و آله و سلم) إذن ليس بحاجه إلى الشرف و الزعامه؛ ليجعل من ادّعاء النبوّه وسيله للوصول إليها، و الحصول عليها.

و قد كان واضحا- لو قيست الأمور بالمقاييس العاديه- أن دعواه تلك لسوف تجرّ عليه الكثير من المتاعب و المصائب، و يكون بذلک قد فرط بكل ما لديه من رصيد إجتماعى فى هذا المجال، فإستمراره فى دعوته مع وضوح اخطارها له يعتبر امرا غير منطقى، لو كان ما يدعيه لا واقعيه له.

كما أن كل أحد يكون على استعداد لقبول الدعوه من بنى اسماعيل، الذين هم مهبط الوحى، و معدن الطهر. و سيأتى إن شاء اللّه تعالى فى مباحث عرض الرسول (صلى اللّه عليه و آله و سلم) دعوته على القبائل. أنه لما عرض دعوته على بنى عامر بن صعصعه، و رفضوا إلا أن يجعل الامر فيهم بعده، و رفض هو، و عادوا إلى بلادهم، و تحدثوا بما كان لشيخ لهم، وضع ذلک الشيخ يده على رأسه، ثم قال: يا بنى عامر، هل لها من تلاف؟ هل لذناباها من مطلب؟ و الذى نفس فلان بيده، ما تقوّلها إسماعيلى قط، و إنها لحق؛ فأين رأيكم كان عنكم (1).

ب: تلک الخصائص و المميزات فى الرسول (صلى اللّه عليه و آله و سلم) نفسه، و التى اشار إليها جعفر بن أبى طالب بقوله: (بعث اللّه إلينا رسولا منا، نعرف نسبه، و صدقه، و أمانته و عفافه). حتى لقد لقّب ب (الصادق الأمين) فقد كان لذلک أثر كبير فى ظهور دعوته، و انتصار و انتشار رسالته. و قد كان تحلّيه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) بهذه.

1- سيأتى ذلک مع مصادره فى الجزء الثانى من هذا الكتاب، فى فصل: حتى بيعه العقبه.

المواصفات ضروريا؛ لأن فقدانها موجب لريبهم، كما قال تعالى: (إِذاً لَارْتابَ الْمُبْطِلُونَ).

هذا كله، بالإضافه إلى ما قد تمدّحه اللّه عليه من خلقه العظيم، فقال: (وَ إِنَّکَ لَعَلی خُلُقٍ عَظِیمٍ) (1).

و مع ذلک فاننا نود أن نخص بالذكر هنا ما يلى:

1- اننا نجد البعض يسلم استنادا إلى شهاده الرسول (صلى اللّه عليه و آله و سلم) نفسه، فقد ورد أن رجلا دخل على جمل؛ فأناخه فى المسجد؛ و عقله، ثم قال لهم: أيكم محمد؟ و النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) متكى ء بين ظهرانيهم.

فقلنا: هذا الرجل الابيض المتكى.

فقال له الرجل: ابن عبد المطلب؟

فقال له (صلى اللّه عليه و آله و سلم): قد أجبتک.

فقال الرجل: إنى سائلک فمشدّد عليک فى المسأله؛ فلا تجد على فى نفسک.

فقال: سل عما بدالک.

فقال: أسألک بربک و رب من قبلک، أ اللّه أرسلک إلى الناس كلهم؟

فقال: اللهم نعم.

فقال: أنشدک باللّه، أ اللّه أمرک أن تصلى الصلوات الخمس فى اليوم و الليله؟.

قال: اللهم نعم.م.

1- سوره القلم/ 4 و ثمه احتمال آخر فی الآیه الشریفه راجع مقالا لنا بعنوان: فلسفه الأخلاق فی الإسلام فی کتابنا: دراسات و بحوث فی التاریخ و الإسلام.

قال: انشدک اللّه ... إلى أن قال:

فقال الرجل: آمنت بما جئت به، و أنا رسول من ورائی من قومی، و أنا ضمام بن ثعلبه الخ. (1)

فان عدم قدره ضمام على تمییزه (صلى اللّه علیه و آله و سلم) عن أصحابه، لخیر دلیل على خلق النبى العظیم، و على أن الاسلام لا یعترف بتلک الفوارق المصطنعه بین الحاکم و رعیته، و لا یعتبر أن الحکم یعطى للحاکم امتیازا، و إنما هو مسؤولیه.

کما أن اسلام ضمام استنادا إلى شهاده النبى (صلى اللّه علیه و آله و سلم) نفسه لیعتبر الذروه فى الثقه به (صلى اللّه علیه و آله و سلم)، و تأثیر هذه الثقه فى قبول دعوته، و انتشار رسالته.

2- هذا مع ما کانت تعرفه قریش فیه، من وفور العقل، و حسن التدبیر، و أصاله الرأی- و قد تقدمت قضیه رفع الحجر الاسود إلى موضعه عند بناء البیت، و حلّه (صلى اللّه علیه و آله و سلم) المشکله التى کانت تواجههم.

ثم ما ظهر له من الآیات و البراهین، حین ولادته، و بعدها، و کونه ابن الذبیحین، الأمر الذى جعل له قدسیه خاصه فى نفوس الناس.

نعم، إن کل ذلک قد وضع قریشا، و سائر الناس أمام الأمر الواقع، فکان کل من یحاول تکذیبه (صلى اللّه علیه و آله و سلم) یجد نفسه أمام صراع داخلى، و وجدانى؛ لأن وجدانه و ضمیره کان یقول له: انت الکاذب الحقیقى، و هو الصادق الامین، و هو محل الثقه المطلقه، و انت4.

1- البخارى هامش فتح البارى ج 1 ص 139- 141، و لیراجع فتح البارى نفسه أیضا. للإطلاع على العدید من المصادر، و البدایه و النهایه ج 5 ص 60 عن ابن إسحاق و تاریخ الطبرى ج 2 ص 384.

مظنه الخيانه، و هو صاحب الرأى و التدبير، و العقل الكبير، و أنت القاصر المقصر فى ذلک. و هکذا الحال فى سائر صفاته الغرّ، و أخلاقه الفضلى.

3- و قد عزز ذلک و قواه: أن کل أحد کان يعرف أميته (صلى اللّه عليه و آله و سلم)، و أنه لم يتلق العلم و المعرفه من أحد. و ها هو لا يستطيع أحد على وجه الارض أن يدعى المعرفه بجزء مما جاء به، فضلا عن بيئته المتناهيه فى الجهل و الضياع، فلم يکن ثمه مجال للارتياب فى صدقه، و صحه دعوته، إلا من مکابر، لا يرى إلا نفسه، و لا يفکر الا فيها.

و حتى لو کان قارئا، فماذا عساه يجد فى کتب السابقين، و هل يمکن ان يقاس ذلک بما جاء به (صلى اللّه عليه و آله و سلم) من المعارف العاليه، و التشريعات المعجزه، بلسان القرآن، الذى يعجز الجن و الإنس عن ان يأتوا بسوره من مثله؟!

4- ثم هو لم يسجد لصنم قط؛ فلا يستطيع أحد أن يعترض عليه، بأنک أنت کنت بالامس تسجد للاصنام، و تعبد الاوثان؛ فلماذا تکفر بها اليوم؟!. فان کانت عبادتها تخالف العقل و الفطره، فأين کان عنک عقلک، و لماذا شذت بک فطرتک؟!.

5- ثم يأتى بعد ذلک اسلوب دعوته المتطور، على وفق الحکمه، و على حسب مقتضيات الأحوال، و فى حدود الاهداف الرساليه، التى لا بد من التقيد بها، و فى حدودها.

6- ثم هناک اصراره، و صبره، و تحمله لکل المشاق و الآلام، و رفضه لکل المساومات، حتى إنهم لو وضعوا الشمس فى يمينه، و القمر فى شماله على أن يترک هذا الأمر، ما ترکه. بل هو لا يقبل منهم أن يسلموا شرط أن يعطيهم فرصه زمنيه للتزود من عباده أوثانهم، مما أوضح لهم: أن المسأله تتجاوز حدود اختياره، و أن رب السماء هو الذى يرعى

هذا الامر، و يريده منهم.

3- الحاله الاجتماعيه:

و يأتى بعد ذلک کله دور الحاله الاجتماعيه التى کانت سائده آنذاک، حيث کان الناس يعيشون حياه الشقاء و البلاء، بکل ما لهذه الکلمه من معنى، کما دلت عليه کلمات الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) المتقدمه، فى أوائل هذا الجزء عن الحاله الاجتماعيه عند العرب- و هى لا تختلف کثيرا عما عند غيرهم- و نضيف إلى ذلک هنا ما قاله جعفر (رحمه اللّه) لملک الحبشه، حينما ذهب عمرو بن العاص ليخدعه عنهم:

(کنا قوما أهل جاهليه، نعبد الاصنام، و نأکل الميته، و نأتى الفواحش، و نقطع الارحام، و نسى ء الجوار، و يأکل القوى منا الضعيف) (1).

فهذه الحاله الاجتماعيه القاسيه التى کانت تهيمن على الأمه، و ذلک الضياع الذى يسيطر عليها قد هيأ الانسان الجاهلى نفسيا، لقبول الحق، و التفاعل معه، و جعله يتطلع للدعوه التى يجد فيها الحق و الخير، و يعرف: أنها تستطيع أن تخفف من شقائه و آلامه، و تنقذه من واقعه المزرى و المهين ذاک. و قد عبر جعفر بن أبى طالب (عليه السلام) عن ذلک، لملک الحبشه، بعد عبارته المتقدمه، فقال:

(فکنا على ذلک حتى بعث اللّه الينا رسولا منا، نعرف نسبه و صدقه و أمانته، و عفافه فدعانا إلى اللّه؛ لنوحده، و نعبده، و نخلع ما کنا نعبد نحن و آباؤنا من دونه، من الحجاره و الاوثان. و أمرنا بصدق الحديث، و أداء4.

1- راجع تاريخ الخميس ج 1 ص 290 و قاموس الرجال ج 2 ص 371 و البدايه و النهايه ج 3 ص 73 و 74.

الامانه، وصله الرحم، و حسن الجوار، و الكف عن المحارم و الدماء.

و نهانا عن الفواحش، و قول الزور، و اكل مال اليتيم، و قذف المحصنه إلخ (1).

و قد عبر أهل المدينه على لسان أسعد بن زراره عن أملهم فى أن يحلّ (صلى اللّه عليه و آله و سلم) بدعوته تلك مشاكلهم المستعصيه، حيث يذكر المؤرخون: أن الأوس و الخزرج ما كانوا يضعون السلاح فى ليل و لا نهار (2)، فمن الطبيعى إذن أن يشتاقوا إلى الخروج من وضع كهذا إذ:

نعمتان مجهولتان: الصحه و الامان.

و سيأتى الحديث عن ذلک حين الكلام على دخول الاسلام إلى المدينه.

هذا، و لا بد من الاشاره هنا إلى أن الاندفاع نحو الاسلام، إنما كان ظاهرا و قويا فى جمله الضعفاء و العبيد، و الفقراء. أما اولئک المستغلون و المستكبرون و أصحاب الاموال، و الاطماع، من أمثال: أبى جهل، و أبى سفيان؛ فقد كانوا هم الذين يهتمون بالقضاء على الدعوه، و منعها من الانتشار. و إن المطالع لتاريخ الاسلام فى مكه ليجد الكثير الكثير من الشواهد، التى تؤيد ما ذكرناه هنا. مع تأكيدنا على أن ذلک لا يختص بما جرى بالنسبه لنبينا (صلى اللّه عليه و آله و سلم) بل هو ينسحب على غيره من الانبياء السابقين. و قد عبر القرآن عن هؤلاء المخالفين من الطبقه الارستقراطيه ب (الملأ) فى اكثر من مورد، و اكثر من مناسبه.

4- نوع معجزته «صلى اللّه عليه و آله و سلم»:

و مما ساعد على انتشار الاسلام و انتصاره نوع المعجزه التى جاء5.

1- تاريخ الخميس ج 1 ص 290 و راجع: البدايه و النهايه ج 3 ص 73 و 74.
2- البحار ج 19 ص 8 و 9 و 10 و اعلام الورى ص 55.

بها (صلی اللّه علیه و آله و سلم) فان هذا القرآن قد حیّر العرب، لیس فقط بما یتضمنه من قوانین عامه و شامله، و من معان و اخبارات غیبیه، و من قصص فیها العبر و العظات، رأی فیها غیر المسلمین تصحیحا دقیقا لما جاء منها فی کتبهم، و غیر ذلک من علوم و معارف. و إنما قهرهم و بهرهم فیما کانوا یعتبرون أنفسهم، و یعتبرهم العالم بأسره قمه فیه، اکمالا للحجه، و حتی لا یبقی مجال لأی خیار؛ لأن خروجه (صلی اللّه علیه و آله و سلم) فی بیئه کهذه، بحجه کهذه، لا بد أن یجعلهم یذعنون و ینقادون للحق، و إلا فلسوف یراهم کل أحد، و یرون أنفسهم أیضا معاندین للحق، و مناصرین للباطل.

نعم، لقد بهرهم هذا القرآن و حیرهم، و لم یترک لهم مجالا للخیار فإما الجحود علی علم. (و جحدوا بها و استیقنتها أنفسهم)، و اما الایمان و التسلیم.

و إذا کنا نعلم: أن من ممیزات العربی، و بحکم حیاته و طبیعته: أنه کان یعیش حیاه الحریه بکل ما لهذه الکلمه من معنی، و لم تلوّث فکره و عقله الافکار و الشبهات و الآراء المصطنعه- کما کان الحال بالنسبه لسائر الأمم، کالرومان و الفرس و غیرهما، الذین کانوا یحاولون فلسفه أدیانهم البعیده عن الفطره، و المنافره لها، و إظهارها بمظاهر معقوله و مقبوله-

إذا کنا نعلم و نری ذلک، فان هذا القرآن قد جاء منسجما مع فطره العربی، و متلائما مع طبعه و سجیته، و مع صفاء نفسه و قریحته، تماما کما کانت الدعوه نفسها منسجمه مع فطرته و روحه، و یستجیب لها عقله، و ضمیره و وجدانه، لأنه کان یعیش علی الفطره، و الاسلام دین الفطره: (فطره اللّه التی فطر الناس علیها، لا تبدیل لخلق اللّه، ذلک الدین القیم) (1).0.

1- الروم: 30.

و لذلک نراه سرعان ما صار یبذل ماله، و ولده، و دمه فی سبیل هذه الدعوه، و یقتل حتی أباه، و أخاه من أجلها. و لسوف نتحدث إن شاء اللّه تعالی عن سر اعجاز القرآن فیما یأتی من فصول.

5- بشائر الیهود و النصاری به صلی الله علیه و آله وسلم :

اشاره

و أیضا، فان بشائر أهل الکتاب بقرب ظهور نبی فی المنطقه العربیه، قد سهّل هو الآخر قبول دعوته، و انتشار رسالته.

فقد جاء فی التوراه المتداوله: (و هذه هی البرکه، التی بارک بها موسی رجل اللّه بنی اسرائیل قبل موته، فقال: جاء الرب من سیناء، و أشرق لهم من ساعیر، و تلألأ من جبل فاران) (1).

فالمجیی ء من سیناء کنایه عن تکلیم اللّه لموسی (علیه السلام) فی سیناء، وساعیر هی جبال فلسطین، و هو إشاره لعیسی (صلی اللّه علیه و آله و سلم). و فاران اسم قدیم لأرض مکه (2)، التی لم یظهر فیها الا نبینا الاعظم محمد (صلی اللّه علیه و آله و سلم)، الذی انزل علیه القرآن.

و النبی محمد (صلی اللّه علیه و آله و سلم) هو من نسل ابراهیم (صلی اللّه علیه و آله و سلم)، الذی جعلها أرض غربته، تقول التوراه: (و أعطی لک و لنسلک من بعدک أرض غربتک، کل أرض کنعان، ملکا أبدیا) (3).

فالمقصود بأرض غربه ابراهیم خصوص مکه، لأنها هی التی اسکن أهله فیها.

و أرض کنعان و إن کانت هی بلاد الشام و لکن المقصود فیها هنا8.

1- سفر التثنیه، الإصحاح 33 الفقره 1.
2- معجم البلدان للحموی ج 4 ص 225.
3- سفر التکوین الإصحاح 17، الفقره 8.

عموم بلاد العرب، بضرب من التجوز، لأن ابراهيم لم يهاجر إلى الشام، و لا أسكن اهله فيها (1).

و جاء فى الانجيل قوله: (و هذه شهاده يوحنا حين أرسل اليهود من أورشليم كهنه و لاويين؛ ليسألوه: من أنت؟ فاعترف، و لم ينكر، و أقرّ:

أنى لست أنا المسيح. فسألوه: إذن ماذا؟ إيليا؟ فقال: لست أنا. النبى أنت؟ فأجاب: لا (2)).

فالمراد بايليا ليس الياسا- كما ربما يدّعى- و ذلک لأنه قد كان قبل عيسى بقرون، فلابد أن يكون المقصود به رجلا يأتى بعد عيسى. و كذلک الحال بالنسبه إلى النبى الذى سألوه عنه.

و من المعلوم أنه لم يأت بعد عيسى غير نبينا محمد (صلى اللّه عليه و آله و سلم)، و اوصيائه (عليهم السلام) فلعل المقصود بالنبى هو محمد (صلى اللّه عليه و آله و سلم) و بايليا وصيّه على (عليه السلام).

هذا و بشارات العهدين به (صلى اللّه عليه و آله و سلم) كثيره جدا، فمن أرادها فليراجع الكتب المعده لذلک (3) مع الأخذ بعين الاعتبار: أن التوراه و الانجيل الموجودين فعلا قد نالتهما يد التحريف و التزوير، كما يظهر لمن راجع كتاب: الهدى الى دين المصطفى، و الرحله المدرسيه، للمرحوم البلاغى. و اظهار الحق لرحمه اللّه الهندى، و غير ذلک.

و يكفى أن نذكر هنا: أن القرآن قد قرّر: أن أهل الكتاب (يعرفونهک.

1- كما يفهم من مراجعه تاريخ حياته فى كتب التاريخ؛ فراجع على سبيل المثال كتاب: قصص الأنبياء لطباره.
2- إنجيل يوحنا الإصحاح الأول، الفقره 19- 21.
3- راجع كتاب: أنيس الإعلام (فارسى)، و الرحله المدرسيه و الهدى إلى دين المصطفى، و رسول الإسلام فى الكتب السماويه، و غير ذلک.

كما يعرفون ابناءهم، و ان فريقا منهم ليكتمون الحق، و هم يعلمون (1).

و قال تعالى: (الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ، الَّذِی يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِی التَّوْراهِ وَ الْإِنْجِيلِ، يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ، وَ يَنْهاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَ يُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّباتِ (2)).

و لو أن اهل الكتاب كان يمكنهم اثبات خلاف هذا النص القرآنی، لبادروا إليه، و لما عرضوا أنفسهم للحروب و البلايا، فی سعيهم الدائب لإطفاء نور اللّه، هم و مشركوا مكه، الذين كانوا يتعاونون معهم تعاونا وثيقا.

بل إن اهل الكتاب انفسهم كانوا يتوعّدون العرب، و يقولون لهم: (ليخرجنّ نبی، فيكسرن أصنامكم، فلما خرج رسول اللّه كفروا به) (3).

و يقول مغلطای: إنه لما شاع قبل ولادته: أن نبيا اسمه محمد، هذا إبّان ظهوره، سمی جماعه أبناءهم محمدا، رجاء أن يكون هو، منهم محمد بن سفيان بن مجاشع إلخ. ثم عد جماعه من المسمّين بهذا الاسم) (4).

و لما دعا رسول الإسلام بعض المدنيين- قبل الهجره- إلى الإسلام، قال بعضهم لبعض: يا قوم، إن هذا الذی كانت اليهود يدعوننا به، أن يخرج فی آخر الزمان، و كانت اليهود إذا كان بينهم شی ء، قالوا:

(إننا ننتظر نبيا يبعث الآن يقتلكم قتل عاد و ثمود، فنتبعه، و نظهر عليكم معه الخ (5)).0.

1- البقره: 147.
2- الأعراف: 157.
3- البحار ج 15 ص 231.
4- راجع: سيره مغلطای ص 7.
5- الثقات، لابن حبان ج 1 ص 90.

مناطق سكنى أهل الكتاب:

و بعد، فإن النصارى لم يتوغّلوا فى قلب الجزيره العربيه، بل كانوا يسكنون على اطرافها: الحيره، و بلاد الشام، و كانت بعض القبائل العربيه تدين بالنصرانيه، دون ان يلتزموا بطقوسها الدينيه الا بصوره ضعيفه كما سنرى.

أما اليهود، فقد كانوا أولا هم حكام يثرب، بعد أن قدموها من بلاد فلسطين، فرارا من الاضطهاد الذى حاق بهم، ثم قدمها الأوس و الخزرج القحطانيون من اليمن، و تغلبوا عليها، و حصروا اليهود- و هم ثلاث قبائل:

بنو النضير، و قينقاع، و قريظه- فى مناطق معينه فى المدينه و اطرافها، و كانوا يسكنون فدكا و تيماء أيضا.

و يذكر هيكل: أنه كان يحظر على اليهود و النصارى سكنى مكه، إلا أن يكون أجيرا، لا يتحدث بشى ء من امر دينه و من أمر كتابه. ثم يستثنى فى موضع آخر: العبيد منهم (1).

و لكننا نجد: أنه كان يسكنها المتنصره من العرب كورقه بن نوفل و اضرابه، و على كل حال، فان هذا الامر لا يهمنا تحقيقه كثيرا.

اهل الكتاب و هيمنتهم العلميه على العرب:

و ما يهمنا هنا: هو الاشاره إلى أن العرب كانوا ينظرون إلى أهل الكتاب نظر التلميذ إلى معلمه، و يعتبرونهم مصدر الثقافه و المعرفه لهم، حتى إننا لنجد فى التاريخ: أن العربى كان إذا أراد الاسلام يستشير حبرا، أو راهبا فى ذلک. بل نجد قبيله بكاملها تذهب إلى يهود فدک و تسألهم عن6.

1- راجع: حياه محمد، لمحمد حسين هيكل ص 65 و 66.

رسول اللّه، بعد أن عرض دعوته عليهم (1).

كما و يعرض الاسلام على كنده؛ فيأبونه؛ فيستدل بعضهم على صدق هذا النبى بأن اليهود قد قالوا: إنه سوف يظهر نبى من الحرم قد أظل زمانه (2).

و اسلام أهل المدينه كان فى مبدئه مستندا إلى نظير هذه الحجه، كما أشرنا، و سنشير إليه ان شاء اللّه تعالى (3).

و عن ابن عباس، قال: (كان هذا الحى من الانصار- و هم اهل وثن- مع هذا الحى من اليهود، و هم اهل كتاب، فكانوا يرون لهم فضلا عليهم فى العلم. و كانوا يقتدون بكثير من فعلهم (4).

و قد اسلم وفد أهل الحيره، و كعب بن عدى، فلما توفى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) ارتابوا؛ فثبت كعب على الاسلام، قال: ثم خرجت أريد المدينه، فمررت براهب كنا لا نقطع أمرا دونه (5). إلى آخر كلامه، الذى ذكر فيه حصول اليقين له، بسبب كلام الراهب.

و ليلاحظ بدقه قوله: (كنا لا نقطع أمرا دونه)!

و أيضا، فقد تقدم فى الفصل الاول من هذا الجزء و سيأتى (6): أن 6

1- راجع: البدايه و النهايه ج 3 ص 145، و دلائل النبوه لأبى نعيم ص 102.
2- دلائل النبوه لأبى نعيم ص 103.
3- سيأتى ذلک فى الجزء الثانى فى فصل: حتى بيعه العقبه حين الكلام حول دخول الإسلام إلى المدينه.
4- الإسرائيليات و أثرها فى كتب التفسير ص 109 عن أبى داود. و قال: و انظر تفسير ابن كثير ج 1 ص 261.
5- الإصابه ج 3 ص 298 عن البغوى، و ابن شاهين، و ابن السكن، و ابن يونس فى تاريخ مصر، و أبى نعيم.
6- سيأتى ذلک فى فصل: غدر اليهود، و الاغتيالات عن البدايه و النهايه ج 4 ص 6

أبا سفيان قد سأل كعب بن الاشرف عن: أن أى الدينين أرضى للّه تعالى، دينه أم دين محمد.

و قالت قريش لبعض يهود بنى النضير، و هم: سلام بن أبى الحقيق و حيىّ بن أخطب، و كنانه بن الربيع، حين ذهبوا إلى مكه ليحرّضوا الاحزاب على حرب المسلمين، قالت لهم قريش: (يا معشر يهود، إنكم أهل الكتاب الأول، و العلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن و محمد؛ أفديننا خير أم دينه، قالوا: بل دينكم خير من دينه، و انتم أولى بالحق منه، فلما قالوا ذلک لقريش سرّهم، و نشطوا لما دعوهم إليه الخ) (1).

و نحن، و إن كنا نعلم أن زعماء قريش كانوا يعلمون الحق، و لكنهم كانوا يكتمونه عنادا و استكبارا لقوله تعالى: وَ جَحَدُوا بِها وَ اسْتَيْقَنَتْها أَنْفُسُهُمْ. و لكن الذى يلفت نظرنا هو هذا الاستغلال لنفوذ اليهود، و هيمنتهم العلميه، و اعتبارهم مصدرا للمعارف الدينيه.

و بالمناسبه فان التاريخ يعيد نفسه، فان نظره المسلمين إلى الاوروبيين الآن تشبه تماما، ما كانت عليه فى الجاهليه.

و أخيرا، فقد قال الحلبى و ابن هشام: (لا يخفى: أن كفار قريش بعثوا النضر بن الحرث، و عقبه بن أبى معيط، إلى احبار يهود بالمدينه.

و قالوا لهما: اسألاهم عن محمد، وصفا لهم صفته، و أخبراهم بقوله؛ فانهم أهل الكتاب الأول) (2) ثم ذكر ما جرى بينهم و بين اليهود، ثم ما جرى لهم مع النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) فى مكه.

و الخلاصه: أن اخبارات أهل الكتاب تلک قد غرست فى ذهن1.

1- سيره ابن هشام ج 3 ص 225/ 226. و ستأتى بقيه المصادر فى غزوه الخندق.
2- السيره الحلبيه ج 1 ص 310، و سيره ابن هشام ج 1 ص 321.

العربى: أن نبيا سوف يخرج من منطقته، مما سهل عليه قبول دعوته (صلى اللّه عليه و آله و سلم)، و الاذعان للحق الذى جاء به؛ لأن الناس- باستثناء اصحاب المطامح و الأهواء، و الطواغيت منهم- لصفاء و سلامه طباعهم، و كونهم أقرب الى الفطره، و عدم تلوث فكرهم بالشبهات و الفلسفات المعقده كانوا يتقبلون الحق، و يذعنون له. و قبليّتهم و عاداتهم إنما كانت تمنع فقط من انقياد بعضهم لبعض، بسبب غلظتهم، و انفتهم، و بعد هممهم. و لكن لم يكن ذلک يمنعهم من قبول الحق، و الإذعان لإراده السماء (1).

6- الفراغ العقائدى و السياسى: أ: الفراغ العقائدى:

لقد كان العرب يعانون من فراغ عقائدى هائل، عبر عنه أمير المؤمنين (عليه السلام) بقوله المتقدم: (بعثه، و الناس ضلال فى حيره، و حاطبون فى فتنه، حيارى فى زلزال من الأمر، و بلاء من الجهل).

و يكفى أن نذكر: انهم حتى عبادتهم للاصنام قد كانت ملوّنه باللون القبلى، فلكل قبيله بل لكل بيت وثن، و طريقه.

و كثيرا ما كانت دوافعهم إلى عباده تلک الاصنام عاطفيه، بعيده عن اساليب التبرير العقلى، و المنطقى، فارتباط العربى بهذا الصنم إنما هو لأن هذا الصنم مرتبط بتاريخ أبيه أو جدّه. فالعربى يعتز بنسبه بحسب طبعه، و بما ينسب إليه، قال تعالى حكايه لذلک عنهم: (بَلْ قالُوا: إِنَّا وَجَدْنا آباءَنا عَلى أُمَّهٍ، وَ إِنَّا عَلى آثارِهِمْ مُهْتَدُونَ (2)).2.

1- راجع: البيان و التبيين للجاحظ ج 3 ص 127.
2- الزخرف: 22.

و مما يدل على أن عبادتهم للاصنام لم تكن عن تعقل و قناعه هو أن الذين كانوا يرجعون إلى فطرتهم، و الى عقولهم سرعان ما يدركون منافرتها للفطره، و لأحكام العقل السليم، و يرغبون بالخروج من هذا الجو، و لذلک نجد المؤرخين يذكرون: أن عبد المطلب قد رفض عباده الاوثان، كما و يذكرون: أن ورقه بن نوفل، و عثمان بن الحويرث، و زيد بن عمرو بن نفيل، و عبيد اللّه بن جحش قد تبرموا من عباده الاوثان، و عبروا عن ضعف ثقتهم فيها، فاجتمعوا و تشاوروا فتنصر الأولان، و بقى الآخران فى حيرتهم و شكهم (1).

ب: الفراغ السياسى: فإن أرض العرب القاحله، و الجو الحار الذى تتميز به، و حياتهم المتنقله من مكان الى مكان، و قدرتهم على تحمل المشاق. قد جعل السيطره عليهم شبه مستحيله حسبما قدمنا. بل جعلهم بحسب طبيعه ظروفهم الحياتيه قادرين على توجيه الضربات القاصمه لكل دخيل، و جعله فى رعب دائم، و خوف مستمر، الأمر، الذى اسهم بشكل فعال فى ابعاد أطماع المستعمرين عن منطقتهم، مع قناعه المستعمر بأنه سوف لا يجنى الكثير من النفع، فى مقابل الكثير من الضرر الذى سوف يتعرض له، و لا سيما مع علمه بأن حب الانطلاق فى الباديه بلا رقيب و لا حسيب مغروس فى دم العربى، و فى روحه، و فى أعماق أعماقه، و لا يتنازل عن ذلک بأى ثمن كان.

فكل ذلک قد جعل المنطقه فى فراغ سياسى محسوس، بل إن شمالى الجزيره العربيه لم يتعرض لأى حكم أجنبى أصلا نعم قد تعرض جنوبها و هو اليمن لسلطه الاحباش لفتره قصيره (2).8.

1- راجع: البدايه و النهايه ج 2 ص 237- 238 و حياه محمد لهيكل ص 89، و غير ذلک.
2- راجع: مختصر تاريخ العرب، للسيد أمير على ص 8.

و هذا الفراغ السياسى قد جعلها بعيده عن نفوذ الأديان الكبرى بشكل فعال، و لو بفرض من السلطه الحاكمه، كالنصرانيه و الزرادشتيه، و حتى عن التأثر باليهوديه التى كانت تعيش بينهم و معهم، فبقيت المنطقه بعيده عن الشبهات و الافكار الغريبه و الدخيله، و إن كان قد تسرّب إليها بعض اليهود فرارا من الرومان، و لكن لم يكن لهم أى نشاط دينى، أو لعله كان، و لكنه لم يثمر، إذ لم يكن ثمه سلطه تدعمه سياسيا و اعلاميا، و لذلک فقد اشرنا الى أنهم يذكرون أن نصارى تغلب ما كانوا يتمسكون من النصرانيه إلا بشرب الخمر (1) بل إن جميع نصارى العرب كانوا كذلک (2).

و ما ذلک إلا لأن النصرانيه بعيده عن عقل و فطره الانسان، و لا تستطيع أن تتّصل بروحه و وجدانه لتفرض هيمنتها على أفعاله، و سلوكه.

أما الاسلام دين الفطره الذى استطاع بفتره و جيزه أن يصنع أمثال أبى ذر، و عمار، و سلمان، فانه يتصل أولا بعقل الانسان، ثم بروحه و وجدانه، حتى يحوله إلى انسان إلهى بكل ما لهذه الكلمه من معنى، و قد استطاع أن يجعل من هؤلاء المتوحشين إلى الامس القريب، و الذين لا يلتزمون بنظام، و لا يحكمهم قانون، اكثر الامم اتّباعا للنّظم، و اشدها إيمانا و اخلاصا للقانون الالهى.

كما و يلاحظ أن من رباهم النبى و الائمه فى فترات وجيزه جدا. مع محدوديه إمكاناتهم لم تستطع الحكومات الاخرى، حتى التى تنسب نفسها إلى الاسلام أن تأتى بأمثالهم، رغم توفر كل الامكانات لها، الأمر الذى يشير بوضوح إلى الدور الكبير الذى يضطلع به القائد و الحاكم الحق7.

1- المصنف للصنعانى ج 6 ص 72 و ج 7 ص 186 و السنن الكبرى ج 9 ص 284.
2- المصنف للصنعانى ج 6 ص 72 و 73 و ج 7 ص 186 و السنن الكبرى ج 9 ص 217.

فی تربیه المجتمع، و فی تزکیته.

قال المعتزلی: (و الغالب علی أهل الحجاز الجفاء و العجرفیه، و خشونه الطبع. و من سکن المدن منهم، کأهل مکه، و المدینه، و الطائف؛ فطباعهم قریبه من طباع أهل البادیه بالمجاوره.

و لم یکن فیهم من قبل حکیم و لا فیلسوف، و لا صاحب نظر و جدل، و لا موقع شبهه، و لا مبتدع نحله الخ) (1).

و خلاصه الأمر: إن صفاء نفوس عرب الحجاز و عدم تلوثها بالافکار، و الانحرافات و الشبهات الغریبه عن الفطره، بالاضافه إلی الفراغ العقائدی، و عدم معقولیه شرکهم، و عبادتهم للاوثان، ثم الحاله الاجتماعیه السیئه التی کانوا یعانون منها- کل ذلک قد اسهم اسهاما کبیرا فی نشر الدعوه الاسلامیه، و قبولها.

و لذلک تری أن کثیرا منهم کانوا یسلمون بمجرد سماعهم کلامه (صلی اللّه علیه و آله و سلم)، و اطلاعهم علی أصول دعوته و اهدافها، أو بمجرد ان یتلو علیهم القرآن.

و إذا ما رأینا ساداتهم و کبراءهم- عموما- کانوا یجحدون بهذه الدعوه الحقه، فلیس ذلک لأنهم لم یجدوا فیها ما یقنعهم، بل لأنهم وجدوها تضر بمصالحهم الدنیویه، و تصدهم عن مطامعهم اللاانسانیه؛ فهم مصداق لقوله تعالی: (وَ جَحَدُوا بِها وَ اسْتَیْقَنَتْها أَنْفُسُهُمْ (2)).

و لذلک نلاحظ: أن الناس ما کانوا یتطلبون الاستدلال علی التعالیم و الافکار الدینیه کثیرا، فی أول الأمر؛ لأن صفاء نفوسهم، و سلامه فطرتهم، و عدم ارباکها و ارهاقها بالأفکار، و الفلسفات، و الشبهات کان4.

1- شرح النهج للمعتزلی ج 7 ص 51.
2- النمل/ 14.

كافيا لادراک حقانيه الدعوه، و سلامه افكارها. و كانت الآيات انما تحاول إرجاعهم إلى الفطره و تدعوهم إلى التفكير، و التعقل.

و لكن بعد أن دخلت الفلسفات و الافكار الغريبه، و الشبهات المغرضه، إلى فكر و عقل هذا الانسان، و حجبت فطرته، و أربكت تفكيره و أرهقت عقله، صار الناس يحتاجون اكثر فأكثر إلى الادله، و يتطلبونها من الائمه، بحسب نسبه تلوث فطرتهم بالشبهات و الافكار الغريبه.

7- الحياه الصعبه، و التضحيه بالنفس:

و كانت بدائيه العرب، و حياتهم الصعبه، التى يعانون منها، قد جعلتهم اكثر اقداما على التضحيه فى سبيل الدعوه التى يؤمنون بها عن قناعه وجدانيه راسخه، و يتفاعلون معها تفاعلا روحيا خالصا.

و ذلک لأنهم لم ينعموا بحياه النعيم و الرفاهيه، التى لا تعب فيها و لا نصب، و لا آلام؛ ليصبح لهم تعلق شديد بالحياه، و حب، بل و عشق لها، فان من الملاحظ: أنه كلما كانت الحياه رخيه ناعمه مرفهه، كلما ازداد تعلق الانسان بها، و حبه لها. و كلما كان العكس، سهل عليه تركها، و التخلى عنها.

كما أن الدعوه التى سوف يتعرض أفرادها لمختلف أنواع الضغوط النفسيه، و الاقتصاديه، و الاجتماعيه و اقساها، بحاجه ماسه إلى جماعه قادرين على مواجهه تلک الضغوط، و تحمل تلک الآلام، و الصبر على التعذيب، و الجوع و الاضطهاد، بمختلف انواعه.

و قد كان العرب- عموما- كذلک؛ لأنهم قد عانوا من مشاق الحياه و الطبيعه ما عانوا. و أصبحت الآلام و المتاعب و المصاعب هى الصفه المميزه لحياتهم بل هى خبزهم اليومى و غير ذلک هو الاستثناء. فهم أقدر من غيرهم على تحمل ما ينتظر أتباع هذه الدعوه؛ لأن المنعمين لا

يستطيعون عاده تحمل المشاق، و مواجهه الصعوبات فان الشجره البريه اصلب عودا، و أبطأ خمودا؛ و لذلک نجد: أن بعض المسلمين كانوا يودّون لو يجعلون امتيازا لأحدهم، و هو ابن عمير لأنه كان منعما قبل أن يسلم، و حينما أسلم تعرض للمشاق و الآلام، فذلک جعلهم يشعرون بأنه قد تحمل من المصاعب و الآلام ما يوجب الرثاء و الرحمه له؛ و ما ذلک إلا إنطلاقا من الناحيه التى اشرنا اليها آنفا.

8- بقايا الحنيفيه فى العرب:

و بعد، فان مما ساعد على ذلک أيضا، وجود بقايا الحنيفيه- دين ابراهيم كالحج و آدابه- فى الجزيره العربيه، و فى مكه بالذات؛ لأن العرب، و هم أولاد اسماعيل، قد توارثوا عنه الدين الحق و كانوا يعتزون بذلک، و قد قال اللّه تعالى لهم: مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْراهِيمَ .. و لكنهم على مر السنين بدؤا يخلطون هذا الحق بكثير من الباطل، شأن سائر الأمم، عند ما يغشاها الجهل، و تستبد بها الاهواء، و الانحرافات.

ثم تسرب إليهم الشرک، و عباده الاوثان، حسبما قدمنا، ثم الكثير من الامور الباطله، و الاخلاق الذميمه، و الفواحش، حتى اصبحوا فى الجاهليه العمياء، و حتى أدى بهم الامر الى الحاله التى وصفها لنا أمير المؤمنين (عليه السلام) فيما تقدم، غير أن بقيه منهم- و ان كانت قليله جدا- قد بقيت متمسكه بعقيده التوحيد، و ترفض عباده الاوثان. و تعبد اللّه على حسب ما تراه مناسبا، و قريبا إلى تعاليم دين ابراهيم. و من هؤلاء عبد المطلب، و أضرابه، من رجالات بنى هاشم الأبرار.

و كان من بقايا الحنيفيه تعظيم البيت، و الطواف به، و الوقوف بعرفه، و التلبيه (1) و هدى البدن، و إن كانوا يطبقون ذلک مشوها و ممسوخا،ع.

1- ذكر اليعقوبى فى تاريخه ج 1 ص 254- 257 ط صادر تلبيات كل قبيله، و أعطى نبذه عن شعائرهم فى مكه، فمن أراد فليراجع.

و يقحمون فيه ما ليس منه. و كانت هذه المعالم تضعف رويدا رويدا، مع الزمن، حتى لم يبق منها إلا الاسماء، و الرسوم الشوهاء.

و قد روى عن الامام الصادق (عليه السلام) ما مفاده: إن العرب كانوا أقرب الى الدين الحنيفى من المجوس؛ فان العرب يغتسلون من الجنابه، و الإغتسال من خالص شرايع الحنيفيه. و هم أيضا يختتنون، و هو من سنن الانبياء، كما أنهم يغسلون موتاهم، و يكفنونهم، و يوارونهم فى القبور، و يلحدونهم، و يحرمون نكاح البنات و الأخوات، و كانوا يحجون إلى البيت و يعظمونه، و يقولون: بيت ربنا، و يقرون بالتوراه و الانجيل، و يسألون أهل الكتب، و يأخذون منهم. و كانت العرب فى كل الاسباب اقرب إلى الدين الحنيفى من المجوس (1).

إذن، فقد كان ثمه ذكريات بعيده فى ضمير و وجدان الانسان العربى، تربطه بالحنيفيه السهله السمحاء، دين آبائه و أجداده- و هو الذى يعتز بالانساب وصفائها، بحكم ما يتعرض له من الغزو و السبى الموجب للتهمه أحيانا- و إذا كان النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) قد بعث ليتمّها؛ فمن الطبيعى أن يكون لهذه الذكريات أثر فى نظره كثير من الناس إليه، و إلى ما جاء به بإيجابيه و واقعيه.

9- الخصائص و العادات العربيه:

و لقد كان لبعض الخصائص، و الاخلاق، و العادات العربيه، اثر كبير فى نشر دعوه الرسول (صلى اللّه عليه و آله و سلم)، التى هى دعوه الحق و الخير و شمولها. و إن كان الاسلام الذى استفاد من تلك الخصائص و العادات و الأخلاق، قد حاول إلى جانب ذلک تركيزها من حيث المنطلقات و الأهداف على أسس صحيحه و مقبوله. و أما إن كانت مرفوضه8.

1- راجع: الاحتجاج، للطبرسى ج 2 ص 91/ 92 و البحار ط مؤسسه الوفاء ج 78 ص 8.

إسلاميا، فانه- و إن كانت قد أفادته تلقائيا، و من دون أن يتطلب هو ذلک- كان يحاول القضاء عليها، و استئصالها، بالحكمه و الموعظه الحسنه، كلما سنحت له الفرصه، و واتاه الظرف.

فمثلا: لقد استفاد الاسلام كثيرا من شجاعه العربى، و استهانته بالصعاب، فى الدفاع عن الاسلام.

و أيضا، فقد كان للتعصب القبلى بعض الفوائد الهامه، حتى ليذكرون أنه بعد الهجره الى المدينه؛ كان الأوس و الخزرج: (يتصاولان مع رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) تصاول الفحلين، لا تصنع الأوس شيئا فيه عن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) غناء الإ قالت الخزرج: و اللّه، لا يذهبون بهذه فضلا علينا عند رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) فى الاسلام؛ فلا ينتهون حتى يوقعوا مثلها. قال: و إذا فعلت الخزرج شيئا قالت الاوس مثل ذلک) (1).

و أما قبل الهجره فى مكه، فقد كان للقبليه أثر كبير فى منع قريش و غيرها مده طويله من المضايقات لكثير ممن اعتنقوا الاسلام، ثم من محاوله الاعتداء على حياته (صلى اللّه عليه و آله و سلم)، أو على حياه اكثر المسلمين آنذاک، و إن كانت تواجههم بالمضايقات أحيانا، و احيانا بالتعذيب القاسى، إن لم يكن لهم عشيره يرهب جانبها، حتى أذن اللّه تعالى لهم بالهجره إلى المدينه.

و لذلک نلاحظ: أن أبا طالب (رحمه اللّه) قد استفاد كثيرا من العامل القبلى، حتى إن بنى هاشم مسلمهم و كافرهم قد قبلوا بمحاصره قريش لهم. و كانوا معه فى شعب ابى طالب كما سيأتى. و تجد فى شعر أبى طالب الكثير من التأكيد على عامل القرابه بين بنى هاشم و طوائف من6.

1- تاريخ الطبرى ط الاستقامه ج 2 ص 184 د و راجع الكامل لابن الأثير ط صادر ج 2 ص 146.

قریش. الأمر الذی کان له أثر کبیر فی حفظ حیاته (صلی اللّه علیه و آله و سلم) من کید أعدائه کما قلنا.

بل إننا نجد المشرکین حتی فی عدائهم له (صلی اللّه علیه و آله و سلم)!، و حتی حینما تآمروا علیه لیقتلوه- و کان ذلک هو سبب هجرته (صلی اللّه علیه و آله و سلم)- قد أخذوا بعین الاعتبار العلاقات القبلیه، و ردّات الفعل التی سوف تنجم عنها فاختاروا عشره اشخاص، من کل قبیله رجلا، لیضربوا رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله و سلم) بسیوفهم فی آن واحد و سیأتی ذلک إنشاء اللّه تعالی.

و فی المدینه ایضا کان ثمه أثر کبیر لکرم ضیافه العربی، و لوفائه بالعهد و الذمار، و لحسن الجوار، و لحریته، و حمیته، و انفته و عزته، و اعتداده بنفسه، و قوه إرادته، و للشجاعه، و الاقدام، و حتی لصفات القوه و الغلظه، التی ولدتها فیهم حیاه الغزو و الحرب، و جعلتهم قادرین علی التخلی عن العواطف فی سبیل دینهم و عقیدتهم، حتی لقد کانوا یقتلون ابناءهم، و آباءهم، و اخوانهم.

10- دور أبی طالب، و علی (ع) و أموال خدیجه «علیها السلام»:

ثم إننا یجب أن لا ننسی الدور الذی اضطلع به الرجل العظیم، أبو طالب شیخ الابطح (علیه السلام)، الذی و فّر للنبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) حمایته المطلقه من کل أعدائه و مناوئیه.

ثم هنالک العامل الاقتصادی الذی وفرته له زوجته أم المؤمنین خدیجه صلوات اللّه و سلامه علیها، و التی کانت تمتلک- حسبما یری البعض- عصب الاقتصاد فی الجزیره العربیه کلها.

و قد أنفقت کل تلک الأموال علی المسلمین، فی الظروف الحرجه

التی واجهوها، إبّان اضطهاد قریش و حصارها الاقتصادی لهم.

و مما یدل علی أن النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) کان یتولی الانفاق علی المسلمین، من أموال خدیجه و أبی طالب (1) قول أسماء بنت عمیس لعمر (2) حین عیّرها بأنه سبقها بالهجره، و إنها حبشیه حجریه- علی ما نقل عن صحیح مسلم و غیره- قالت له: (کنتم مع النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) یطعم جائعکم، و یعظ جاهلکم (3)).

و أخیرا، فیجب أن لا ننسی دور وصی و أخی النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم)، أمیر المؤمنین (علیه السلام)، حسبما سیظهر ان شاء اللّه- و لو بنحو محدود- فی مطاوی هذه السیره العطره.

نعم لقد کان لکل ذلک دور هام فی حفظ الدعوه، و انتصارها، و انتشارها، کما لا یخفی علی الناقد البصیر، و المتتبع الخبیر.

و ثمه أسباب أخری قد ساعدت علی ظهور الاسلام، و انتشاره، و انتصاره، یمکن استجلاء بعضها من مطاوی التاریخ الاسلامی.

و نحن نکتفی هنا بهذا القدر؛ لنوفر الفرصه لعرض حیاه النبی الأعظم (صلی اللّه علیه و آله و سلم) بعد البعثه، و بشکل موجز و واضح قدر الامکان.4.

1- البحار ج 19 ص 16 و أموال خدیجه أمرها أشهر من أن یذکر فراجع أمالی الشیخ الطوسی ج 2 ص 81/ 82 و البحار ج 19 ص 61 و 62.
2- ستأتی مصادر ذلک فی فصل: هجره الرسول الأعظم صلی الله علیه و آله وسلم ، حین الکلام حول ثروه أبی بکر.
3- قاموس الرجال ج 10 ص 380 و حیاه الصحابه ج 1 ص 361 و البدایه و النهایه ج 4 ص 205 و صحیح مسلم ج 7 ص 172 و فتح الباری ج 7 ص 372 و صحیح البخاری ج 3 ص 35 ط سنه 1309 ه، و کنز العمال ج 22 ص 206 عن أبی نعیم، و الطیالسی، و مسند أحمد ج 4 ص 395 و الأوائل ج 1 ص 314.

تنبیه هام و ضروری:

إن کل ما ذکرناه آنفا لا یعنی: أن ظهور الاسلام، و انتشاره فی الجزیره العربیه قد کان أمرا طبیعیا، بحیث إنه لو توفرت هذه العوامل لأی دعوه أخری، فانها تستطیع أن تحقق نفس النتائج التی حققها الاسلام.

بل الامر علی العکس من ذلک تماما، فان ظهور الاسلام، و انتصاره فی هذه المنطقه هو بذاته معجزه له، و دلیل علی حقانیه الاسلام؛ و ذلک لأن الیهودیه قد کانت موجوده، و کانت هذه الظروف أیضا موجوده، و لکنها لم تستطع أن تؤثر أثرا یذکر فی عقلیه العربی، و لا فی سلوکه، و تصرفاته (1).

و کذلک الحال بالنسبه للنصرانیه، التی کانت تهتم فی تنصیر کل من تقدر علی تنصیره. ثم هناک الزرادشتیه و غیرها من الادیان.

و هذا معناه: أن لنفس المبدأ، و الرساله، و القائد دورا هاما جدا، بل و الدور الأول و الاساس فی عملیه التغییر و فی النجاح و فی استمراره.

و بدون ذلک، فان کل نجاح- لو کان- فلسوف یکون محدودا جدا، و لظروف معینه، و لسوف ینتهی بمجرد انتهاء تلک الظروف.

و قد رأینا الاسلام رغم ما عاناه من مصائب و بلایا حتی علی أیدی أبنائه- کان و لا یزال یزداد قوه و فعالیه علی مر الزمن، و فی مختلف الظروف و الأحوال، و لم یؤثر فقدان تلک الظروف و العوامل، و لا تحولها و تقلبها لا فی الاسلام، و لا فی فعالیته، إن لم نقل: إنه قد زاد فی ذلک بشکل ظاهر.

و الذی یفسر لنا هذه الظاهره، هو ما ذکرناه آنفا من أن الاسلام یستطیع أن یستوعب طاقات الانسان، و یحولها و یطورها فی مصلحهن.

1- و إن کان دین الیهود مقصورا علیهم و لا یتعداهم إلی غیرهم من الأمممیین.

الرساله و الحق. كما أنه يستطيع أن يتلائم مع الظروف المختلفه، فهو يملک لکل داء دواء، و لکل مشکله حلا، و لکل ظرف ما يناسبه، على عکس غيره من الدعوات الجامده، و المحدوده.

و لذلک، فان الاسلام عند ما نجح فى الجزيره العربيه، و إن کان قد استفاد من بعض الظروف، و حوّل و طوّر الاوضاع السائده فى صالحه، إلا أنه کان فى نفس الوقت لا يجد فى المنطقه التى ظهر فيها الکثير من المميزات الهامه التى من شأنها أن تساعده فى مهمته. و لو لاها فان أى دعوه أخرى لا تستطيع أن تنجح. و لکن فقدها لم يؤثر على الاسلام، کما أن امتلاک اعدائه لها لم يؤثر عليه أيضا.

و هذا أحد أسرار عظمه الاسلام و سموّه. وفقنا اللّه للعمل فى سبيله، و الاهتداء بهديه، إنه ولى قدير.

القسم الثانى من البعثه حتى الهجره

اشاره

الباب الأول: من البعثه الى الاعلان بالدعوه

اشاره

ص: 241

الفصل الأول: البعثه و المعجزه

اشاره

عمر النبی «صلی اللّه علیه و آله و سلم» حین البعثه:

لقد بعث (صلی اللّه علیه و آله و سلم) بعد عام الفیل بأربعین عاما، أی حینما بلغ الاربعین من عمره الشریف، علی قول أکثر أهل السیر، و العلم بالأثر. و کان قبل ذلک یسمع الصوت و لا یری الشخص حتی تراءی له جبرائیل و هو فی سن الاربعین.

و قیل: بل کان عمره (صلی اللّه علیه و آله و سلم) حین بعثته إثنین، و قیل: ثلاثا. و قیل خمسا و أربعین سنه (1).

و ربما لا یکون بین هذه الأقوال منافاه إذا کان القائلون بها یأخذ بعضهم، و بعضهم الآخر لا یأخذ السنوات الأولی، و هی فتره الدعوه الإختیاریه، أو فقل: السریه بنظر الإعتبار و التی قد اختلف فی مقدارها من ثلاث إلی خمس سنوات (2).3.

1- راجع فی ذلک کلا أو بعضا سیره مغلطای ص 14، و السیره الحلبیه ج 1 ص 224، و تاریخ الطبری ج 2 ص 42 و 43، و البدایه و النهایه ج 3 ص 4، و فی الطبری ج 2 ص 42 روایه تفید: ان عمره صلی الله علیه و آله وسلم کان حینئذ عشرین سنه، و هی روایه لا یرتاب أحد فی بطلانها. و راجع مشاهیر علماء الأمصار ص 3.
2- البحار ج 18 ص 177 و 194 عن إکمال الدین ص 197 و التمهید فی علوم القرآن ج 1 ص 81/ 82 و راجع: تاریخ الیعقوبی ج 2 ص 19 و سیره ابن هشام ج 1 ص 280، و المناقب لابن شهر آشوب ج 1 ص 43.

أو لعل بعضهم لم يكن يرى أن النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) مرسل فى تلك الفتره إلى الناس كافه، أو أنه كان مكلفا بدعوه الاقربين فقط.

كما أن ذلک لعله هو سبب الإختلاف الظاهري فى مده بقاء النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) فى مكه داعيا إلى اللّه فيها قبل الهجره، حيث قال بعضهم إنه: (صلى اللّه عليه و آله و سلم) بقى عشر سنين. و قال آخرون: ثلاث عشره سنه.

تاريخ البعثه، و كيفيه نزول القرآن:

و المروى عن أهل البيت (عليهم السلام)- و أهل البيت أدرى بما فيه و أقرب إلى معرفه شؤون النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) الخاصه-:

أن بعثه النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) كانت فى السابع و العشرين من شهر رجب. و هذا هو المشهور بل ادعى المجلسى الإجماع عليه عند الشيعه، و روى عن غيرهم أيضا (1).

و قيل: إنه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) بعث فى شهر رمضان المبارک، و اختلفوا فى أى يوم منه (2) و قيل فى شهر ربيع الأول، و اختلف أيضا فى أى يوم منه (3).8.

1- راجع السيره الحلبيه ج 1 ص 238 عن أبى هريره، و سيره مغلطاى ص 14 عن كتاب العتقى عن الحسين، و منتخب كنز العمال هامش مسند أحمد ج 3 ص 362، و مناقب ابن شهر آشوب ج 1 ص 173 و البحار ج 18 ص 204 و 190.
2- راجع: تاريخ الطبرى ج 2 ص 44 و سيره ابن هشام ج 1 ص 256، و تاريخ اليعقوبى ج 2 ص 22/ 23 ط صادر و البدايه و النهايه ج 3 ص 6.
3- المواهب اللدنيه ج 1 ص 39، و سيره مغلطاى ص 14، و تاريخ اليعقوبى ج 2 ص 22 و التنبيه و الإشراف ص 198، و مروج الذهب ج 2 ص 287، و السيره الحلبيه ج 1 ص 238.

و استدل القائلون بأنه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) قد بعث فى شهر رمضان المبارک، و ليس فى رجب بأن النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) إنما بعث بالقرآن، و القرآن قد أنزل فى شهر رمضان، قال تعالى: إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِى لَيْلَهِ الْقَدْرِ (1)، و قال: شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِى أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ (2).

ثم ان هنا اشكالا آخر لا بد من الاشاره اليه؛ و حاصله: أن الآيتين المتقدمتين، و إن كانتا تدلان على نزول القرآن دفعه واحده على أحد الاحتمالين فى معنى الآيتين، إلا أن قوله تعالى: وَ قُرْآناً فَرَقْناهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلى مُكْثٍ، وَ نَزَّلْناهُ تَنْزِيلًا (3) يدل على نزول القرآن متفرقا؛ لأنه عبر فيها ب (نزّل)، الدال على النزول التدريجى، و فيما تقدم عبر بأنزل، الدال على النزول الدفعى بالاضافه إلى انه يقول فيها: فَرَقْناهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلى مُكْثٍ. و بالاضافه إلى قوله تعالى: وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ لا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً (4) حيث دلت الآيه على نزول القرآن تدريجا.

و أيضا، يجب ان لا ننسى هنا: ان بعض الآيات مرتبط بحوادث آنيه، مقيده بالزمان، كقوله تعالى: قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِى تُجادِلُکَ فِى زَوْجِها (5) و كاعتراض الكفار الآنف و غير ذلک.

هذا كله عدا عن أن التاريخ المتواتر يشهد بأن نزول القرآن كان تدريجا، فى مده ثلاث و عشرين سنه، هى مده الدعوه.

و قد اجيب عن إشكال التنافى بين ما دل على النزول الدفعى و النزول التدريجى؛ بأن النزول الدفعى كان إلى البيت المعمور؛ حسبما نطقت به الروايات الكثيره، ثم صار ينزل تدريجا على الرسول الأعظم (صلى1.

1- سوره القدر: 1.
2- سوره البقره: 185.
3- الإسراء: 106.
4- الفرقان: 32.
5- المجادله: 1.

اللّه علیه و آله و سلم) (1).

و إذن، فلیکن نزوله الدفعی کان لیله القدر و نزوله التدریجی قد بدأ فی السابع و العشرین من شهر رجب، و لا یبقی ثمه منافاه.

و جواب آخر، یعتمد علی القول بأن القرآن قد نزل أولا دفعه واحده علی قلب النبی الأعظم (صلی اللّه علیه و آله و سلم)، لکنه لم یؤمر بتبلیغه، ثم صار ینزل تدریجا بحسب المناسبات.

و ربما یستأنس لهذا الرأی ببعض الشواهد التی لا مجال لها (2).

و رأی ثالث یقول: إن بدء نزول القرآن کان بعد البعثه بثلاث سنوات، أی بعد انتهاء الفتره السریه للدعوه، کما ورد فی عدد من الروایات، و نص علیه بعضهم (3) و علی هذا فلا یبقی تناف بین بعثته (صلی اللّه علیه و آله و سلم) و سلم فی شهر رجب، و بین نزول القرآن فی شهر رمضان المبارک (4).

أما نحن فنقول:

أولا: قال اللّه تعالی: وَ قالَ الَّذِینَ کَفَرُوا لَوْ لا نُزِّلَ عَلَیْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَهً واحِدَهً (5) فاستعمل التنزیل و أرید به النزول جمله واحده؛ فقولهم:

(تستعمل نزل فی خصوص التدریجی) لا یصح.2.

1- راجع: تفسیر المیزان ج 2 ص 15.
2- راجع: تفسیر المیزان ج 2 ص 18 و تفسیر الصافی ج 1 المقدمه التاسعه، و تاریخ القرآن للزنجانی ص 10.
3- راجع: التمهید فی علوم القرآن ج 1 ص 82/ 83 عن الکافی ج 2 ص 460، و تفسیر العیاشی ج 1 ص 80 و الاعتقادات للصدوق ص 101، و البحار ج 18 ص 253، و مستدرک الحاکم ج 2 ص 610 و الاتقان ج 1 ص 39 و تفسیر شبر ص 350، و البدایه و النهایه ج 3 ص 4 و تاریخ الیعقوبی ج 2 ص 34.
4- التمهید ج 1 ص 81 و 83.
5- الفرقان: 32.

ثانیا: إن تتبع الآیات القرآنیه یعطی عدم ثبوت الفرق المذکور بین:

(الانزال) و (التنزیل) مثلا قد ورد فی القرآن قوله تعالی: وَ لَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِیِّکَ حَتَّی تُنَزِّلَ عَلَیْنا کِتاباً نَقْرَؤُهُ (1) مع أن الکتاب المقروء إنما ینزل دفعه واحده.

کما و یلاحظ: أنه یستعمل کلمه (نزل) تاره، و کلمه (أنزل) مِنَ السَّماءِ ماءً طَهُوراً.

و مثل ذلک کثیر، لا مجال لنا لتتبعه فعلا. و کل ذلک یدل علی عدم صحه هذا الفرق بین هاتین الصیغتین و قد أشار إلی هذا الجواب بعض المحققین أیضا (2).

و ثالثا: قولهم: إن النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) قد بعث بالقرآن، غیر مسلم. و لتکن الروایات الوارده عن أهل البیت، و القائله بأنه (صلی اللّه علیه و آله و سلم) قد بعث فی شهر رجب موجبه لوهن قولهم هذا.

و رابعا: روایات نزول القرآن إلی البیت المعمور لا مجال لإثباتها من طریق أهل البیت (علیهم السلام) و لا إلی الاطمینان إلی صحتها، کما ذکره الشیخ المفید (3)

و أما نزول القرآن أولا دفعه واحده علی قلبه (صلی اللّه علیه و آله و سلم)؛ فإن إثباته مشکل، و لا یمکن المصیر إلیه إلا بحجه.

و خامسا: حدیث نزول القرآن بعد البعثه بثلاث سنوات، إستنادا إلی ما ورد من أن القرآن قد نزل خلال عشرین سنه، لا یمکن الإطمینان إلیه، إذ یمکن أن یکون ذلک قد جاء علی نحو التقریب و التسامح، و لم یرد8.

1- الإسراء: 93.
2- هو العلامه السید مهدی الروحانی حفظه اللّه.
3- تصحیح الاعتقاد ص 58.

فی مقام التحدید الدقیق- و من عاده الناس: أن یلقوا الزائد القلیل، أو أن یضیفوه فی إخباراتهم، و لیس فی ذلک اخبار بخلاف الواقع؛ لأن المقصود هو الاخبار بما هو قریب من الحد، لا بالحد نفسه، مع إدارک السامع لذلک، و التفاته إلیه.

نعم یمکن أن تکون معانی القرآن و حقائقه قد نزلت علی قلبه الشریف لیکون (صلی اللّه علیه و آله و سلم) إنسانا کاملا، یربی نفسه علی تلک المعانی.

و لکن هذا ایضا یبقی مجرد احتمال، و یحتاج إلی إثبات.

و النتیجه هی: أنه لا مانع من أن یکون (صلی اللّه علیه و آله و سلم) قد بعث و صار نبیا فی شهر رجب، کما أخبر به أهل البیت (علیهم السلام) و هیئ لیتلقی الوحی القرآنی. إِنَّا سَنُلْقِی عَلَیْکَ قَوْلًا ثَقِیلًا (1)، ثم بدأ نزول القرآن علیه تدریجا فی شهر رمضان المبارک.

کما أنه لا مانع من ان تکون حقائق القرآن و معانیه قد نزلت علیه (صلی اللّه علیه و آله و سلم) دفعه واحده، ثم صار ینزل علیه تدریجا.

و یؤید هذا الإحتمال الأخیر روایه روایه رواها المفضل عن الإمام الصادق (علیه السلام) تفید ذلک فلتراجع (2) و یؤیده أیضا: ما ورد من أنه کان له ملک یسدده، و یأمره بمحاسن الأخلاق. و أن الملک کان یترائی له، قبل ان ینزل علیه القرآن (3) و أن جبرئیل قد لقیه الخ ..

و یری بعض المحققین (4): أنه یمکن الجمع بین الآیات، بأن یقال:ه.

1- المزمل: 5.
2- البحار ج 92 ص 38 و ج 1 ص 53.
3- التمهید فی علوم القرآن ج 1 ص 83 و یحتمل أیضا: أن یکون القرآن قد نزل فی شهر رمضان فی لیله القدر دفعه، لکنه لم یؤمر بتبلیغه، ثم صار ینزل علیه تدریجا لأجل التبلیغ فی المناسبات المقتضیه لذلک.
4- هو العلامه السید مهدی الروحانی حفظه اللّه.

إن شروع نزول القرآن كان فى ليله مباركه، هى ليله القدر من شهر رمضان، إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَهِ الْقَدْرِ (شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن). و كان أول ما نزل حسب روايات أهل البيت (عليهم السلام)، بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِیمِ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّکَ الَّذِی خَلَقَ.

و الاستدلال بهذه الآيات: على أن القرآن نزل أولا دفعه إلى البيت المعمور أو على قلب النبى، ثم صار ينزل تدريجا فى مده عشرين، أو ثلاث و عشرين سنه و ذلک إعتمادا على قرينه الحال، حيث إن المسلمين يرون نزوله تدريجا.

هذا الإستدلال غير صحيح، لأن من الممكن أن يكون المراد بالإنزال و التنزيل واحد و هو بدء النزول، فإنه إذا شرع نزول المطر فى اليوم الفلانى، و استمر لعده أيام، فيصح أن يقال مثلا: سافرت يوم أمطرت السماء، أى فى اليوم الأول من بدء نزوله. و كذلک الحال بالنسبه للقرآن؛ فإنه إذا بدأ نزوله فى شهر رمضان، فى ليله القدر، فيصح أن يقال مجازا مع وجود القرينه، و هى النزول التدريجى: نزل القرآن فى شهر رمضان، و يكون المراد أنه قد بدأ نزوله التدريجى فيه.

و قوله تعالى: شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِی أُنْزِلَ فِیهِ الْقُرْآنُ محتف بقرينه حاليه؛ يعلمها كل أحد و هو نزول خصوص أول سوره (إقرأ) و استمر ينزل تدريجا بعد ذلک. و هذا كما صح أن يقال: كما أنزلناه من السماء، مع أن المطر ينزل تدريجا. و ما ذلک إلا لأهميه ذلک اليوم و خطره، و كل حادث خطير له امتداد زمنى، إنما يسجل يوم شروعه، فإذا قيل مثلا: متى كانت دوله العباسيين، فسيكون الجواب بذكر سنه التأسيس قطعا.

و أما حديث البخارى فى بدء الوحى و الدال على اقتران نزول القرآن بالنبوه فسيأتى أنه باطل لا يصح.

ثم إنه يمكن تقريب كلام هذا المحقق بنحو آخر و هو أن قوله تعالى:

أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ إنما هو حكايه عن أمر سابق، و لا يشمل هذا الكلام الحاكى له إلا بضرب من العنايه و التجوز، و لا الذى يأتى بعده، و إلا لجاء التعبير بصيغه المضارع، أو الوصف فإنه يكون حينئذ هو الاوفق (1).

و لعل ابن شهر آشوب كان ينظر إلى هذا حين قال فى متشابهات القرآن: (و الصحيح: أن القرآن فى هذا الوضع لا يفيد العموم، و إنما يفيد الجنس، فأى شى ء نزل فيه؛ فقد طابق الظاهر) (2).

هذا و لكن قد ورد ما يؤيد نزول القرآن دفعه واحده أولا، ثم صار ينزل تدريجا بعد ذلک؛ فقد روى عن الإمام الصادق (عليه السلام) قوله: يا مفضل، إن القرآن نزل فى ثلاث و عشرين سنه، و اللّه يقول: شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِى أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ. و قال: إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِى لَيْلَهٍ مُبارَكَهٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ فِيها يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ أَمْراً مِنْ عِنْدِنا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ و قال: لَوْ لا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَهً واحِدَهً كَذلِکَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَکَ.

قال المفضل: يا مولاى فهذا تنزيله الذى ذكره اللّه فى كتابه، و كيف ظهر الوحى فى ثلاث و عشرين سنه؟

قال نعم يا مفضل، أعطاه اللّه القرآن فى شهر رمضان و كان لا يبلغه إلا فى وقت استحقاق الخطاب، و لا يؤديه إلا فى وقت أمر و نهى فهبط جبرائيل بالوحى، فبلغ ما يؤمر به و قوله: لا تحرک به لسانک لتعجل به (3).

و لكن ما سبق يضعف درجه الإعتماد على هذه الروايه.8.

1- قد أشار إلى ذلک فى: التمهيد فى علوم القرآن ج 1 ص 84.
2- التمهيد فى علوم القرآن ج 1 ص 85.
3- البحار ج 89 ص 38.

بدء الوحی و أول ما أنزل:

لقد کان بدء الوحی فی غار حراء، و هو جبل علی ثلاثه امیال من مکه و یقال: هو جبل فاران، الذی ورد ذکره فی التوراه إلا إن الظاهر هو أن فاران إسم لجبال مکه، کما صرح به یاقوت الحموی، حسبما تقدم، لا لخصوص حراء.

و کان (صلی اللّه علیه و آله و سلم) یتعبد فی حراء هذا، علی النحو الذی ثبتت له مشروعیته، و کان قبل ذلک یتعبد فیه عبد المطلب.

و أول ما نزل علیه (صلی اللّه علیه و آله و سلم) هو قوله تعالی:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِیمِ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّکَ الَّذِی خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسانَ مِنْ عَلَقٍ (1).

و هذا هو المروی عن أهل البیت (علیهم السلام) (2)، و روی أیضا عن غیرهم بکثره. و یدل علیه أیضا سیاق الآیات المذکوره. (3)

و ربما یقال: إن أول ما نزل علیه (صلی اللّه علیه و آله و سلم) هو فاتحه الکتاب (4)، و لا سیما بملاحظه: أنه (صلی اللّه علیه و آله و سلم) قد صلی فی الیوم الثانی هو (صلی اللّه علیه و آله و سلم) و علی (علیه السلام)، و خدیجه (علیها السلام)، حسبما ورد فی الروایات.

و لکن من الواضح: أن ذلک لا یثبت شیئا؛ إذ یمکن أن تنزل الفاتحه بعد سوره إقرأ، بلا فصل، ثم یصلی و یقرؤها فی صلاته. کما أن4.

1- سوره العلق: 1 و 2 و راجع تفسیر البرهان.
2- تفسیر البرهان ج 1 ص 29.
3- الدر المنثور ج 6 ص 368 و الاتقان ج 1 ص 23.
4- الدر المنثور ج 1 ص 24.

من الممكن أن تكون صلاتهم آنئذ غير مشتمله على فاتحه الكتاب، ثم وجبت بعد ذلک و إن كان لم يذكر أحد ذلک.

أما قوله: عن الذى لا يقرأ بفاتحه الكتاب: لا صلاه له (1) و قوله (صلى اللّه عليه و آله و سلم): كل صلاه لا يقرأ فيها بفاتحه الكتاب فهى خداج (2).

فهو لا ينافى ذلک إذ يمكن أن يكون ذلک تشريعا حادثا بعد ذلک.

هذا كله عدا عن أنهم يروون: أن سوره الفاتحه قد نزلت بعد المدثر (3) أى بعد عده سنوات من البعثه.

هذا، و ثمه قول آخر، و هو أن أول ما نزل عليه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) هو سوره المدثر (4)! و ستأتى الإشاره إلى أنها قد نزلت بعد المرحله الإختياريه أو فقل: السريه، كما أنهم يروون روايات عديده تنافى قولهم هذا (5).

و على كل حال، فإن تحقيق هذا الأمر لا يهمنا كثيرا، فلا بد من توفير الفرصه للحديث عن الأهم فالأهم.

و لا بأس بأن نعطف الكلام هنا إلى الحديث عن معجزته (صلى اللّه عليه و آله و سلم)، و هى القرآن، و سر إعجازه، فان ذلک ربما تكون له أهميته البالغه، لمن يريد أن يقرأ سيره النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم)، و يستفيد منها: عقيده، و شريعه، و أدبا، و سلوكا.2.

1- الوسائل ج 4 ص 732.
2- الوسائل ج 4 ص 733.
3- الاتقان ج 1 ص 24.
4- الاتقان ج 1 ص 23، و البخارى، و غيره و الأوائل للطبرانى ص 43 و ستأتى الروايه.
5- راجع تفسير الميزان ج 2 ص 22.

مع العلم بأن كثيرا من الأحداث قد جاءت مرتبطه بالقرآن، و كانت سببا فى نزول طائفه من آياته و لا بد من الإستدلال به عليها، فنقول:

إعجاز القرآن:

لقد تحدى اللّه أعداء الإسلام بأن يأتوا بمثل القرآن، فلما عجزوا تحداهم بأن يأتوا بعشر سور من مثل القرآن، فعجزوا عن ذلک أيضا، ثم صعد تحديه لهم، و طلب منهم أن يأتوا بسوره واحده من مثله، فلو أنهم استطاعوا أن يأتوا و لو بقدر سوره الكوثر، التى هى سطر واحد، لثبت بطلان هذا الدين الجديد من أساسه، ما دام أنه هو قد قبل بهذا التحدى مسبقا، و لكانوا قد وفروا على أنفسهم الكثير من الويلات، التى أقدموا عليها بإعلانهم الحرب على النبى الأعظم (صلى اللّه عليه و آله و سلم)، و التى أدت إلى إزهاق النفوس الكثيره، و هدر الطاقات العظيمه، و غير ذلک من مصائب و كوارث، انتهت بهزيمتهم، و انتصار الإسلام و قائده الأعظم (صلى اللّه عليه و آله و سلم).

فما هى تلک الخصيصه التى فى القرآن، و التى جعلتهم يعجزون عن مجاراته، و حتى عن أن يأتوا ب (سوره من مثله)؟!.

بل ما هى تلک الخصيصه التى سوغت التحدى بالقرآن للإنس و الجن معا دون إختصاص بزمان دون زمان، قال تعالى: قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَ الْجِنُّ عَلى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَ لَوْ كانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً (1).

ربما يقال: إنها إخباراته الغيبيه الصادقه، سواء بالنسبه إلى الماضين كقوله تعالى: تِلْکَ مِنْ أَنْباءِ الْغَيْبِ نُوحِيها إِلَيْکَ، ما كُنْتَ8.

1- الإسراء: 88.

تَعْلَمُها أَنْتَ وَ لا قَوْمُکَ مِنْ قَبْلِ هذا (1). أو بالنسبه لتنبؤاته المستقبليه، کقوله تعالی: الم غُلِبَتِ الرُّومُ فِی أَدْنَی الْأَرْضِ وَ هُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَیَغْلِبُونَ فِی بِضْعِ سِنِینَ (2). و کاخباره بنتائج حرب بدر العظمی، و غیر ذلک (3).

و ربما یقال: إنه لتضمن القرآن للمعارف العلمیه، التی تنسجم مع العقل و البرهان. و اخباراته عن سنن الکون و أسرار الخلیقه، و أحوال النظام الکونی، و غیر ذلک من أمور لا یمکن الوصول إلیها إلا بالعلم و المعرفه الشامله و الواسعه، ألأمر الذی لم یکن متوفرا فی البیئه التی عاش فیها النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) کقوله تعالی: وَ أَرْسَلْنَا الرِّیاحَ لَواقِحَ و غیر ذلک من الآیات التی تشیر إلی دقائق و حقائق علمیه، فی مختلف العلوم و الفنون.

و ربما یقال: إن إعجازه إنما هو فی نظامه التشریعی الذی جاء به، و الذی لا یمکن لرجل عاش فی بیئه کالبیئه التی عاش فیها الرسول الأعظم (صلی اللّه علیه و آله و سلم) و عانی من الظروف و الأحوال الإجتماعیه، و مستوی الثقافه فی ذلک العصر، أن یأتی بمثل ذلک مهما کان عظیما فی فکره، و ذکائه، وسعه أفقه.

و لربما نجد الإشاره إلی هذین الرأیین فی قوله تعالی: قُلْ لَوْ شاءَ اللَّهُ ما تَلَوْتُهُ عَلَیْکُمْ وَ لا أَدْراکُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِیکُمْ عُمُراً مِنْ قَبْلِهِ أَ فَلا تَعْقِلُونَ (4).6.

1- هود 49 و لیراجع أیضا سوره یوسف 102 و سوره آل عمران 44 و غیر ذلک.
2- أول سوره الروم.
3- راجع: البیان للخوئی ص 81- 84.
4- یونس: 16.

و أخيرا، فلربما يقال: إن إعجاز القرآن هو فى عدم وجود الإختلاف فيه، و لذلک ترى أنه قد تحداهم بذلک فقال: أَ فَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَ لَوْ كانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً (1).

و ثمه إشارات أخرى لجزئيات ربما يدخل أكثرها فما قدمناه ...

و لعل فيما ذكرناه كفايه.

و ثمه قول آخر، أكثر شيوعا و معروفيه و لا سيما بين القدماء. و هو إعجاز القرآن فى الفصاحه و البلاغه. و قد كتبوا فى هذا الموضوع الشى ء الكثير قديما و حديثا.

اما نحن فنقول: إن هذا الأخير هو السر الأعظم فى اعجاز القرآن الكريم حقا. و هو يستبطن سائر الجوانب الإعجازيه المذكوره آنفا و غيرها مما لم نذكره (2).

لماذا الأخير فقط:

و أما لماذا هذا الأخير فقط دون سواه فإن ذلک واضح، حيث إننا نقصد ب (البلاغه) معنى أوسع مما يقصده علماء المعانى و البيان، و هذا المعنى يستبطن جميع وجوه الإعجاز و ينطبق عليها، و بيان ذلک يحتاج إلى شى ء من البسط فى البيان فنقول:

إنه إذا كان الرسول (صلى اللّه عليه و آله و سلم) قد أرسل للناسن.

1- النساء: 81.
2- حيث يجد كل فريق فى هذا القرآن ما يناسب فكره و عقليته و يراه معجزا حقا؛ فالإخبارات الغيبيه و النظام الكامل الذى أتى به و غير ذلک من أمور لا تخفى مما يمكن لأهل كل لغه أن يدركوها هى من مصاديق البلاغه لهم. و حتى الفصاحه و البلاغه فإن بالإمكان لغير العربى أن يدركها أيضا بتعلم اللغه العربيه و معرفه سر القرآن أو الاعتماد على النقل القطعى ممن قد اطلع على بعض جوانب إعجاز القرآن.

كافه فلا بد أن تكون معجزته بحيث يستطيع كل من واجهها: أن يدرک إعجازها، و أنها أمر خارق للعاده و أنها صادره عن قدره عليا، و قوه قاهره، تهيمن على النواميس الطبيعيه، و تقهرها. و إلا فإنه إذا جاء شخص مثلا إلى بلد، و ادعى أنه يعرف اللغه الفلانيه، و لم يكن أحد فى البلد يعرف شيئا من تلک اللغه، و لا سمع بها، فإنهم لا يستطيعون أن يحكموا بصدقه و لا بكذبه، إذ ليس لهم طريق لاثبات هذا الصدق أو الكذب.

و أما إذا ادعى أمرا لهم خبره فيه، و استطاعوا ان يتلمسوا فيه مواقع خرقه للنواميس الطبيعيه فلا بد لهم من التسليم له و القبول بدعوته، لأن ذلک يكون قاطعا لعذرهم، و موجبا لخضوع عقولهم لما يأتى به.

و بكلمه .. لا بد أن تكون معجزه النبى فى كل عصر متناسبه مع خبرات ذلک العصر، و لكل من أرسل إليهم؛ ليمكن إثبات إعجازها لهم، و إقامه الحجه عليهم. و إذا كان القرآن قد تحداهم أن يأتوا بسوره واحده من مثله، فلا بد أن يكون وجه الإعجاز فيه ساريا ليصل حتى إلى أصغر سوره فيه.

و إذا نظرنا إلى ما ذكروه آنفا، فإننا نجد أن بعض السور لا تشتمل على شى ء مما ذكروه. مع ان التحدى به وارد.

اضف الى ذلک: أن الاخبار بالغيب مثلا لا يمكن ان يكون قاطعا لعذر من ألقى إليهم إلا بعد تحقق المخبر عنه. و قد يطول ذلک إلى سنوات عديده. أما من يأتون بعد ذلک فلربما يصعب عليهم الجزم بتحقق ما أخبر به.

أما القضايا العلميه- فلربما لا يكون من بينهم من له الخبرات اللازمه فى تلک العلوم؛ ليمكن إدراک الإعجاز فيها؛ فإن ذلک رهن بتقدم العلم، و تمكن العلماء من استجلاء تلک الحقائق من القرآن.

و حتى لو أدرک ذلک بعضهم، فلربما يحمله اللجاج، أو غير ذلک

من مصالحه الشخصيه (بنظره) على إنكار ذلک و إخفائه- كما كان الحال بالنسبه الى أهل الكتاب، الذين كانوا يعرفون النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) كما يعرفون أبنائهم، و يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراه و الإنجيل.

و لكن الاحبار و الرهبان أخفوا ذلک و أنكروه، لمصالح شخصيه، أو لغير ذلک، مما وجدوا فيه مبررا للاقدام على خداع أنفسهم، و خداع غيرهم.

و هكذا يقال بالنسبه للإعجاز التشريعى، و غير ذلک من أمور.

و يبقى سؤال.

ما هو وجه الإعجاز فى القرآن إذن؟

و فى مقام الإجابه على هذا السؤال نقول:

بلاغه القرآن:

قبل كل شى ء ينبغى التذكير بأن ما ذكرناه آنفا.

لا يعنى أن الإخبار بالغيب، و غير ذلک مما ذكرناه، و مما لم نذكره، غير موجود فى القرآن. بل هو موجود فيه بأجلى مظاهره و أعظمها، و هى معجزات أيضا لكل أحد و لكننا نقول: إن ذلک ليس هو الملاک الأول و الأخير لإعجاز القرآن، و إنما ملاک الإعجاز فيه هو أمر يستطيع كل أحد أن يدركه، و أن يفهمه- و هو أمر تشتمل عليه حتى السوره التى لا تزيد على السطر الواحد، كسوره الكوثر مثلا. و هو أيضا أمر يجده كل أحد، مهما كان تخصصه، و مهما كان مستواه الفكرى، و أيا كان نوع ثقافته، و فى أى عصر، و فى أى ظرف. و هو كذلک أمر يشمل كل ما تقدم، و سواه مما لم نذكره، و يضمه تحت جناحيه؛ و ذلک الأمر هو:

البلاغه:

فأما أن ما تقدم يرجع: إلى البلاغه؛ فلأن حقيقه البلاغه- كما

عرفوها- هى: مطابقه الكلام لمقتضى الحال، أو للاعتبار المناسب.

و القرآن مطابق لمقتضى الحال دائما و فى كل زمان، و الى الابد و مع كل شخص؛ لأنه خطاب لهم جميعا، و معجز له جميعا؛ فحين يخبر عن الغيب، فإنما اقتضى الحال ذلک. و كذلک حين يكشف عن أسرار الكون، و خفايا الطبيعه، و يشير الى بعض الحقائق العلميه، و كذلک أيضا حين يضع أعظم تشريع، و أروع نظام عرفته الإنسانيه، إلى غير ذلک مما تقدم ذكره و ما لم نذكره.

بل أن تكون ظروف نشأه الرسول الاعظم هى تلک، فإن ذلک له أهميه كبرى فى قبول الدعوه، و الإذعان لها. و كذلک فان الكلام الذى يختلف صدره و ذيله، أو يختلف من وقت لآخر. مع كون الهدف واحدا، و المخاطب و المتكلم واحدا. لا يمكن أن يكون بليغا، و لا مطابقا لمقتضى الحال، كما يقولون.

الإعجاز بالبلاغه كيف؟ و لماذا؟!

و أما كيف عجزت الإنس و الجن، عن مجاراه هذا القرآن. و كيف أمكن اعتبار البلاغه القرآنيه هى سر الإعجاز فيه؛ فان ذلک يحتاج إلى توسع فى القول، و بسط فى البيان، فنقول:

إن لدلاله الكلام على المعنى فى مقام التفهم و التفهيم شروطا:

منها: أن يكون اللفظ الذى يلقيه المتكلم قادرا على تحمل المعنى المطلوب، بأى نحو من أنحاء التحمل، سواء من حيث مفردات الجمله، أو من حيث نوعيه تركيبها، أو من جهه المقايسه بينها و بين غيرها.

و منها: أن يكون المستوى الفكرى و الثقافى للمتكلم بحيث يستطيع أن يقصد تلک المعانى التى يقدر اللفظ على تحملها.

و منها: أن يكون ذلک المعنى منسجما أيضا مع نوعيه اختصاص

ذلک المتکلم، و مع مرامیه و أهدافه.

و منها: قدره المخاطب او المخاطبین علی استیعاب مقصود المتکلم، و لو علی امتداد الزمن.

هذه هی الشروط التی لابد أن تتوفر فی عملیه التفهم و التفهیم بین کل متکلم و مخاطب.

و لکن ذلک یحتاج إلی توضیح و تطبیق بالنسبه لما نحن بصدده، فنقول:

التوضیح و التطبیق:

و فی مجال التوضیح و التطبیق نقول:

إن اللغه العربیه بما لها من خصائص و مییزات أقدر اللغات إطلاقا علی تحمل المعانی، فنجد أنهم یذکرون للجمله المؤلفه من کلمتین فقط عشرات الخصائص و المیزات التی تشیر کل منها إلی العدید من الآثار المحتمله، التی یمکن للفظ أن یتحملها بالنسبه للمعنی المدلول، فالمسند إلیه مثلا تاره یکون إسما جامدا، و أخری مشتقا. و تاره یکون ظاهرا، و أخری مضمرا، مقدما أو مؤخرا، محذوفا أو مذکورا، منکرا أو معرفا، و التعریف لکل واحد منها له أنحاء، لکل منها آثار و إشارات لخصوصیات فی المعنی.

و کذا الحال فی جانب المسند، الذی تاره یکون فعلا- بأقسامه الثلاثه- و أخری إسما، جامدا، أو مشتقا، معرفا أو منکرا، مقدما أو مؤخرا، مذکورا أو محذوفا، إلی آخر ما هنالک. و کل واحده من هذه لها آثار مختلفه و متعدده یحتمل إرادتها أیضا.

فمثلا قد یکون ذکره للتحقیر أو عکسه، أو للتبرک به، أو إیهام

استلذاذه، أو للتنبيه على غباوه السامع، أو للتقرير، أو للايضاح إلى غير ذلک.

و قد يحذف للتعظيم، أو للتحقير، أو للاستغناء عنه، او لإيقاع السامع فى حيره، إلى غير ذلک مما هو مذكور فى محله.

و كذا سائر الخصوصيات التى ذكرناها، و مالم نذكره أكثر بكثير.

هذا بالاضافه الى الاستعارات، و الكنايات، و التعريضات، و الإشارات، و غير ذلک مما تكفل لبيانه علم المعانى و البيان و البديع.

حتى إنهم ليذكرون العديد من الإمتيازات لقوله تعالى: فِى الْقِصاصِ حَياهٌ على ما كان أبلغ كلام عند العرب. و هو قولهم: (القتل أنفى للقتل).

و يكفى أن نشير الى أن جمله زيد قائم، إذا لوحظ المسند اليه فيها فإنه ظاهر، و مقدم، و معرف بالعلميه. و كل من هذا الثلاثه يقع على حالات كثيره. و كذا الحال بالنسبه للمسند و هو كلمه- قائم. ثم لا بد من ملاحظه الهيئه التركيبيه، و موقعها من غيرها، و مع مالها من متعلقات.

و هكذا يتضح أن الجمله الواحده ربما تفيد معنى له العديد من الخصوصيات الهامه، فكيف إذا لوحظت تلک الجمله مع غيرها من الهيئات التركيبيه الأخرى، ثم أريد استخلاص المعانى من المجموع.

هذا كله، بالإضافه الى لزوم معرفه أساليب العرب، و طرائق استعمالاتهم للكلام و مقاماتها، فإن ذلک يفيد كثيرا فى الوقوف على معانى القرآن، و فهم مراميه.

و قد روى أن بعضهم كان فى مجلس الإمام السجاد (عليه السلام)؛ فقال له: يا ابن رسول اللّه، كيف يعاتب اللّه، و يوبخ هؤلاء الاخلاف على قبائح اتاها أسلافهم، و هو يقول: لا تَزِرُ وازِرَهٌ وِزْرَ أُخْرى؟!

فقال زين العابدين (عليه السلام):

(إن القرآن نزل بلغه العرب، فهو يخاطب فيه أهل اللسان بلغتهم؛ يقول الرجل التميمى، قد أغار قومه على بلد، و قتلوا من فيه: أغرتم على بلد كذا، و فعلتم كذا؟!

و يقول العربى: نحن فعلنا ببنى فلان، و نحن سبينا آل فلان، و نحن خربنا بلد كذا، لا يريد أنهم باشروا ذلک، و لكن يريد هؤلاء بالعذل، و أولئک بالافتخار: أن قومهم فعلوا كذا.

و قول اللّه عز و جل هذه الآيات انما هو توبيخ لأسلافهم، و توبيخ العذل على هؤلاء الموجودين؛ لأن ذلک هو اللغه التى نزل بها القرآن؛ و لأن هؤلاء الأخلاف أيضا راضون بما فعل أسلافهم، مصوّبون لهم؛ فجاز أن يقال: أنتم فعلتم؛ إذ رضيتم قبح فعلهم (1).

و لا بد أيضا من معرفه خصوصيات الألفاظ و أسرار إختياراتها لمواقعها. و قد روى: انه لما نزل قوله تعالى: إِنَّكُمْ وَ ما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ قال إبن الزبعرى: فنحن نعبد الملائكه و اليهود تعبد عزيرا، و النصارى تعبد عيسى (عليه السلام) فأخبر النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) فقال: يا ويل أمه، أما علم إن ما لما لا يعقل و من لمن يعقل الخ (2).

هذا، و لقدره اللغه العربيه على تحمل المعانى الدقيقه و العميقه، نجد أن اللّه تعالى قد اختارها لتكون لغه القرآن، و قد نوه بذلک، و وجه إليه الأنظار و الافكار، و دعا الى استخلاص المعانى الدقيقه من كتابه الكريم4.

1- الاحتجاج ج 2 ص 41 و البحار ج 45 ص 296.
2- راجع: الكنى و الألقاب ج 1 ص 294.

فقال: إِنَّا أَنْزَلْناهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (1) و قال: كِتابٌ فُصِّلَتْ آياتُهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (2) و قال: نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ. عَلى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ بِلِسانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ (3) إلى غير ذلک من الآيات؛ فلننظر بدقه إلى قوله: لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ و إلى قوله: لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ و إلى قوله: مُبِينٌ فإنه كله يشير الى ما ذكرنا.

و بالنسبه للمستوى الفكرى، و هو الشرط الثانى نقول: لو قال شخص عادى لا اطلاع له على شى ء من العلوم: (كل شى ء يحتاج الى عله). فإننا لا نفكر فى مقصوده كثيرا، بل ينتقل ذهننا مباشره إلى أن مراده هو المؤثر الظاهرى فى وجود الشى ء؛ فإذا أراد شخص أن يقول: لعله أراد العله الغائيه أو الماديه، أو الصوريه، أو قصد بالعله السبب، أو العله التامه و نحو ذلک. فإننا نقول له فورا: لا، إن كلامه لا يدل على ذلک و لا ينظر إليه.

ولكن- لو قال نفس هذه الكلمه إبن سينا مثلا؛ فإننا لا بدّ أن نفكر لنعرف: هل أراد بالعله واحدا مما تقدم أم لا؟. و هل أراد بالشى ء البسيط أم المركب؟! و هل؟ و هل؟، إلى آخر ما هنالک من احتمالات، يمكن لابن سينا أن يقصدها من كلمه كهذه.

و إذا كان القائل طبيبا مثلا فإننا لا بد أن نفتش عن معان تتناسب مع اختصاصه و نوع ثقافته. و حتى أهدافه، فان كل ذلک يؤثر تأثيرا كبيرا فى تفهيم المعنى، و معرفه نوعه و مستواه، حيث لا بد و ان ينسجم مع تلک الاهداف، و يتلائم مع المستوى الثقافى و الفكرى للمتكلم.

و أما إذا كان القائل يمتاز بسعه الافق و الشموليه، كأمير المؤمنين9.

1- يوسف: 2.
2- فصلت: 3.
3- الشعراء: 199.

(علیه السلام)؛ فإننا لا بد و أن نعد أنفسنا لطرح أی احتمال، یتناسب مع شخصیه و مستوی و ثقافه و اهداف أمیر المؤمنین (علیه السلام). و لا بد أن نبحث الأعوام و السنین لنتمکن من التقرب- و لو بشکل محدود- إلی مرامیه و أهدافه؛ لأن فهم جمیع الخصوصیات التی یرمی إلیها المتکلم لا یمکن إلا من قبل من یدانی ذلک المتکلم فی سعه الافق، و الشمولیه، و عمق الفکر، و الغوص فی لجج الحقائق. و أین یمکن أن یوجد من هو مثل علی فی مستواه العلمی الشامخ، سوی معلمه و أستاذه، النبی الاعظم (صلی اللّه علیه و آله و سلم)، ثم الائمه من ولده؟

و لعل إلی هذا یشیر ما روی عنه (صلی اللّه علیه و آله و سلم): یا علی، ما عرف اللّه إلا أنا و انت، و لا عرفنی إلا اللّه و أنت، و لا عرفک إلا اللّه و أنا (1).

و بعد هذا فقد أصبح من الواضح: أن اللّه سبحانه و تعالی، و هو محیط بالکائنات، و مهیمن علی کل الموجودات. و لیس لعلمه حد محدود، و لا لصفته نعت موجود، إذا اختار اللغه العربیه لیحملها بعض مرامیه و أهدافه- و هی اللغه القادره علی التحمل بشکل مذهل و هائل، و لا تضارعها فی ذلک أیه لغه أخری- فإن هذا الإنسان المحدود فی ملکاته، و قدراته، و طاقاته النفسیه، و الفکریه، و غیرها، لا یمکنه حتی و لو بقی أبد الدهر، و حتی لو استعان بکل مخلوق و موجود، و سخر کل ما لدیه من طاقات و إمکانات- لا یمکنه- أن یکتشف إلا القلیل القلیل من المعارف القرآنیه، و لن یکون بإمکانه أن یأتی هو و کل من معه بمثل هذا القرآن، و لو کان بعضهم لبعض ظهیرا.

إذن، فلا بد أن نبقی ننتظر- باستمرار- أن یکتشف الإنسان کل4.

1- مدینه المعاجز ص 116 عن تأویل الآیات الباهره فی الأئمه الطاهره و مستدرک البحار ج 7 ص 181 و 180 و البحار ج 39 ص 84.

جديد فى هذا القرآن، تبعا لتقدم معارفه، و نمو قدراته الفكريه و الثقافيه.

و هذا تاريخ القرآن عبر القرون و الأجيال، خير شاهد و دليل على ما نقول؛ حيث إننا نلاحظ: أن كل عصر يمتاز بتقدم علم أو علوم، و يتألق فيه نجمها، و يقوى سلطانها، ثم تعود تدريجا لتتراجع أمام زحف علم أو علوم أخرى لتحتل هى بدورها أيضا مكان الصداره فى البحث و العمق و التحقيق و هكذا و لكن هذا القرآن العظيم يبقى هو المهيمن فى العصور كلها على العلوم و العلماء جميعا، و يدرک الكل أنه فوق مستواهم، و لا تبلغه عقولهم، و لا تناله قدراتهم، و يجدون فيه ما يوجب خضوعهم لعظمته، و يدركون انه لا يزال فيه ما يعجزون عن إدراكه، و الإحاطه به، فضلا عن مجاراته.

كما أنه مع اختلاف الثقافات، و الإتجاهات، و المستويات على مرّ العصور؛ فإن الكل يجدون هذا القرآن مطابقا لمقتضى الحال دائما و منسجما معه، و هذا هو الإعجاز حقا!!

و خلاصه الأمر: هذه المئات من السنين تمر، و الاجيال تأتى و تذهب، و الإنسان لا يزال يكتشف المزيد من معارف القرآن، و أسراره، و مراميه. و كلما توصل إلى شى ء، فإنه يجد أن هذا القرآن- ليس فقط قد جاء بمعارف و مرام لا تتناسب مع عقليه و ثقافه عصر نزوله، الأمر الذى يؤكد على أنه من عند اللّه تعالى- و إنما يتجاوز ذلک كله، ليثبت لكل أحد: أن أغواره لا تزال تحتضن المزيد من المعانى و الاسرار، التى يرى هذا الإنسان نفسه عاجزا عن الوصول إليها و الحصول عليها. الصحيح من السيره النبى الأعظم، مرتضى العاملى ج 2 264 التوضيح و التطبيق: ..... ص : 259

و أكثر من ذلک، فلقد أصبح معروفا: أن الإنسان كلما أعاد قراءه هذا القرآن؛ فإنه يجده جديدا عليه فى معانيه و مراميه، و ذلک بسبب اختلاف حالات و توجهات الإنسان، و نوعيه الصور الحاضره آنيا لديه، و الاجواء و الحالات النفسيه المهيمنه عليه. و هذه خصوصيه ثابته فى

القرآن لا تتغير و لا تتبدل على مر الدهور و العصور، و سيأتى انه كلما ذهب قرن يأتى قرن آخر؛ فيطلعون على معنى جديد للآيات القرآنيه و لا يزال الناس على ذلک الى يوم القيامه، على اعتبار أنه كلما ترقت البشريه فى مدراكها و معارفها، كلما كانت أقدر على اكتشاف معارف القرآن، و استكناه أسراره. و عن أمير المؤمنين (عليه السلام) حول القرآن: فيه علم ما مضى، و علم ما يأتى إلى يوم القيامه. و حكم ما بينكم. و بيان ما أصبحتم فيه تختلفون (1)

و عنه (عليه السلام): (لو شئت لأوقرت سبعين بعيرا من تفسير فاتحه الكتاب) (2).

و عنهم (عليهم السلام): (ظاهره أنيق، و باطنه عميق).

و عنهم (عليهم السلام): (ظاهره حكم، و باطنه علم) (3) و ما يشير إلى هذا المعنى كثير جدا لا مجال لاستقصائه.

و لعل إلى جميع ذلک يشير ما ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام) و عن الإمام الحسين (عليه السلام): كتاب اللّه على أربعه أشياء، على العباره، و الإشاره، و اللطائف، و الحقائق؛ فالعباره للعوام، و الإشاره للخواص، و اللطائف للأولياء، و الحقائق للأنبياء (4).9.

1- البحار ج 92 ص 82 عن تفسير القمى ج 1 ص 4.
2- البحار ج 92 ص 103 عن أسرار الصلاه و ص 104 عن الغزالى: أنه (ع) لو أذن له اللّه و رسوله لشرح معانى ألف الفاتحه حتى يبلغ أربعين و قرا أو جملا.
3- أصول الكافى ج 2 ص 438.
4- البحار ج 92 ص 103 و 20 و ج 78 ص 278 عن كتاب الأربعين، و عن الدره الباهره، و جامع الاخبار ص 48/ 49.

ترجمه القرآن و تفسیره:

و مما تقدم نعرف: أن ترجمه القرآن و تفسیره غیر ممکنین لهذا الإنسان المحدود بحدود الزمان و المکان، و غیر المحیط بکل العلاقات الکونیه، و لا المطلع علی النوامیس الطبیعیه، فی مختلف المجالات.

نعم، یمکن لمن یتصدی لترجمه القرآن أو لتفسیره أن یقول: هذا ما فهمته من القرآن، بحسب ما توفر لدی من أدوات تساعد علی اکتشاف المعانی، من المفردات و الهیئات الترکیبیه، و بحسب مستوی ثقافتی و معارفی و قدراتی المحدوده بالنسبه الی اللّه الذی لیس لعلمه حد.

للقرآن ظهر و بطن:

قد تقدم آنفا عن أمیر المؤمنین (علیه السلام): لو أردت أن أوقر علی الفاتحه سبعین بعیرا لفعلت او بما معناه. و یظهر صدق قوله هذا مما ذکرناه.

و یمکن بعد هذا: أن نفهم معنی قولهم (علیهم السلام): إن للقرآن ظهرا و بطنا، أو أکثر، و قد روی هذا المعنی من طرق غیر الشیعه أیضا.

و فسر بما یشیر إلی ما ذکرناه.

ففی خطبه منسوبه له (صلی اللّه علیه و آله و سلم): (له ظهر و بطن، فظاهره حکم، و باطنه علم، لا تحصی عجائبه، و لا یشبع منه علماؤه) (1).

و عنه (صلی اللّه علیه و آله و سلم): (ما فی کتاب اللّه آیه إلا و لها ظهر و بطن، و لکل حد مطلع) (2). ص

1- کنز العمال ج 2 ص 186، و لیراجع ج 1 ص 337، و حیاه الصحابه ج 3 ص 456 عنه و عن العسکری، و راجع: نور القبس ص 268/ 269.
2- الزهد و الرقائق، قسم ما رواه نعیم بن حماد ص 23 و فی الهامش عن المشکاه ص

قال ابن المبارک: (سمعت غیر واحد فی هذا الحدیث: ما فی کتاب اللّه آیه إلا و لها ظهر و بطن، یقول: لها تفسیر ظاهر، و تفسیر خفی، و لکل حد مطلع، یقول: یطلع علیه قوم فیستعملونه علی تلک المعانی، ثم یذهب ذلک القرن، فیجی ء قرن آخر، فیطلعون منها علی معنی آخر، فیذهب علیه ما کان علیه من کان قبلهم؛ فلا یزال الناس علی ذلک إلی یوم القیامه) (1).

و عن إبن عباس قال: (إن القرآن ذو شجون، و فنون، و بطون، و محکم، و متشابه، و ظهر و بطن، فظهره التلاوه، و بطنه التأویل) (2).

و عن الحسن البصری: ما أنزل اللّه عز و جل آیه الّا و لها ظهر و بطن، و لکل حرف حد، و کل حد مطلع (3).

و عن إبن مسعود: (إن القرآن نزل علی سبعه أحرف ما منها حرف و له ظهر و بطن و إن علی بن أبی طالب عنده منه الظاهر و الباطن (4). ص

1- الزهد و الرقائق، قسم ما رواه نعیم بن حماد ص 23.
2- الاتقان ج 2 ص 185 عن ابن أبی حاتم.
3- کنز العمال ج 1 ص 488 عن أبی عبید فی فضائله، و عن أبی نصر السجزی فی الإبانه.
4- حلیه الأولیاء ج 1 ص 65 و الاتقان ج 2 ص 187، و هامش الموافقات ج 3 ص 382 عن کتاب المصابیح، و مصابیح السنه ج 1 ص 176 و فی هامشه عن موارد الظمآن ص 440- 441 و عن غیره، و جامع البیان ج 1 ص 9 و کشف الأستار ج 3 ص 90 و نزل الأبرار ص 73 و أسمی المناقب ص 82، و مجمع الزوائد ج 7 ص

و أوضح من ذلک فی الدلاله علی ما ذکرناه، ما نقل عن أبی الدرداء: (لا تفقه کل الفقه حتی تری للقرآن وجوها کثیره) (1).

و قال علی (علیه السلام) لابن عباس، حینما أرسله لحجاج الخوارج: (القرآن حمال ذو وجوه) (2).

و راجع ما یروی عن الإمام ابی جعفر (علیه السلام) حول أن للقرآن ظهرا و بطنا فی المصادر المعدّه لذلک (3).

بل قال بعضهم: إن الاخبار تدل علی أن (للقرآن بطونا سبعه أو سبعین) (4)3.

1- المصنف للصنعانی ج 11 ص 255، و الاتقان ج 2 ص 185 عن ابن سبع فی شفاء الصدور، و حلیه الأولیاء ج 1 ص 211 و الطبقات الکبری ج 2 قسم 2 ص 114 و الغدیر ج 3 ص 99 و ج 2 ص 45 عن أبی نعیم و عن مفتاح السعاده ج 1 ص 100.
2- نهج البلاغه ج 2 ص 150 بشرح عبده قسم الکتب و الوصایا رقم 77.
3- المحاسن للبرقی ص 270 و البحار ج 92 ص 78- 106 و تفسیر العیاشی ج 1 ص 11 و تفسیر البرهان ج 1 ص 19- 21 و تفسیر الصافی ج 1 ص 29 و 31. و معانی الأخبار ص 259 و الغدیر ج 7 ص 108 عن ابن مسعود، و میزان الحکمه ج 1 ص 95.
4- کفایه الأصول آخر مبحث استعمال اللفظ فی أکثر من معنی و وسائل الشیعه للکاظمی ص 13.

و قد ألفوا كتبا فيما تضمنه القرآن من علم الباطن (1).

و إذن فلماذا ينسب القول بأن للقرآن بطنا و ظهرا إلى الشيعه فقط؟!

و لماذا أيضا يشنعون على الشيعه إذا تفوهوا بهذا الأمر، أو كتبوه، إذا كانت الروايات الداله عليه موجوده عند غيرهم، كما هى موجوده عندهم؟!

و إذا كان معنى الظهر و البطن: هو أن يكون ذلک المعنى الذى يزاح عنه الستار مما يمكن للفظ أن يتحمله، و للمتكلم أن يقصده ليكون بالنسبه للبعض بمنزله البطن لهذا المعنى المكشوف؛ فأى محذور عقلى أو شرعى يحصل من الإلتزام بهذا؟!

وليكن للقرآن بطون سبعه أو سبعون، أو أكثر، يكتشفها هذا الإنسان كلما ترقى فى مدارج المعرفه، أو يكشفها له الأئمه الراسخون فى العلم، الذين أشار إليهم القرآن الكريم.

التقوى تعين على فهم القرآن:

و بعد، فإن من الواضح: أن الطهاره من الذنوب تعين على فهم القرآن، ففى دعاء ختم القرآن عن زين العابدين (عليه السلام) قال:

(و اجعل القرآن لنا فى ظلم الليالى مؤنسا، و من نزغات الشيطان، و خطرات الوساوس حارسا، و لأقدامنا عن نقلها إلى المعاصى حابسا، و لألسنتنا عن الخوض فى الباطل من غير ما آفه مخرسا، و لجوارحنا عن اقتراف الآثام زاجرا، و لما طوت الغفله عنا من تصفح الإعتبار ناشرا، حتى توصل الى قلوبنا فهم عجائبه، و زواجر أمثاله الخ) (2).ن.

1- التراتيب الإداريه ج 2 ص 179.
2- الصحيفه السجاديه ص 136 الدعاء عند ختم القرآن.

المحکم و المتشابه:

هذا و قد أشیر الی وجود المحکم و المتشابه فی القرآن فی قوله تعالی: (مِنْهُ آیاتٌ مُحْکَماتٌ، هُنَّ أُمُّ الْکِتابِ، وَ أُخَرُ مُتَشابِهاتٌ؛ فَأَمَّا الَّذِینَ فِی قُلُوبِهِمْ زَیْغٌ؛ فَیَتَّبِعُونَ ما تَشابَهَ مِنْهُ، ابْتِغاءَ الْفِتْنَهِ، وَ ابْتِغاءَ تَأْوِیلِهِ) (1).

هذا، مع العلم بأن اللّه تعالی لا یرید أن ینزل لعباده کتابا فیه الألغاز و الاحاجی، بل هو کما قال تعالی: کِتابٌ أَنْزَلْناهُ إِلَیْکَ مُبارَکٌ لِیَدَّبَّرُوا آیاتِهِ، وَ لِیَتَذَکَّرَ أُولُوا الْأَلْبابِ (2). و قال: أَنْزَلْناهُ قُرْآناً عَرَبِیًّا لَعَلَّکُمْ تَعْقِلُونَ (3).

إذن، فلا بدّ أن یراد بالمتشابه معنی ینسجم مع واقع القرآن و أهدافه، و لعل التأمل فیما قدمناه یسهل علینا فهم المراد منه؛ و لأجل إیضاح ذلک نقول:

إن المتشابه هو الکلام الذی لا ینبی ء ظاهره عن المراد، بل یحتمل من لم یکن راسخا فی العلم فیه وجوها من المعانی، التی لا یکون بعضها منسجما مع أهداف و مبادی ء المتکلم، و لکن لو دقق فی اللفظ و فی خصوصیاته، و جمع بین بعضها البعض لأمکنه إدراک عدم إمکان تحملها لذلک المعنی الفاسد.

و لأجل ذلک، نجد الذین فی قلوبهم زیغ یحاولون انتهاز الفرصه للتشبث بهذا النوع من الآیات ابتغاء الفتنه و ابتغاء تأویله، و عطف اتجاهه؛ لیلائم أهواءهم، و من أجل الطعن فی القرآن و الإسلام، و لو ردوه إلی2.

1- آل عمران: 7.
2- سوره ص: 29.
3- سوره یوسف: 2.

الرسول، و الى أولى الامر منهم لعلمه الذين يستنبوطونه (1)؛ لأنهم يردون المتشابه الى المحكم الذى يبين أهداف و مرامى اللّه تعالى، و يوجه التعبير فى المتشابهات ليفيد المعنى المقصود، و يبين بعض ما خفى من وجوهه و خصوصياته.

لابد من وجود المتشابه فى القرآن:

و ينقل الرزاى: أن من الملاحده من طعن فى القرآن لاشتماله على المتشابه، إذ كيف يكون مرجعا للناس فى كل عصر، مع وفره دواعى الإختلاف فيه؛ حيث يجد كل صاحب مذهب فيه مأربه؛ فان هذا لا يصدر عن الحكيم (2).

و لعل ما ذكرناه فيما تقدم يكفى فى الإجابه عن هذه الترهات. و نزيد هنا ما ذكره العلامه الطباطبائى، فإنه قال ما حاصله:

إنه كان لا محيص عن وقوع التشابه فى القرآن، لأنه كان يجرى فى تعابيره الرقيقه مع اساليب القوم، مع سمو معناه، و عمق مغزاه، فى مقابل انحطاطهم فى المستوى الفكرى و الثقافى.

و قد جاء القرآن بمفاهيم جديده، كانت غريبه عن نوعيه أفكار و مفاهيم المجتمع البشرى آنذاک، و لا سيما فى جزيره العرب، البعيده عن الثقافه و المعرفه، فى حين التزامه فى التعبير عن تلک المقاصد العاليه بنفس الأساليب التى كانت معروفه فى ذلک العهد، الأمر الذى ضاق بتلک الألفاظ التى كانت موضوعه للتعبير عن معان محسوسه، أو قريبه من الحس، و محدوده فى نطاق ضيق، تتناسب مع ذهنيه العربى و ثقافته و التعبير عن معان مبتذله- لقد ضاق الأمر بتلک الألفاظ- عن أن تحيط بتلک1.

1- النساء: 83.
2- تفسير الرازى ج 7 ص 171.

المفاهيم الرحبه الآفاق، البعيده الاغوار، و جاء استعمال تلک الألفاظ للتعبير عن هذه المقاصد العاليه غريبا عن المألوف العام، و عن ذهنيه الإنسان العادى.

و من ثم، فقد قصرت أفهامهم عن إدراک حقائقها و دقائقها، و لا سيما حين رأوا: أن القرآن يستعمل فى التعبير عن مقاصده صنوف المجاز، و الإستعارات، و التشبيهات، و الكنايات، و دقائق الإشارات، و استعمل مختلف خصائص اللغه العربيه، سواء منها ما يتعلق بالمفردات، أو بالهيئات التركيبيه؛ ليمكن إخضاع تلک المعانى الساميه للقوالب اللفظيه المحدوده و المألوفه.

و كان ذلک سببا فى تقريب تلک المعانى الى أفهام العامه، من حيث أنه أخضعها للقوالب اللفظيه، المأنوسه و المألوفه لديهم، و سببا فى بعدها، من حيث عدم قدره تلک القوالب اللفظيه على استيعاب معان لم تكن هى مستعده للتعبير عن مثلها (1). إلا بالتوسل بلطائف الاشارات و الكنايات، و دقائق الخصائص اللفظيه للتعبير عنها، حسبما أشرنا اليه من قبل؛ فصعب على الإنسان العادى إدراک تلک المقاصد العاليه، و اشتبه عليه الأمر؛ فكان لابد له من الاستعانه بالراسخين فى العلم، الذين اختصهم اللّه بفضله و كرمه لإيضاح مقاصده و أهدافه و مراميه، ممن كانوا على مستوى رفيع من عمق الفهم، و سلامه التفكير، و نفذت بصيرتهم الى الحقائق الراهنه، فنالوها، و هم أئمه أهل البيت الأطهار (عليهم السلام).

التأويل:

لقد أشير الى التأويل فى القرآن الكريم، و أن ثمه من يعرف هذاک.

1- راجع: التمهيد فى علوم القرآن ج 3 ص 19- 22 و الميزان للعلامه الطباطبائى ج 3 ص 58- 62 و عن تفسير المنار ج 3 ص 170. و قد نقلنا كلامهم بتصرف، فليلاحظ ذلک.

التأويل، و هم الراسخون فى العلم، و ان كانوا يعترفون بعجزهم عن إدراک کل الملابسات التى يمكن ان تكتنف هذا المعنى المقصود، إلا إذا أوقفهم اللّه تعالى على ذلک. قال تعالى: وَ ما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَ الرَّاسِخُونَ فِى الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنا (1).

و قد رأينا: أن بعض الفئات الضاله تحاول الإستفاده من موضوع التأويل بما يخدم أهدافها الهدامه، و مذاهبها الضاله؛ فجاؤا بالتأويلات التى تضحک الثكلى، حتى إنک لتجد بعض الأحزاب المنحرفه من الذين يعتنقون الماركسيه، و يتظاهرون بالاسلام، يحاولون تفسير الاسلام و القرآن بحيث ينسجم مع الماركسيه التى تناقضه أساسا، فيقولون- مثلا- فى قوله تعالى: قُلْ لِعِبادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلاةَ، وَ يُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْناهُمْ سِرًّا وَ عَلانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا بَيْعٌ فِيهِ وَ لا خِلالٌ (2)- يقولون-: إن المراد بهذا اليوم ليس هو يوم القيامه، و إنما المراد به اليوم الذى تتحقق فيه الاشتراكيه، و يزول النظام الطبقى، و تنتفى فيه الملكيه الشخصيه (3).

بل قالوا: إن المقصود بالمعاد فى الإسلام و القرآن، هو القضاء على النظام الطبقى فى المجتمع ليس إلا.

الى غير ذلک من ترهات بعيده عن روح الإسلام و القرآن، جاء بها هؤلاء و غيرهم من الفئات الضاله.

و الحقيقه هى: أن هذا ليس هو التأويل الذى أشار إليه القرآن، و إنما هو التفسير بالرأى الذى ورد النهى عنه بشده من قبل المعصومين).

1- آل عمران: 7.
2- ابراهيم: 31.
3- راجع كتاب: توحيد عاشورى (فارسى).

(علیهم السلام). و هذا بعینه هو اتباع ما تشابه من القرآن، ابتغاء الفتنه، و ابتغاء تأویله.

و أما التأویل الذی لا یعلمه إلا اللّه و الراسخون فی العلم، الذین هم أهل البیت (علیهم السلام)، حسب نص الروایات (1) فهو معرفه ما یؤول إلیه الأمر، بحسب ما تضمنه الکلام من إشارات و دلالآت؛ کقوله: هذا تأویل رؤیای.

و بعباره أخری: التأویل هو الکشف عن المرامی و المعانی التی یشیر الیها اللفظ، بما له من خصوصیات، فی مفرداته، و هیئاته ترکیبیه، و بعد مقایسته بغیره و ملاحظه مدی انسجام ذلک المعنی مع مبادی ء و أهداف المتکلم نفسه.

و إذا ما أرید الوصول إلی واقع المعنی، من الآیات القرآنیه بما له من خصوصیات و أحوال؛ فلا بد من الرجوع إلی من یتمکن بما أوتی من معارف و علوم، حتی أصبح من الراسخین فی العلم، للکشف عن المعانی القرآنیه الدقیقه، التی یخفی علی غیر الراسخین کیفیه تحمل اللفظ لها.

و إن کان بالنسبه إلیهم ربما یکون من البدیهات. فیرجعون ذلک المتشابه الی ذلک المحکم.

و من هنا تبرز الحاجه المستمره الی هؤلاء الراسخین فی العلم، الذین ورد فی الروایات أنهم- بالذات- أئمه أهل البیت صلوات اللّه و سلامه علیهم أجمعین.

فالتأویل هو الکشف عما تؤول إلیه المعانی، بواسطه معرفه سائر خصوصیاتها و مرامیها.0.

1- راجع تفسیر نور الثقلین: ج 1 ص 260- 262، و تفسیر البرهان: ج 1 ص 270.

الحروف المقطعه فی القرآن

و قد کثر الحدیث عن الحروف المقطعه الوارده فی فواتح السور القرآنیه، و تعددت و تشعبت الأقوال فی ذلک، حتی عدّ المفسرون ما یقرب من عشرین قولا حول المراد منها، نذکر منها ما یلی:

1- هی من المتشابه الذی لا یعلم تأویله إلا اللّه سبحانه.

1- هی أسماء للسور التی وقعت فی أوائلها.

3- إنها أسماء لمجموع القرآن.

4- إنها أسماء للّه سبحانه ف (ألم) معناها: أنا اللّه العالم و (ألمر) معناها: أنا اللّه أعلم و أری. و هکذا.

5- إنها أسماء للّه مقطعه لو أحسن تألیفها لعلم إسم اللّه الأعظم، ف (ألر، و حم، و ن). تصیر: الرحمان. و هکذا.

6- إن هذه الحروف شریفه لکونها مبانی کتبه المنزله و أسمائه الحسنی و صفاته العلیا، و أصول لغات الأمم .. و قد أقسم اللّه تعالی بهذه الحروف.

7- إنها إشارات إلی آلآئه سبحانه، و بلائه، و مده الأقوام و أعمارهم و آجالهم (1)!

8- إنها إشاره إلی بقاء هذه الأمه بحسب حساب الجمل.

9- إنها تسکیت للکفار الذین تواصوا فیما بینهم أن: (لا تسمعوا لهذا القرآن و الغوا فیها)؛ فکانوا إذا سمعوا هذه الحروف استغربوها، و تفکروا فیها، فیقرع القرآن مسامعهم.0.

1- هناک روایه تشیر إلی شی ء من ذلک أیضا، فراجع: المحاسن للبرقی ص 270 و البحار ج 92 ص 90.

10- إنها للإشاره الى معان فى السوره؛ فكلمه (ن) إشاره الى ما تشتمل عليه السوره من النصر الموعود و كلمه (ق) إشاره الى القرآن، أو الى القهر (1).

إلى غير ذلک من أقوال لا مجال لتتبعها.

و لعل آخر ما يمكن أن يعتبر رأيا فى هذا المجال .. هو ما ذكره بعض المتاخرين، و اعتبر بمثابه (إعجاز مدهش جديد للقرآن الكريم يكتشفه عالم مصرى). و هو: أن هذه الحروف المقطعه تدخل كعنصر هام و حاسم فى موضوع الإعجاز العددى للقرآن ..

و نحن لا نريد أن نسى ء الظن فيما يتعلق بهذا الرأى، على اعتبار أنه يعتمد الرقم (19)، و يتخذه محورا فى مجمل استنتاجاته، و هو الرقم المقدس عند طائفه البهائيه الضاله ..

كما أننا لا نريد المبالغه فى التشاؤم إلى حد أن نعتبر أن ذلک يهدف إلى صرف الأنظار عن دقائق المعانى القرآنيه الباهره الى الإهتمام بالظواهر و القوالب اللفظيه.

لا .. لا نريد ذلک .. فإننا نأمل أن يكون ثمه قدر كبير من حسن النيه، و سمو الهدف. و إنما نريد أن نؤكد على أن بعض الباحثين (2) قد تتبع هذه النظريه بالبحث و التمحيص، حتى خرج بنتيجه حاسمه، مفادها: الجزم بخطأ هذه النظريه، و ذلک لعدم صحه الأرقام التى قدمتها، و اعتبرتها أساسا صالحا للتدليل على قيمتها العلميه.

فقد قال هذا المحقق الذى رمز لنفسه ب «أبو محمد»:

قولهم: كلمه (اسم) تتكرر 19 مره بالضبط.ى.

1- تفسير الميزان ج 18 ص 6، 7.
2- هو العلامه المحقق السيد مهدى الروحانى.

أقول: ذكر فى المعجم المفهرس عدد 19 تحت كلمه إسم و ذكر أن كلمه (بسم) تكررت ثلاث مرات فى قوله تعالى: بِسْمِ اللَّهِ مَجْراها، و بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ. و إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمانَ وَ إِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ.

و ذكر كلمه (إسمه).

و قال: إنها تكررت خمس مرات.

و قولهم: إن كلمه الرحيم تتكرر 114 مره نقول: بل تتكرر 115 مره بالضبط.

و قالوا: إن حرف (ن) قد تكرر فى سوره القلم 133 أى 19* 7

و نقول: بل يتكرر 129 مره فقط. و لو كررنا المشددات مثل أن فإن المجموع يصير أكثر من ذلک بكثير.

و قالوا: إن حرف صلى الله عليه و آله وسلم يتكرر فى كل من: سوره الاعراف التى أولها (المص) و سوره ص، و سوره مريم التى أولها (كهيعص) 153 أى 19* 8

و نقول: إن عدد الصادات فى سوره الأعراف هو 90 صادا، و لعله قد اشتبه على واحد أو إثنان، و فى سوره مريم 24 (كذلک) و فى سوره ص 27 مره فليس المجموع 153 و لا فى كل واحده منها 153 أيضا (1)

أما العلامه الطباطبائى قدس سره، فقد أورد على الاقوال التى سلفت باستثناء هذا الاخير، حيث لم يذكره قدس سره .. بأن:

دعوى كون الحروف المقطعه من المتشابهات لا يصح، و ذلک لأن التشابه من صفات الآيات التى لها دلاله لفظيه على مداليلها، و ليست الحروف المقطعه من هذا القبيل.2.

1- راجع مجله المنطلق اللبنانيه سنه 1399 ه العدد الخامس ص 82.

و أما سائر الأقوال، فإنما هی تصویرات لا تتعدی الاحتمال، و لا دلیل یدل علی شی ء منها، و أما الروایات التی ربما یستظهر منها بعض التأیید لبعض تلک الأقوال، فقد ردها رحمه اللّه تعالی بضعف السند تاره و لضعف الدلاله أخری، حیث لا یوجد فیها تقریر من النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) لما فهمه الآخرون منها أو لأن مفاد الروایه أن هذه الحروف من قبیل الرمز لمعان تکرر بیانها، و لا حاجه لاستعمال الرمز فی التعبیر عنها.

ثم استظهر رحمه اللّه: أن هذه الحروف هی رمز بین اللّه سبحانه و بین رسوله، خفی عنا، لا سبیل لأفهامنا العادیه إلیها إلا بمقدار أن نستشعر أن بینها و بین المضامین المودعه فی السور ارتباطا خاصا، حیث وجد رحمه اللّه تشابها فی سیاق و فی مضامین السور التی اشترکت حروف معینه فی فواتحها، کالطواسین و الحوامیم، و المیمات و الراءات و نحو ذلک.

و نقول:

إننا لا نستطیع الموافقه علی ما ذکره رحمه اللّه تعالی، فإن القرآن لیس کتاب الغاز، أو أحاجی، و إنما أنزله اللّه تعالی: هُدیً لِلنَّاسِ (1)، لِیَدَّبَّرُوا آیاتِهِ (2)، بِلِسانٍ عَرَبِیٍّ مُبِینٍ (3)، قُرْآناً عَرَبِیًّا لَعَلَّکُمْ تَعْقِلُونَ (4)، کِتابٌ فُصِّلَتْ آیاتُهُ قُرْآناً عَرَبِیًّا لِقَوْمٍ یَعْلَمُونَ (5).3.

1- سوره البقره: 185.
2- ص 38.
3- سوره الشعراء، 199.
4- سوره یوسف: 2.
5- فصلت: 3.

و قد لاحظ بعض المحققين: أن تعقيب هذه الأحرف بأن هذا الكتاب مبين و واضح، و أنه قرآن عربى لقوم يعملون، أو لعلكم تعقلون، لا يناسب كون تلک الألفاظ رموزا، أو من قبيل الألغاز و الأحاجى، قال تعالى فى سوره يوسف: الر، تِلْکَ آياتُ الْكِتابِ الْمُبِينِ. إِنَّا أَنْزَلْناهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ.

و مهما يكن من أمر، فإن لدينا من الشواهد و الدلائل ما يكفى لإعطاء فكره عن المراد من هذه الحروف. و نستطيع بيان ذلک فى ضمن النقاط التاليه:

1- إننا فى نفس الوقت الذى نعتبر فيه أن ما سنذهب إليه ليس هو المقصود النهائى من هذه الأحرف، فإننا نؤكد على أننا لا نستعبد إراده سائر المعانى، مما ذكر أو لم يذكر منها، إذ دل الدليل على إرادتها أيضا، فإن للقرآن ظهرا و بطنا، و لعل لإختلاف الآزمنه، و تقدم الفكر و العلم، تأثيرا فى فهم الكثير من المعانى الأخرى، التى يمكن أن تكون هذه الأحرف مشيره إليها، أو داله عليها كبير، بنحو من أنحاء الإشاره و الدلاله.

2- إننا نلاحظ: أننا لم نجد فى التاريخ ما يشير إلى أن أيا من الصحابه أو من غيرهم من المشركين أو من أعداء الإسلام قد تصدى للسؤال أو الإستفهام عن معانى هذه الأحرف، و عما ترمى إليه ..

و لو سلمنا جدلا أن سكوت الصحابه يمكن أن يكون ناشئا عن إيمانهم العميق. و عن وصولهم الى درجه التسليم و الخضوع لكل ما يأتى به النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) نتيجه لما رأوه من الآيات الباهره، و المعجزات القاهره- رغم أن ذلک لا ينطبق على كثيرين غيرهم .. و رغم عدم منافاه ذلک للسؤال الاستفهامى عن أمر كهذا- فإننا لا نستطيع أن نفسر سكوت المشركين و غيرهم من أعداء الإسلام عن أمر كهذا. و هم فى موقع التحدى و المجابهه، و يحاولون التشبث و لو بالطحلب للطعن فى

الإسلام و النبوه و القرآن.

فسكوتهم هذا- و الحاله هذه- لا يعنى إلا أنهم قد فهموا منها معنى قريبا إلى أذهانهم، و أن ذلک المعنى الذى فهموه كان يكفى للإجابه عما يمكن أن يراود أذهانهم من تساؤلات ..

3- إننا نجد: أن هذه الحروف قد وردت فى تسع و عشرين سوره.

سته و عشرون منها نزلت فى مكه، و ثلاث منها نزلت فى المدينه. و حتى هذه السور التى نزلت فى المدينه يلاحظ: أن إثنتين منها قد نزلتا فى أوائل الهجره، حيث كان الوضع الدينى و الإيمانى فيها لا يختلف كثيرا عنه فى مكه، و لا سيما مع وجود اليهود و شبهاتهم و مؤامراتهم إلى جانب المشركين فيها.

و واحده منها و هى سوره الرعد قد نزلت بعد ان كثر الداخلون فى الإسلام رغبا أو رهبا، و كثر المنافقون حتى ليرجع إبن أبى بثلث الجيش فى غزوه أحد .. و أصبح اليهود و غيرهم ممن و ترهم الإسلام يهتمون بالكيد للإسلام من الداخل، بعد أن عجزوا عن مقاومته عسكريا و فكريا، و عقائديا بشكل سافر .. فجاءت سوره الرعد لتكرر التحدى بهذه المعجزه: القرآن، كأسلوب أمثل لبعث عمق عقيدى و إيمانى جديد فى المسلمين، و مواجهه غيرهم بالواقع الذى لا يجدون لمواجهته سبيلا إلا بالتسليم و البخوع و الإنقياد له.

و هذا ما يفسر لنا السر فى أننا نجد أسلوب و أجواء سوره الرعد لا تختلف كثيرا عن أجواء و أسلوب غيرها من السور المكيه، و أن هنالک توافقا فيما بينها فى إدانه و ضرب كل أساليب التضليل أو التزوير، و الصدود عن الحق ..

و نستطيع بعد كل ما تقدم أن نصل إلى النتيجه التاليه، و هى:

أن ورود هذه الحروف فى خصوص السور المكيه، و فى ثلاث سور نزلت فى أجواء لا تختلف كثيرا عن أجواء مكه ليدل دلاله قاطعه على أنها إنما جاءت فى مقام التحدى للمشركين، و لأعداء الإسلام .. و أن عدم اعتراض هؤلاء، أو حتى عدم سؤالهم، و كذلک عدم سؤال أى من الصحابه المؤمنين عن معانى هذه الحروف إنما يشير الى انهم إنما فهموا منها معان قريبه إلى أذهانهم، كافيه للإجابه على ما ربما يختلج فى نفوسهم من أسئله حولها. و ليس ذلک إلا ما ذكرنا من التحدى بهذا القرآن، المركب من أمثال هذه الحروف التى هى تحت اختيار الجميع، مع أنه يعجز عن مجاراته و الإتيان بمثله و حتى بسوره من مثله، الجميع.

4- إننا إذا راجعنا الآيات التى وقعت بعد هذه الحروف، فإننا نجد:

ألف: أن جميع السور التى وقعت الحروف المقطعه فى فواتحها باستثناء سورتين أو ثلاث نجد الأيات التى وقعت بعد هذه الحروف تتحدث عن الكتاب و آياته، أو القلم أو القرآن، و نحو ذلک كقوله تعالى:

المص. كِتابٌ أُنْزِلَ إِلَيْکَ (الاعراف).

الر. كِتابٌ أَنْزَلْناهُ إِلَيْکَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ (إبراهيم).

حم. وَ الْكِتابِ الْمُبِينِ. إِنَّا جَعَلْناهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (الزخرف).

الر. كِتابٌ أُحْكِمَتْ آياتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ (هود).

حم. وَ الْكِتابِ الْمُبِينِ. إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِى لَيْلَهٍ مُبارَكَهٍ (الدخان)

ص. وَ الْقُرْآنِ ذِى الذِّكْرِ

ن. وَ الْقَلَمِ وَ ما يَسْطُرُونَ.

و حتى تلك السور الاثنتان أو الثلاث يمكن أن يكون فى تلك القصه، أو التنبؤات، أو الحكم التى تذكر بعد هذه الحروف من الاعجاز ما يكفى لأن يجعل تركيبها من أمثال تلك الحروف المذكوره، و عجز الغير عن الإتيان بمثلها كافيا عن التصريح فى ذلک ..

ب: إننا نجد أن الآيات التى وقعت بعد الأحرف المقطعه قد صدّرت باسم الإشاره ليكون خبرا عن الحروف المقطعه، لأنه إشاره لما قبله. و لا يصح أن يكون إشاره لما بعده لأن ما بعده ليس الالف ليكون بدلا أو عطف بيان له .. و ذلک مثل قوله تعالى:

الر. تِلْکَ آياتُ الْكِتابِ الْمُبِينِ. إِنَّا أَنْزَلْناهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (يوسف).

الر. تِلْکَ آياتُ الْكِتابِ وَ قُرْآنٍ مُبِينٍ (الحجر)

الر. تِلْکَ آياتُ الْكِتابِ الْحَكِيمِ (يونس).

و كذلک الحال بالنسبه لسوره الرعد، و الحجر و غيرها من السور.

أما مثل قوله تعالى: الم. ذلِکَ الْكِتابُ فالكتاب بدل أو عطف بيان.

ج: ما هو من قبيل قوله تعالى:

حم. تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ. كِتابٌ فُصِّلَتْ آياتُهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (فصلت). فإن قوله تنزيل خبر لقوله: حم. كما قاله الفراء، و كما هو الظاهر ..

و جعل كتاب خبرا لتنزيل، لا يستسيغه الذوق السليم، و لا ينسجم مع المعنى المقصود، و لا سيما مع تنوين كلمه تنزيل و تنكيرها. و كذلک

الحال فی قوله تعالی:

الم. تَنْزِیلُ الْکِتابِ لا رَیْبَ فِیهِ مِنْ رَبِّ الْعالَمِینَ (السجده).

حم. تَنْزِیلُ الْکِتابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِیزِ الْعَلِیمِ (المؤمن).

و کذا الحال فیما ورد فی أول سوره الجاثیه و الاحقاف ..

و قد أعرب المفسرون، و غیرهم هذه الموارد علی ان کلمه (تنزیل) خبر لمبتدأ محذوف، أو نحو ذلک مع إن إعرابها علی النحو الذی ذکرناه هو الأنسب و الأظهر، و إن کان إعرابهم لا ینافی ما ذکرناه أیضا، فإن تقدیر کلمه (هو)، أو کلمه: (هذا) المقدره مبتدأ ظاهرها الإشاره إلی ما قبلها أیضا ..

د: قوله تعالی:

حم عسق. کَذلِکَ یُوحِی إِلَیْکَ وَ إِلَی الَّذِینَ مِنْ قَبْلِکَ اللَّهُ الْعَزِیزُ الْحَکِیمُ (الشوری).

فإن قوله (کذلک) یشاربها فی القرآن عاده إلی ما قبلها. أی کتلک الحروف التی سبقت یوحی إلیک اللّه تعالی، أی أن آیات اللّه هی من جنس هذه الأحرف.

ه: و بعد، فلقد جاء فی روایه عن الإمام العسکری صلوات اللّه و سلامه علیه، أنه قال: کذبت قریش و الیهود بالقرآن، و قالوا: سحر مبین تقوله.

فقال اللّه: الم. ذلِکَ الْکِتابُ أی یا محمد هذا الکتاب الذی انزلناه علیک هو الحروف المقطعه التی منها (ألف، لام، میم) و هو بلغتکم و حروف هجائکم، فأتوا بمثله إن کنتم صادقین، و استعینوا علی ذلک بسائر شهدائکم.

ثم بین أنهم لا یقدرون علیه بقوله: قل: لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ

وَ الْجِنُّ عَلى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَ لَوْ كانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً .. (1).

و ضعف هذه الروايه لا يضر ما دامت مؤيده بما قدمناه من الشواهد و الدلائل .. هذا على الرغم من أننا نجد فى كلام المجلسى ما يشير إلى إمكان الاعتماد على روايات تفسير العسكرى .. مع أننا لا نجد ما يبرر الوضع و الجعل فى أمر كهذا ..

آخر ما نقوله حول الحروف المقطعه:

و أخيرا فإنه يمكن أن تكون فى القصه التى تذكر بعد هذه الحروف المقطعه، أو فى الحكم، أو التنبؤات من الإعجاز ما يكفى لأن يجعل تركيبها من الحروف المذكوره فى بدايه السوره، و عجز الغير عن الاتيان بمثلها كافيا فى ذلک.

و مع كل ما قدمناه، فإننا نعود و نؤكد على أن ما ذكرناه ليس هو كل المراد من هذه الحروف، فقد يكون لها إشارات و مرامى أخرى تضاف الى ما ذكرناه، و لا مانع مع صحه كثير من الإحتمالات التى ذكرت فى معانيها. و لربما يكون لاختلاف الأزمنه تأثير فى فهم هذه المعانى، كما أشرنا إليه حين الكلام حول أن للقرآن ظهرا و بطنا.6.

1- معانى الأخبار ص 22، و تفسير البرهان ج 1 ص 54 و تفسير نور الثقلين ج 1 ص 43 و البحار ج 92 ص 377 و تفسير الميزان ج 18 ص 16.

ص: 285

الفصل الثانی: روایات بدء الوحی

اشاره

ما روى فى بدء الوحى:

روى البخارى و مسلم و غيرهما، عن الزهرى، عن عروه بن الزبير، عن عائشه فى بدء الوحى، ما ملخصه: أن الملک جاء للنبى، صلى الله عليه و آله وسلم و هو فى غار حراء، فقال: إقرأ. قال: ما أنا بقارى ء، قال: فأخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد، ثم أرسلنى، فقال: إقرأ: فقلت: ما أنا بقارى ء، فأخذنى فغطنى الثانيه، حتى بلغ منى الجهد، ثم ارسلنى، فقال: إقرأ.

فقلت: ما أنا بقارى ء. فأخذنى فغطنى الثالثه، ثم أرسلنى؛ فقال: اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّکَ الَّذِى خَلَقَ. خَلَقَ الْإِنْسانَ مِنْ عَلَقٍ. اقْرَأْ وَ رَبُّکَ الْأَکْرَمُ.

فرجع بها رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم يرجف فؤاده؛ فدخل على خديجه بنت خويلد، فقال زمّلونى، زمّلونى، حتى ذهب عنه الروع؛ فقال لخديجه- و قد أخبرها الخبر-: لقد خشيت على نفسى. فقالت خديجه: كلا و اللّه، ما يخزيک اللّه أبدا، إنک لتصل الرحم، و تحمل الكل، و تكسب المعدوم، و تقرى الضيف، و تعين على نوائب الحق، فانطلقت به خديجه، حتى أتت به ورقه بن نوفل، بن أسد، بن عبد العزى، ابن عم خديجه، و كان امرءا قد تنصر فى الجاهليه، و كان يكتب الكتاب العبرانى، فيكتب من الإنجيل بالعبرانيه ما شاء اللّه أن يكتب، و كان شيخا كبيرا قد

عمی، فقالت له خدیجه: یا بن عم إسمع من ابن أخیک. فقال له ورقه:

ماذا تری؟ فأخبره رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم خبر ما رأی. فقال له ورقه: هذا الناموس الذی نزل اللّه علی موسی، یا لیتنی فیها جذعا، لیتنی أکون حیا إذ یخرجک قومک. فقال رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم : أو مخرجیّ هم؟ قال: نعم، لم یأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودی، و إن یدرکنی یومک أنصرک نصرا مؤزرا.

ثم لم ینشب ورقه أن توفی. و فتر الوحی (1).

و ثمه روایات کثیره أخری متناقضه و متعارضه، و نذکر منها علی سبیل المثال:

1- هناک روایه تقول: إن خدیجه أرسلته مع أبی بکر الی ورقه بن نوفل فأخبره صلی الله علیه و آله وسلم أنه یسمع نداء خلفه: یا محمد، یا محمد، فینطلق هاربا فی الارض، فأمره ورقه أن یثبت؛ لیسمع ما یقول ثم یخبره، ففعل فناداه: یا محمد، قل: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِیمِ حتی بلغ، وَ لَا الضَّالِّینَ قل لا إله إلا اللّه. فأخبر ورقه؛ فبشره بأنه هو الذی بشر به إبن مریم؛ فلما توفی ورقه قال صلی الله علیه و آله وسلم : لقد رأیت القس فی الجنه، علیه ثیاب الحریر؛ لأنه آمن بی و صدقنی (2).

2- و روایه أخری تقول: بعد أن ذکرت: أن خدیجه أخبرت ورقه5.

1- صحیح البخاری ط مشکول ج 1 ص 5- 6 و ج 9 ص 38، و صحیح مسلم ج 1 ص 97، و لیراجع تاریخ الطبری ج 2 ص 47، و المصنف لعبد الرزاق ج 5 ص 322/ 323، و تاریخ الخمیس ج 1 ص 282، و السیره النبویه لدحلان ج 1 ص 82 و السیره الحلبیه ج 1 ص 242/ 243 و راجع: الأوائل ج 1 ص 145/ 146.
2- البدایه و النهایه ج 3 ص 9/ 10 و الروض الأنف ج 1 ص 274/ 275 و السیره النبویه لدحلان ج 1 ص 83/ 84 و السیره الحلبیه ج 1 ص 250، و سیره مغلطای ص 15.

بالأمر، فأخبرها أنه نبی هذه الأمه- إنه بعد مده التقی بالنبی صلی الله علیه و آله وسلم و هما یطوفان، فسأله ورقه عما رأی و سمع؛ فأخبره. فأخبره ورقه انه نبی هذه الأمه (1)

3- انه لما أخبر النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) خدیجه بما رأی، بشرته بأنه نبی هذه الأمه، و أن الذی أخبرها بذلک هو غلامها ناصح، و بحیرا الراهب. و أمرها أن تتزوجه منذ أکثر من عشرین سنه، و لم تزل برسول اللّه حتی طعم، و شرب، و ضحک، ثم خرجت إلی الراهب، و کان قریبا من مکه فأخبرته، فأخبرها: أن جبرئیل هو أمین اللّه، و رسوله إلی الأنبیاء. ثم أتت عداسا، فسألته، فأخبرها بمثل ذلک.

ثم أتت ورقه، فأخبرها بمثل ذلک. ولکنها حلفته أن یکتم الأمر، فطلب منها أن ترسل إبن عبد اللّه الیه؛ لیسأله، و یسمع منه؛ مخافه أن یکون الذی جاءه هو غیر جبرئیل، فإن بعض الشیاطین یتشبه لیضل و یفسد، حتی یصیر الرجل بعد العقل الرضی مدلّها مجنونا، فرجعت الی النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم)، و أخبرته بمقاله ورقه، فنزل قوله تعالی: ن. وَ الْقَلَمِ وَ ما یَسْطُرُونَ. ما أَنْتَ بِنِعْمَهِ رَبِّکَ بِمَجْنُونٍ. و لکنها أصرت علیه أن یذهب إلی ورقه، ففعل، و صدقه ورقه، فذاع قول ورقه و تصدیقه لرسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله و سلم)، فشق ذلک علی الملأ من قومه (2).

4- إن خدیجه طلبت منه أن یخبرها حین یأتیه الملک ففعل، فأمرته أن یجلس إلی شقها الأیمن؛ ففعل، فلم یذهب الملک، فأجلسته فی حجرها، فلم یذهب. فتحسرت فشالت خمارها، و رسول اللّه (صلی اللّه6.

1- البدایه و النهایه ج 3 ص 12/ 13 و سیره ابن هشام ج 1 ص 254، و السیره الحلبیه ج 1 ص 239/ 240، و السیره النبویه لدحلان ج 1 ص 81/ 82.
2- البدایه و النهایه ج 3 ص 14/ 15 و راجع: الأوائل لابی هلال العسکری ج 1 ص 146.

علیه و آله و سلم) فی حجرها، فذهب الملک، فقالت: ما هذا بشیطان، إن هذا لملک یا ابن عم، فاثبت و ابشر.

و فی روایه: أنها أدخلت رسول اللّه بین جلدها و درعها، و أخرجت رأسه من جیبها؛ فذهب جبرئیل (ع) عند ذلک (1).

و فی روایه: أن ذلک کان بإشاره ورقه (2).

5- و فی روایه: إن ورقه قال لخدیجه: إسألیه من هذا الذی یاتیه، فإن کان میکائیل، فقد أتاه بالخفض و الدعه و اللین و إن کان جبرئیل، فقد أتاه بالقتل و السبی؛ فسألته، فقال: فقال جبرئیل. فضربت خدیجه جبهتها (3).

6- و فی روایه: أنه لما أتاه الوحی قال: (... ان الأبعد- یعنی نفسه- لشاعر أو مجنون، لا تحدّث بها قریش عنی أبدا، لأعمدن إلی حالق من الجبل؛ فلأطرحن نفسی منه، فلأقتلنها، و لأستریحن. قال:

فخرجت أرید ذلک) حتی إذا کان فی وسط جبل سمع صوتا من السماء یقول یا محمد أنت رسول اللّه.

ثم تستمر الروایه حتی تذکر: أنه ذکر لخدیجه: أن الأبعد لشاعر أو مجنون. فقالت: أعیذک باللّه من ذلک، ثم التقت بورقه؛ فأرسل إلیه بالثبات، ثم التقی به فی الطواف، فجری له معه ما جری (4).

و عند السهیلی و غیره: أن خدیجه سألت ورقه، و عداسا، و نسطورا،0.

1- البدایه و النهایه ج 3 ص 15/ 16، و سیره ابن هشام ج 1 ص 255، و الطبری ج 2 ص 50 و تاریخ الخمیس ج 1 ص 283، و السیره الحلبیه ج 1 ص 251، و السیره النبویه لدحلان ج 1 ص 84.
2- السیره الحلبیه ج 1 ص 252.
3- تاریخ الیعقوبی ط صادر ج 2 ص 23.
4- تاریخ الطبری ج 2 ص 49/ 50.

عن أمر رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) (1).

7- و فى روايه: أن عداسا أعطاها كتابا لتضعه على النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم)؛ فان كان مجنونا شفى، و إلّا لم يضره شيئا، فلما عادت إليه بالكتاب وجدت معه جبرئيل يقرئه الآيات من سوره القلم، ففرحت، و أخذته إلى عداس، فكشف عداس عن ظهره؛ فوجد خاتم النبوه بين كتفيه إلخ .. (2).

و يروى البعض: أنه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) لما أخبرها بجبرئيل كتبت إلى بحيرا الراهب، و قيل: سافرت بنفسها إليه لتسأله عن الأمر (3).

8- و فى روايه: أنه حين ذهب ليتردّى من شواهق الجبال، كان إذا ارتقى بذروه جبل، تبدّى له جبرئيل، و يخاطبه بالرساله، فيسكن جأشه، و تطمئن نفسه (4).

9- و يروون أيضا: أنه كان قبل النبوه يتعرض للرعده، و تغميض العينين، و تربّد الوجه، و لما يشبه الاغماء، و يغط كغطيط البكر. (5)

10- و فى روايه: انه صلى الله عليه و آله وسلم عاد إلى أهله مسرورا موقنا: أنه قد رأى أمرا عظيما، فلما دخل على خديجه قال: أريتک الذى كنت حدثتک: أنى رأيته فى المنام؛ فإن جبرئيل استعلن إلى، أرسله إلى ربى عز و جل، و أخبرها بالذى جاءه من اللّه، و ما يسمع منه، فقالت له: أبشر، فو اللّه لا يفعل اللّه بک إلا خيرا، و اقبل الذى جاءک من أمر اللّه، فإنه حق، و أبشر؛2.

1- الروض الأنف ج 1 ص 273، و الأوائل لأبى هلال العسكرى ج 1 ص 146.
2- تاريخ الخميس ج 1 ص 284، و السيره النبويه لدحلان ج 1 ص 83، و السيره الحلبيه ج 1 ص 243/ 244.
3- السيره النبويه لدحلان ج 1 ص 83 و السيره الحلبيه ج 1 ص 244.
4- المصنف ج 5 ص 323.
5- السيره النبويه لدحلان ج 1 ص 84، و السيره الحلبيه ج 1 ص 252.

فإنک رسول اللّه حقا.

ثم انطلقت إلى عداس النصرانى، غلام عتبه بن ربيعه من أهل نينوى، فسألته عن جبرائيل؛ فتعجب من ذكر جبرائيل بتلک الارض، ثم أخبرها بأنه أمين اللّه بينه و بين الأنبياء. ثم جاءت إلى ورقه إلخ .. (1).

هذا غيض من فيض، مما قيل و يقال حول ما جرى حين بدء الوحى، و كيفيته و ملابساته، من روايات، و أقاويل متضاربه و متناقضه.

و لننتقل الآن إلى الإشاره الى بعض ما لنا من مناقشات فى تلک الأراجيف المتقدمه، متوخين الإيجار و الإختصار مهما أمكن فنقول:

مناقشه روايات بدء الوحى:

إننا فى مجال بيان ما فى تلک الروايات من خلل و خطل، لا نستطيع أن نستوعب كل ما فيها من نقاط ضعف؛ لأن استيعاب ذلک- كما يبدو- يحتاج إلى وقت طويل، بل إلى مؤلف مستقل .. و لكن ما لا يدرک كله لا يترک كله، لأننا نريد أن نسهم بدورنا في الذب عن مقام النبوه الأقدس، و لو بشكل محدود و مقتضب، و ما نريد أن نشير إليه هنا هو:

أولا: من حيث السند. و حيث إن العمده فى ذلک هو ما ورد فى الصحيحين و غيرهما، عن الزهرى، عن عروه بن الزبير، عن عائشه، فنحن نكتفى بالإشاره الاجماليه إلى حال هؤلاء، فنقول:

1- الزهرى: كان من أعوان الظالمين، و من الذين يركنون لهم (2)، و كان عاملا لبنى أميه (3) و يقول المحقق التسترى: إنه كان كاتبا لهشام بن7.

1- البدايه و النهايه 3 ص 13.
2- راجع: سفينه البحار ج 1 ص 572 و 573 و معجم رجال الحديث ج 16 ص 182 عن ابن شهر اشوب.
3- كشف الغمه ج 2 ص 317.

عبد الملک، و معلما لأولاده (1).

وعده الثقفی من فقهاء الکوفه الذین خرجوا عن طاعه علی (علیه السلام)، و کانوا أهل عداوه له و بغض، و خذلوا عنه (2).

و جلس هو و عروه فی مسجد المدینه فنالا من علی (علیه السلام)، فبلغ ذلک السجاد (علیه السلام)، فجاء حتی وقف علیهما؛ فقال: أما أنت یا عروه، فإن أبی حاکم أباک، فحکم لأبی علی أبیک و أما أنت یا زهری؛ فلو کنت أنا و أنت بمکه لأریتک کنّ (3) أبیک (4).

و نحن لا نستطیع أن نثق بأعوان الظلمه، و بمبغضی علی (علیه السلام)، کیف و قد قال صلی الله علیه و آله وسلم : (من سب علیا فقد سبنی (5)؟.

2- عروه بن الزبیر. عن عروه قال: أتیت عبد اللّه بن عمر بن الخطاب (رض)؛ فقلت له: یا أبا عبد الرحمان، إنا نجلس إلی ائمتنا هؤلاء، فیتکلمون بالکلام، نعلم أن الحق غیره؛ فنصدقهم، و یقضون بالجور، فنقویهم، و نحسنه لهم؛ فکیف تری فی ذلک؟ فقال: یا ابن أخی، کنا مع رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم نعد هذا النفاق؛ فلا أدری کیف هو عندکم (6). ص

1- راجع ترجمه الزهری فی قاموس الرجال ج 6.
2- الغارات للثقفی ح 2 ص 558- 560 و راجع: سفینه البحار ج 1 ص 572.
3- الکن: البیت.
4- شرح النهج للمعتزلی ج 4 ص 102، و الغارات للثقفی ج 2 ص 578، و البحار ج 46 ص 143 و راجع: سفینه البحار ج 1 ص 572.
5- مستدرک الحاکم ج 3 ص 121 و صححه الذهبی فی تلخیص المستدرک هامش نفس الصفحه.
6- سنن البیهقی ج 8 ص 165، و قریب منه ما فی ص 164 من دون ذکر اسم (عروه) و مثله الترغیب و الترهیب ج 4 ص 382 عن البخاری و إحیاء علوم الدین ج 3 ص

فعروه يعتبر أئمه الجور أئمته، و إبن عمر يحكم عليه بالنفاق.

وعده الاسكافى من التابعين، الذين كانوا يضعون أخبارا قبيحه فى على (عليه السلام (1). و كان يتألف الناس على روايته (2).

و روى عبد الرزاق، عن معمر، قال: كان عند الزهرى حديثان عن عروه، عن عائشه فى على (عليه السلام)، فسألته عنهما يوما، فقال: ما تصنع بهما و بحديثهما؟ إنى لأتهمهما فى بنى هاشم (3).

و كان عروه إذا ذكر عليا نال منه (4)، و يصيبه الزمع؛ فيسبه، و يضرب إحدى يديه على الأخرى إلخ (5).

و بعد ذلک كله؛ فإنه لم يثبت سماع الزهرى عنه. و لكن أهل الحديث اتفقوا على ذلک (6)،

3- أما عائشه: التى حاربت عليا و عادته، و التى يتهمها الزهرى بأنها لا تؤمن فى بنى هاشم؛ فقد أرسلت هذه الروايه، و لم تبين لنا عمن روتها، فإنهم يقولون: إنها قد ولدت بعد البعثه، و إن كنا نحن نناقش فى ذلک (7).

و أخيرا، فإن لنا كلاما طويلا فى بقيه الاسانيد فى الصحاح و غيرهاه.

1- شرح النهج للمعتزلى ج 4 ص 63.
2- صفه الصفوه ج 2 ص 85، و تهذيب التهذيب ج 7 ص 182.
3- شرح النهج للمعتزلى ج 4 ص 64، و قاموس الرجال ج 6 ص 299.
4- الغارات ج 2 ص 576، و شرح النهج ج 4 ص 102.
5- قاموس الرجال ج 6 ص 300.
6- تهذيب التهذيب ج 9 ص 450.
7- سيأتى ذلک إن شاء اللّه فى فصل: حتى بيعه العقبه.

لا مجال له هنا. و نكتفى بهذا القدر، لنشير الى بقيه ما فى الروايه من هنات.

و ثانيا: تناقض الروايات الظاهر لدى كل أحد، و يظهر ذلک بالملاحظه و المقارنه، و نكل ذلک الى القارى ء نفسه. و لو أن الاختلاف كان بالزياده و النقيصه لا مكن قبوله؛ على اعتبار أن أحدهما حفظ دون الآخر، أو تعلق غرضه بهذا النحو من النقل، و ذاک بنحو آخر. و كذا لو كان التناقض فى مورد واحد مثلا، فلربما يمكن الاعتذار عن ذلک بأن من الممكن وقوع الإشتباه غير العمدى من أحد النقله.

و لكن الأمر هنا أبعد من ذلک؛ فإن التناقض و الإختلاف إن لم يكن فى كل ما تضمنته تلک الروايات من نقاط، ففى جلها مما يعنى أن ثمه تعمدا للوضع و الجعل. و قديما قيل: (لا حافظه لكذوب).

هذا كله، مع غض النظر عن المناقضه بين هذه الروايات و بين الروايه التى يذكرها البخارى نفسه فى أول كتابه بعد هذه الروايه مباشره من أن أول ما نزل عليه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) هو سوره المدثر.

و يلاحظ انه ليس فى تلک الروايه ذكر لأى شى ء من تلک الأمور الغريبه و العجيبه التى تضمنتها روايه عائشه السابقه عليها؛ فإن عدم ذكرها لشى ء من ذلک يورث الشک و الريب، و يثير أكثر من سؤال عن السبب فى إهمال التعرض لذلک.

و ثالثا: إن روايه الصحاح، بل و سائر الروايات تذكر: أن جبرئيل قد أخذ النبى صلى الله عليه و آله وسلم فغطه، أى عصره و حبس نفسه او خنقه حتى بلغ منه الجهد، أو حتى ظن أنه الموت، ثم أرسله، و أمره بالقراءه؛ فأخبره النبى صلى الله عليه و آله وسلم : أنه لا يعرفها، فلم يقنع منه، بل عاد فغطه، ثم أرسله، و هكذا ثلاث مرات.

و لنا على هذا الكلام العديد من الأسئله.

فإننا لا نعرف ما هو المبرر لذلک کله؟ و کیف جاز لجبرئیل أن یروع النبی الأعظم (صلی اللّه علیه و آله و سلم)، و أن یؤذیه بالعصر و الخنق، إلی حد أنه (صلی اللّه علیه و آله و سلم) یظن أنه الموت، یفعل به ذلک، و هو یراه عاجزا عن القیام بما یأمره به و لا یرحمه، و لا یلین له!!

و لماذا یفعل به ذلک ثلاث مرات، لا أکثر و لا أقل؟!.

و لماذا صدقه فی الثالثه، و لا یصدقه فی المره الأولی؟ أو الثانیه؟! و إذا کان النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) قد کذب علیه أولا، فکیف بقی أهلا للنبوه؟! و إذا کان قد صدقه فلماذا لم یقتنع جبرئیل بکلامه، و عاد فخنقه حتی لیظن أنه الموت؟!.

و أیضا، هل جاء جبرئیل الیه بکتاب لیقرأه؛ إذ أن قوله (صلی اللّه علیه و آله و سلم): (ما أنا بقاری ء) إنما یصح لو کان (صلی اللّه علیه و آله و سلم) قد فهم أن جبرئیل یأمره بالقراءه نفسها- لا بتعلم القراءه- کما ذکره السندی (1).

و إذا کان المراد: القراءه بمعنی التلاوه؛ فلماذا یطلب منه جبرائیل ذلک، قبل أن یتلو علیه شیئا؟. ثم لماذا یعاند هو و یرفض ذلک؟!

و بعد هذا کله، لماذا یستسلم النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) لجبرائیل لیعذبه علی هذا النحو الذی لا مبرر له؟

ثم لماذا یرجع مرعوبا خائفا؟! ألم یکن باستطاعته أن یلطمه لطمه یقلع بها عینه؟ کما فعل موسی بملک الموت من قبل؟! حیث إنه لما جاء لیقبض روحه، لطمه علی عینه فقلعها، کما نص علیه البخاری، و کثیر من المصادر الأخری (2)!!اه

1- حاشیه السندی علی البخاری بهامشه ج 1 ص 3 ط سنه 1309.
2- البخاری ط سنه 1309 ج 1 ص 152، أبواب الجنائز، و ج 2 ص 159 باب وفاه

أم يعقل: أنه كان- و العياذ باللّه- جبانا إلى هذا الحد؟! و كانت الشجاعه من مختصات نبى اللّه موسى وحده؟!

و أخيرا، كيف يخاف نبينا هنا، و اللّه تعالى يقول: يا مُوسى لا تَخَفْ إِنِّى لا يَخافُ لَدَىَّ الْمُرْسَلُونَ (1).

قد ورد ان زراره بن أعين سأل الإمام الصادق (عليه السلام): كيف لم يخف رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم فيما يأتيه من قبل اللّه أن يكون مما ينزع به الشيطان؟ فقال: ان اللّه إذا اتخذ عبدا رسولا أنزل عليه السكينه و الوقار، فكان الذى يأتيه من قبل اللّه مثل الذى يراه بعينه (2).

إشاره:

هذا، و من المضحک المبکی هنا: أن نجد البعض يحاول أن يستدل بهذه الروايه على رأى يكذبه العقل و النقل، و بالذات يكذبه نص القرآن الكريم؛ فنراه يجعل ذلک دليلا على جواز التكليف بما لا يطاق (3)- كما هو مذهبهم- الأمر الذى يصادم العقل و الفطره، و يخالف القرآن، كما فى قوله تعالى: لا يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْساً إِلّا وُسْعَها (4)، و قوله: وَ ما جَعَلَ6.

1- النمل/ 10.
2- تفسير العياشى ج 2 ص 201 و البحار ج 18 ص 262.
3- فتح البارى ج 8 ص 551، و إرشاد السارى ج 1 ص 63.
4- البقره: 286.

عَلَيْكُمْ فِی الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ (1)، و قوله: يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ، وَ لا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ (2) و غير ذلک كثير.

رابعا: حول ما يذكر من خوفه (صلى اللّه عليه و آله و سلم)، و دور زوجته و ورقه و غيرهما فی بعث الطمأنينه فی نفسه نذكر:

ألف: كيف يجوز إرسال نبی يجهل نبوه نفسه، و يحتاج فی تحقيقها الی الاستعانه بإمرأه، أو نصرانی؟ ألم تكن هی فضلا عن ذلک النصرانی اجدر بمقام النبوه من ذلک الخائف المرعوب الشاک؟

و حتی لو قبلنا ذلک، فمن أين علم: أن تلک المرأه و ذلک الرجل قد صدقاه، و قالا الحقيقه؟

و لماذا لم يستطع هو أن يدرک ما ادركته تلک المرأه، و ذلک النصرانی؟! أم يعقل أن يكون كلاهما أكبر عقلا و أكثر معرفه باللّه و تفضلاته منه؟!- نعوذ باللّه من الزلل فی القول و العمل.

و إذا جاز أن يرتاب هو مع معاينته لما يأتيه من ربه، فكيف ينكر علی من ارتاب من سائر الناس، مع عدم معاينتهم لشی ء من ذلک؟!.

قال السندی: (مقتضی جواب خديجه، و الذهاب الی ورقه: أن هذا كان منه علی وجه الشک. و هو مشكل بأنه لما تم الوحی صار نبيا، فلا يمكن أن يكون شاكا بعد فی نبوته، و فی كون الجائی عنده ملكا من اللّه، و كون المنزل عليه كلام رب العالمين)!!

ثم حاول السندی توجيه ذلک بأنه صلی الله عليه و آله وسلم أراد اختبار خديجه، و أن يمهد لاعلامها بالامر (3).3.

1- الحج: 78.
2- البقره: 185.
3- حاشيه السندی بهامش البخاری ط سنه 1309 ه ج 1 ص 3.

و هو توجيه عجيب، فإننا لم نعهد منه صلى الله عليه و آله وسلم إتباع مثل هذه الأساليب الملتويه فى الوصول الى مقاصده و نحن نجله صلى الله عليه و آله وسلم عن نسبه الكذب اليه على خديجه- معاذ اللّه، ثم معاذ اللّه!!. ثم .. كيف يتناسب ذلک مع كونه أراد أن يلقى نفسه من شواهق الجبال، و غير ذلک مما تقدم مما ذكرته روايات الوحى؟!

و أيضا، كيف يبعث اللّه رجلا، قبل أن يربيه تربيه صالحه و يعده إعدادا تاما، بحيث يستطيع أن يكون فى مستوى الحدث العظيم الذى ينتظره؟! نعم، كيف أهمله هكذا، حتى إنه حين بعثته ليبدو مذعورا خائفا، ظانا بنفسه الجنون، يريد أن يلقى بنفسه من شواهق الجبال، حتى كأنه طفل تائه، يملأ قلبه الهم، يحتاج إلى من يطمئنه، و يهديه، و يأخذ بيده، و لو امرأه أو أى انسان عادى آخر؟! هذا كله عدا عن أن ذلک يدل و العياذ باللّه على ضعف إرادته، و ضآله شخصيته.

و أين ذهبت عن ذاكرته تلک الكرامات التى كان يواجهها، دون كل أحد، كتسليم الشجر و الحجاره عليه (1). و الرؤيا الصادقه، و غير ذلک مما ذكره المؤلفون و المؤرخون؟!.

ب: قال تعالى: (وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا: لَوْ لا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً، كَذلِکَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَکَ) (2).

و قال تعالى: (قُلْ: نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّکَ بِالْحَقِّ؛ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا، وَ هُدىً وَ بُشْرى لِلْمُسْلِمِينَ) (3).

و قال: (إِنِّى عَلى بَيِّنَهٍ مِنْ رَبِّى) (4) و قال تعالى: (قُلْ: هذِهِ سَبِيلِى أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلى بَصِيرَهٍ أَنَا وَ مَنِ اتَّبَعَنِى) (5).8.

1- سيره ابن هشام ج 1 ص 234/ 235.
2- الفرقان: 32.
3- النحل: 102.
4- الأنعام: 57.
5- يوسف: 108.

إذن، فالنبوه، و تنزيل القرآن، ليس إلا لتثبيت المؤمنين، و لتثبيت فؤاد النبى صلى الله عليه و آله وسلم ، و هذا يتنافى مع قولهم: إن نفسه الشريفه قد سكنت اعتمادا على قول نصرانى، أو امرأه.

كما أن من الواضح: أنه لا حجه بينه فى قول ورقه، أو خديجه، فكيف صح أن يقول: قل هذه سبيلى أدعو إلى اللّه على بصيره أنا و من اتبعنى.

و خامسا: لابد من الاشاره إلى بعض الكلام حول ورقه، و نسطور، و عداس، و بحيرا و غيرهم، ممن ذكرت اسماؤهم فيما تقدم، و عمده الروايات تتجه نحو ورقه، و تركز عليه. لا سيما و أنه هو الذى نص عليه البخارى، و غيره من المصادر الموثوقه لدى غير الشيعه.

1- أما نسطور، و بحيرا، فهما الراهبان اللذان تنسب اليهما القضيه التى جرت للنبى صلى الله عليه و آله وسلم فى صغره، حينما سافر مع أبى طالب إلى الشام، و بصرى حيث بشر نسطور أو بحيرا بنبوه النبى صلى الله عليه و آله وسلم ، و أمر بإعادته صلى الله عليه و آله وسلم إلى مكه كما تقدم.

و إذا كان بحيرا أو نسطور فى بصرى- و هى قصبه كوره حوران فى الشام من اعمال دمشق- فيرد السؤال: كيف سافرت خديجه من مكه إلى الشام هذه السفره الطويله؟، أو متى كتبت إليه فاجابها. مع أنهم يقولون:

إنه صلى الله عليه و آله وسلم بعث فى أول يوم، فأسلم على و خديجه (عليها السلام) فى اليوم الثانى، و صليا معه مسلمين مؤمنين بنبوته (1).7.

1- مستدرک الحاكم ج 3 ص 112 و تلخيصه للذهبى بهامش نفس الصفحه و فرائد السمطين ج 1 ص 243. و الاستيعاب (مطبوع بهامش الإصابه) ج 3 ص 32 و المناقب للخوارزمى ص 21 و الجامع الصحيح ج 5 ص 640 و تفسير الوصول ج 2 ص 147.

و هل كان فی ذلک الزمان طائرات؟، أو أنها سافرت علی بساط الریح، أو طویت لها الأرض؟! و لا ندری، فلعلهم قد انتقلوا لیسکنوا قرب مکه، لتتمکن خدیجه من استشارتهم فی الوقت المناسب، ثم لا یعود یسمع لهما ذکر أصلا، لأن مهمتهما قد انتهت (!!!).

2- و عداس، الیس هو الذّی اسلم علی ید النبی صلی الله علیه و آله وسلم فی الطائف بعد عشر سنین من البعثه أی بعد وفاه أبی طالب (علیه السلام).

و تروی القصه بنحو یدل أن عداسا لم یکن یعرف النبی صلی الله علیه و آله وسلم قبل ذلک (1) و لا سمع به.

کما أن الروایات تنص علی أن جوابه هو نفس جواب ورقه، و علی أنه کان- کورقه- راهبا، کبیر السن، قد وقع حاجباه علی عینیه، و قد ثقل سمعه إلخ ... و هذه الأوصاف یشارکه فیها غیره ممن سألتهم خدیجه ما عدا ثقل السمع، الذی عوض عنه ورقه المسکین بالعمی ...

و احتمال أن یکون عدّاس هذا غیر ذاک، لیس له ما یؤیده، أو یشیر الیه.

و یبقی هنا سؤال أخیر، و هو: أنه کیف لم یسمع باسلام هؤلاء:

بحیرا، و عداس، و نسطور، من حین بعثته صلی الله علیه و آله وسلم ، مع معرفتهم بان النبی صلی الله علیه و آله وسلم قد بعث، و مع أن سند نبوته قد تلقاه صلی الله علیه و آله وسلم منهم، حسب نص الروایات المتقدمه؟ ...

کما أن روایه عداس تقول: إنه لما عادت خدیجه من عند عداس، اذا بجبرئیل یقری ء النبی صلی الله علیه و آله وسلم سوره القلم. و هذا مخالف لما یذکره المفسرون: من أن هذه السوره إنما نزلت حینما وصف المشرکون النبی صلی الله علیه و آله وسلم بأنه مجنون (2)، و واضح: أن هذا لم یحصل إلا بعد انتهاء4.

1- سیأتی ذلک فی الجزء الثالث من هذا الکتاب فی فصل: الهجره إلی الطائف.

2- الدر المنثور ج 6 ص 250، و السيره الحلبيه ج 1 ص 244.

فتره الدعوه السريه، و حينما صدع بما يؤمر به، كما هو معلوم.

3- أما ورقه: فانهم بالاضافه إلى ما ينسبونه اليه من دور هام فى تثبيت نبوه نبينا الأعظم صلى الله عليه و آله وسلم ، نجدهم يذكرون: أنه صلى الله عليه و آله وسلم قد قال عن ورقه كلاما يدل على أنه فى الجنه، و لكنهم اختلفوا فى نص ذلک الكلام.

ففى روايه انه صلى الله عليه و آله وسلم قال: (لا تسبوا ورقه فانى رأيت له جنه، أو جنتين ...) أو (رأيته فى ثياب بيض) و فى أخرى: (لقد رأيت القس- يعنى ورقه- فى الجنه عليه ثياب الحرير.) و فى ثالثه: (أبصرته فى بطنان الجنه و عليه ثياب السندس). و فى رابعه: (قد رأيته فرأيت عليه ثيابا بيضا، و أحسبه لو كان من أهل النار لم تكن عليه ثياب بيض) (1).

و عده ابن منده فى الصحابه، و عدّه الزين العراقى على: أنه أول من أسلم، و مال إليه البلقينى (2).

و تقدم فى الروايات حول بدء الوحى، التى هى موضع المناقشه:

أنه صدق النبى صلى الله عليه و آله وسلم ، و عرّفه أنه نبى، و وعده النصر، ثم لم ينشب أن توفى.

هذا ما قيل عنه، و لكننا نجد فى مقابل ذلک:

1- ان ابن عساكر يقول: (لا أعرف أحدا قال: إنه اسلم) (3).

2- و ابن الجوزى يقول انه: (آخر من مات فى الفتره، و دفن فى3.

1- راجع تلكم النصوص فى مستدرک الحاكم ح 2 ص 609 و تلخيصه للذهبى هامش نفسه الصفحه، و صححاه على شرط الشيخين، و سيره مغلطاى ص 15 عن الحاكم، و المصنف ج 5 ص 324، و نسب قريش لمصعب الزبيرى ص 207، و البدايه و النهايه ج 3 ص 9، و الروض الأنف ج 1 ص 275، و السيره الحلبيه ج 1 ص 250، و أسد الغابه ج 5 ص 89، و الإصابه ج 3 ص 635، و غير ذلک.
2- شرح بهجه المحافل ج 1 ص 74، و إرشاد السارى ج 1 ص 67.

3- الإصابه ج 3 ص 633.

الحجون، فلم يكن مسلما.) و كذا قال غيره (1).

3- و ابن عباس يقول: (مات على نصرانيته) (2).

4- لقد مات على نصرانيته، مع أنه عاش بعد البعثه عده سنوات، فكيف يدخل الجنه إذن. و يدل على أنه عاش بعد البعثه عده سنوات، ما رواه غير واحد، من أنه كان يمر ببلال و هو يعذب، و نهاهم عنه فلم ينتهوا؛ فقال: و اللّه، لئن قتلتموه لأتخذن قبره حنانا (3) و تعذيب بلال إنما كان بعد الاعلان بالدعوه كما هو معروف.

و كيف يصح قول البعض: إنه مات بعد النبوه و قبل الرساله (4)؟!.

و قد اسلم على و خديجه، وصليا ثانى يوم البعثه، بدعوه منه صلى الله عليه و آله وسلم ، فلماذا بقى ورقه على نصرانيته هذه السنين المتعدده.

هذا، عدا عن أن البعض قد استنتج مما رواه البخارى و غيره، من أن سوره المدثر كانت أول ما نزل عليه صلى الله عليه و آله وسلم ، و بالذات من قوله: (قم فأنذر)- استنتج-: أن البعثه كانت مقترنه بالنبوه (5).

5- قال فى الامتاع و غيره: إن ورقه قد توفى فى السنه الرابعه1.

1- الإصابه ج 3 ص 634، و السيره النبويه لدحلان ج 1 ص 83/ 84 و السيره الحلبيه ج 1 ص 250.
2- السيره الحلبيه ج 1 ص 250، و الإصابه ج 3 ص 634.
3- حليه الأولياء ج 1 ص 148، و نسب قريش لمصعب ص 208، و إرشاد السارى، ج 1 ص 67، و فتح البارى ج 1 ص 26، عن ابن إسحاق، و ج 8 ص 554، و السيره النبويه لدحلان ج 1 ص 84 و 125، و السيره الحلبيه ج 1 ص 252، و الإصابه ج 3 ص 634، و ليراجع نهايه ابن الأثير ج 1 ص 266، و السيره النبويه لابن كثير ج 1 ص 492.
4- السيره النبويه لدحلان ج 1 ص 84 و غيره.
5- السيره الحلبيه ج 1 ص 251.

للمبعث أو بعد تتابع الوحى (1).

6- نقل عن الواقدى: أنه توفى بعد الأمر بالقتال (2)- و كان ذلک بعد الهجره.

و علیه فکیف یکون ورقه فى الجنه علیه ثیاب السندس أو الحریر؟!- و کیف یکون هو فى الجنه، و أبو طالب حامى الاسلام و الدین فى ضحضاح من نار؟!.

و بعد ذلک کله، فاننا لم نفهم سبب تردد النبى صلى الله علیه و آله وسلم فى أن یکون له جنه او جنتان، و لا نفهم أیضا، لماذا قال: و أحسبه لو کان من أهل النار لم یکن علیه ثیاب بیض. أم لعله نسى أنه قد قال: إنه رآه فى الجنه علیه ثیاب السندس أو الحریر؟! أو أن النبى نفسه صلى الله علیه و آله وسلم قد ترقى و تدرج فى التعرف على مالورقه من مقام؟! أم أن ورقه نفسه قد ترقى فى مدارج القرب و الزلفى؟!.

و أخیرا، فاننا لا ندرى بعد ورود تلک الأقوال فیه لماذا لم یحکم المسلمون جمیعا بأنه أول من أسلم، لا على و لا خدیجه، و لا غیرها؟! و لماذا لا یعدونه من جمله الصحابه؟!.

و کیف یقولون: إنه توفى و هو على نصرانیته، ثم کیف یدخل هذا النصرانى الجنه؟!.

کانت تلک بعض الاسئله التى تحتاج إلى جواب. و أنى؟!.

وثمه أسئله أخرى:

هذا غیض من فیض مما یرد على تلک الروایات، و بقى فیها الکثیر7.

1- السیره الحلبیه ج 1 ص 250 و 252 عن کتاب الخمیس عن الصحیحین، و السیره النبویه لدحلان ج 1 ص 84.
2- إرشاد الساری ج 1 ص 67.

من الاسئله، التى تحتاج إلى جواب:

فمثلا: حول ذهاب الملک حينما کشفت خديجه قناعها، و أدخلته صلى الله عليه و آله وسلم بين درعها و جلدها.

يرد سؤال: إنه هل کان الحجاب فى ذلک الوقت مفروضا تلتزم به النساء؟، و کيف؟ و هم يقولون: إن الحجاب قد فرض فى المدينه بعد الهجره؟ و بعد وفاه خديجه (عليها السلام)؟! فکيف إذن أدرکت خديجه أن الملک يذهب إذا کانت بلا قناع؟!.

و أيضا هل الملک مکلف بعدم النظر إلى نساء البشر؟! و هل للملک شهوه کشهوه الانسان لابد من الاحتراس منها؟ و من أين عرفت خديجه کل ذلک.

إلى غير ذلک من الاسئله الکثيره التى لن تجد لها عند هؤلاء الجواب المقنع و المفيد.

و من الطعن فى النبوه أيضا:

و بالمناسبه، فان کل ما تقدم لم يکفهم، بل زادوا عليه قولهم: إنه قد کان للنبى صلى الله عليه و آله وسلم عدو من شياطين الجن يسمى الابيض، کان يأتيه فى صوره جبرئيل، و لعله هو الشيطان الذى أعانه اللّه عليه فاسلم- کما يقولون (1).

و شيطانه هذا الذى اسلم کان يجرى منه مجرى الدم (2).0.

1- السيره الحلبيه ج 1 ص 253، و راجع: إحياء علوم الدين ج 3 ص 171 و فى هامشه عن مسلم، و الغدير ج 11 ص 91 عنه، و المواهب اللدنيه ج 1 ص 202، و مشکل الآثار ج 1 ص 30، و راجع حياه الصحابه ج 2 ص 712 عن مسلم و عن المشکاه ص 280 و راجع: المحجه البيضاء ج 5 ص 302/ 303.
2- مشکل الآثار ج 1 ص 30.

و كان يدعو اللّه بأن يخسأ شيطانه؛ فلما اسلم ذلک الشيطان ترک ذلک (1).

و رووا انه عرض للنبى صلى الله عليه و آله وسلم فى صلاته قال: فأخذت بحلقه فخنقته فانى لأجد برد لسانه على ظهر كفى (2).

و يروون أيضا: أنه صلى الله عليه و آله وسلم قد صلى بهم الفجر، فجعل يهوى بيديه قدامه، و هو فى الصلاه؛ و ذلک لأن الشيطان كان يلقى عليه النار؛ ليفتنه عن الصلاه (3).

و نقول:

و نحن لا نشک فى أن هذا كله من وضع أعداء الدين؛ بهدف فسح المجال أمام التشكيک فى النبوه، و فى الدين الحق. و قد أخذه بعض المسلمين- لربما- بسلامه نيه، و حسن طويه، و بلا تدبر أو تأمل، سامحهم اللّه، و عفا عنهم.

و الغريب فى الأمر: اننا نجدهم فى مقابل ذلک يروون عنه صلى الله عليه و آله وسلم قوله لعمر: (و الذى نفسى بيده ما لقيک الشيطان قط سالكا فجا، إلا سلک فجا غير فجک (4))، و قوله له: (إن الشيطان ليخاف او ليفرق منک يا4.

1- المصدر السابق.
2- مسند أبى يعلى ج 1 ص 506 و 360 و مسند أبى عوانه ج 2 ص 143 و السنن الكبرى ج 2 ص 264 و مسند أحمد ج 2 ص 298 و أخرجه البخارى فى مواضع من صحيحه، و ثمه مصادر كثيره أخرى و راجع الغدير ج 8 ص 95.
3- المصنف ج 2 ص 24، و راجع: البخارى ط سنه 1309 ه ج 1 ص 137، و ج 2 ص 143.
4- صحيح مسلم ج 7 ص 115، و البخارى ط سنه 1309 ج 2 ص 144 و 188، و مسند أحمد ج 1 ص 171 و 182 و 187. و الرياض النضره ج 2 ص 299 و شرح النهج للمعتزلى ج 12 ص 178 و الغدير ج 8 ص 94.

عمر (1)) و قوله: (إن الشيطان لم يلق عمر منذ اسلم إلا خر لوجهه (2)) و عن مجاهد: كنا نتحدث، أو نحدث: ان الشياطين كانت مصفده فى اماره عمر، فلما أصيب بثّت (3).

و صارع عمر الشيطان مرات، و فى كل مره يصرعه عمر (4).

هذا عمر! و هذه حاله الشيطان معه! و ذلک هو نبى الاسلام الاعظم صلى الله عليه و آله وسلم ، و تلک هى حالته مع الشيطان، عند هؤلاء، الذين تروق لهم مثل هذه الترهات، و يتقبلونها من اعداء الاسلام، و المتاجرين به بسذاجه هى إلى الغباء أقرب.

و لربما يكون الدافع لدى بعضهم أن يجد لأبى بكر الذى قال حين أصبح خليفه: إن له شيطانا يعتريه أن يجد له نظيرا، و لكن من مستوى لا يدانى و لا يجارى؛ فوقع اختياره على النبى الاعظم صلى الله عليه و آله وسلم ، ليكون هو ذلک النظير؛ فانا للّه و إنا إليه راجعون.

ما هو الصحيح فى قضيه بدء الوحى:

و الذى نطمئن إليه هو أنه قد أوحى إلى النبى صلى الله عليه و آله وسلم ، و هو فى غار حراء فرجع إلى أهله مستبشرا مسرورا بما اكرمه اللّه به، مطمئنا إلى1.

1- صحيح الترمذى كتاب 46 باب 17 و فيض القدير عنه و عن أحمد و ابن حبان. و راجع تاريخ عمر ص 35. و الغدير ج 8 ص 96.
2- عن فيض القدير ج 2 ص 352 عن الطبرانى و ابن منده، و أبى نعيم، و الإصابه ج 4 ص 326 عنهم.
3- منتخب كنز العمال، هامش مسند أحمد ج 4 ص 385/ 386، عن ابن عساكر و حياه الصحابه ج 3 ص 647 عن المنتخب.
4- حياه الصحابه ج 3 ص 646 عن مجمع الزوائد ج 7 ص 71 عن الطبرانى و صحح بعض طرقه، و عن أبى نعيم فى الدلائل ص 131.

المهمه التى أوكلت إليه- كما يرويه ابن اسحاق، و اشارت إليه الروايه الأخيره التى تقدمت عند ذكر نصوص الروايات- و ان كان قد زيد فيها مالا يصح- فشاركه أهله فى السرور، و اسلموا، و قد روى هذا المعنى عن أهل البيت (عليهم السلام).

فعن زراره أنه سال الامام الصادق (عليه السلام): كيف لم يخف رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم فيما يأتيه من قبل اللّه: أن يكون مما ينزع به الشيطان؟.

فقال: إن اللّه إذا اتخذ عبدا رسولا، أنزل عليه السكينه و الوقار، فكان الذى يأتيه من قبل اللّه، مثل الذى يراه بعينه (1).

و سئل (عليه السلام): كيف علمت الرسل انها رسل؟ قال: كشف عنهم الغطاء (2).

و قال الطبرسى: (إن اللّه لا يوحى إلى رسوله إلا بالبراهين النيره، و الآيات البينه، الداله على ان ما يوحى إليه إنما هو من اللّه تعالى؛ فلا يحتاج إلى شى ء سواها، و لا يفزع و لا يفزع، و لا يفرق (3)).

و قال عياض: (لا يصح ان يتصور له الشيطان فى صوره الملک، و يلبّس عليه الامر، لا فى أول الرساله و لا بعدها. و الاعتماد فى ذلک على دليل المعجزه. بل لا يشک النبى ان ما ياتيه من اللّه هو الملک، و رسوله الحقيقى، إما بعلم ضرورى يخلقه اللّه له، أو ببرهان جلى يظهره اللّه لديه؛ لتتم كلمه ربک صدقا و عدلا، لا مبدل لكلمات اللّه (4)).2.

1- التمهيد فى علوم القرآن ج 1 ص 49 عن العياشى ج 2 ص 201، و البحار ج 18 ص 262.
2- التمهيد ج 1 ص 50، و البحار ج 11 ص 56.
3- مجمع البيان ج 10 ص 384، و التمهيد ج 1 ص 50 عنه.
4- التمهيد ج 1 ص 50 عن رساله الشفاء ص 112.

لماذا الكذب و الافتعال إذن؟!

و بعد كل ما تقدم؛ فإننا نرى أن افتعال تلك الاكاذيب يعود لأسباب، أهمها:

1- إن حديث الوحى هو من أهم الأمور التى يعتمد عليها الاعتقاد بحقائق الدين و تعاليمه. و له أهميه قصوى فى اقناع الانسان بضروره الاعتماد فى التشريع، و السلوک، و الاعتقاد، و الاخبارات الغيبيه، و كل المعارف و المفاهيم عن الكون، و عن الحياه، على الرسل و الانبياء، و الائمه و الاوصياء، و له أهميه كبرى فى اقناعه بعصمه ذلک الرسول، و صحه كل مواقفه و سلوكه، و اقواله و افعاله.

فاذا أمكن أن يتطرق الشک فى نفسه الى الوحى، على اعتبار أنه إذا لم يستطع النبى صلى الله عليه و آله وسلم نفسه أن يفرق بين الملاک و الشيطان، و الوسوسه، و الحقيقه، و هو يعاين و يشاهد؛ فان غيره و هو لا يتيسر له الاطلاع الحسى على شى ء من ذلک يكون أولى بالشک، و عدم الاعتماد.

و قد نقل الحجه البلاغى ان بعض أهل الكتاب قد نقض على المسلمين بذلک فقال: (الشيطان قرين محمد، و تشبث بنقله عن بعض المفسرين قولهم: إنه كان لرسول اللّه عدو من شياطين الجن، كان يأتيه بصوره جبرئيل. و انه يسمى الابيض (1)).

و بعد هذا، فاننا نستطيع أن نعرف سر محاولات أعداء الاسلام الدائبه للتشكيک فى اتصال نبينا الاعظم صلى الله عليه و آله وسلم باللّه تعالى، فافتعلوا الكثير مما رأوه مناسبا لذلک، من الوقائع و الأحداث التى رافقت الوحى فى مراحله الأولى، أو حرفوه و حوروه حسب أهوائهم، و خططهم، و مذاهبهم،5.

1- الهدى إلى دين المصطفى ج 1 ص 169 عن كتاب الهدايه فى الرد على إظهار الحق، و السيف الحميدى ج 3 ص 5.

على اعتبار أنها فتره بعيده نسبيا عن متناول الايدى عاده، فلما فشلوا فى ذلک حاولوا ادعاء أن ما جاء به نبينا صلى الله عليه و آله وسلم كان نتيجه عبقريته و نبوغه، و عمق تفكيره، و معرفته بطرق استغلال الظروف، و انتهاز الفرص. و ليس لأجل اتصاله بالمبدأ الاعلى تبارک و تعالى.

و هكذا، فاننا نستطيع أن نتهم يد أهل الكتاب فى موضوع الاحداث غير المعقوله، التى تنسب زورا و بهتانا الى مقام نبينا الاعظم صلى الله عليه و آله وسلم حين بعثته، و لا أقل من تشجيعهم لمثل هذه الترهات.

2- كما أنه لابد أن يحتاج نبينا صلى الله عليه و آله وسلم إليهم لإمضاء صک نبوته، و تصديق وحيه، و يكون مدينا لهم، و على كل مسلم أن يعترف بفضلهم، و بعمق وسعه اطلاعهم، و معرفتهم بأمور لا يمكن أن تعرف إلا من قبلهم؛ فكان اختراع هذا الدور لورقه، و عداس، و بحيرا، و ناصح، و نسطور، و كلهم من أهل الكتاب!!.

3- و اما سؤال: لماذا اختص نبينا الاعظم صلى الله عليه و آله وسلم بكل تلک المصاعب و الأهوال، و بهذه المعامله السيئه من جبرائيل، حتى لقد صرح البعض: بأنه لم ينقل عن أىّ من الانبياء السابقين: أنه تعرض لمثل ذلک عند ابتداء الوحى، حتى عدّ ذلک من خصائص نبينا صلى الله عليه و آله وسلم (1).

إن هذا السؤال لا يبقى له وقع، إذا لا حظنا: أن بعض الامور و الأحوال غير المعقوله، قد تسربت إلى بعض المسلمين من قبل أهل الكتاب، حتى أصبحت جزءا من التاريخ، و الفقه، و العقائد و الخ. و ذلک من أجل أن يكون لنبى المسلمين نفس الحالات التى تذكر لغيره من الانبياء فى كتب اهل الكتاب.2.

1- بهجه المحافل ج 1 ص 62، و فتح البارى ج 8 ص 552، و إرشاد السارى ج 1 ص 63، و السيره الحلبيه ج 1 ص 242.

و إذن، فليس غريبا أن نجد ملامح هذه القصه موجوده فى العهدين، فقد جاء فى الكتابين الذين يطلق عليهما اسما التوراه و الانجيل: أن دانيال خاف و خر على وجهه، و زكريا اضطرب، و وقع عليه الخوف، و يوحنا سقط فى رؤياه كميت، و عيسى تغيرت هيئه وجهه، و بطرس حصلت له غيبوبه و اغماء، و هكذا الحال بالنسبه ليعقوب و ابراهيم و غيرهم (1).

و لكن ذلک لا يعنى: أننا ننكر ثقل الوحى عليه صلى الله عليه و آله وسلم : فان ذلک بحث آخر (2). و لكننا ننكر اضطرابه و خوفه صلى الله عليه و آله وسلم ، حتى أراد أن يتردى من شواهق الجبال، و خاف على نفسه الجنون. و ننكر ما فعله به جبرئيل، حسب ما ذكرته الروايات المتقدمه، فان الظاهر ان ذلک قد تسرب من قبل أهل الكتاب إلى المحدثين الاتقياء. أو فقل: الاغبياء ! الاشقياء، كما هو الحال فى كثير من نظائر المقام، حسبما يظهر للناقد البصير، و المتتبع الخبير.

4- انک تجد فى العهدين أن الشيطان يتصرف بالانبياء و غيرهم حتى بابن الاله بزعمهم فيقولون: إن الروح أصعد المسيح إلى البريه أربعين يوما ليجرب من قبل ابليس، فأصعده الشيطان الى جبل عال، و أراه جميع ممالک المسكونه فى لحظه من الزمان، و قال له: أعطيک هذا السلطان كله و اسجد لى إلخ (3).

و قال فى موضع آخر: و لما اكمل ابليس كل تجربه (أى معه.

1- راجع فى ذلک كله: الهدى إلى دين المصطفى، للحجه البلاغى ج 1 ص 14.
2- و قوله تعالى: (إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْکَ قَوْلًا ثَقِيلًا) يرى المحقق السيد مهدى الروحانى أن معناه: أن مهمه دعوه الناس إلى الحق، و ترک عاداتهم و ما هم عليه حتى يزكيهم، من أثقل الأمور و أصعبها.
3- إنجيل متى الإصحاح 4 الفقره 3- 13 و الهدى إلى دين المصطفى ج 1 ص 170 عنه.

المسيح) فارقه إلى حين (1).

و يقول بولس الرسول: و لئلا أرتفع بفرط الاعلانات اعطيت شوكه فى الجسد ملاک الشيطان ليلطمنى؛ لئلا أرتفع؛ من جهه هذا تضرعت إلى الرب ثلاث مرات أن يفارقنى (2).

و فى موضع آخر: لذلک أردنا أن نأتى أنا و بولس مره و مرتين، و إنما عاقنا الشيطان (3).

كما أن الانجيل يذكر: أن المسيح قد عبر عن بطرس بأنه شيطان (4).

إلى غير ذلک مما لا مجال لتتبعه (5).

5- و عدا عن ذلک كله. فاننا لا نستبعد: أن يكون الهدف من جعل تلک الترهات، هو الحط من كرامه النبى الاعظم صلى الله عليه و آله وسلم ، و الطعن فى قدسيته و مقامه فى نفوس الناس، و تصويره لهم على أنه رجل عادى مبتذل، و لا أدل على ذلک من إحتياجه الى أبسط الناس حتى النساء ليرشده إلى طريق الهدى، و يدله على الحق؛ مما يدل على أنه قاصر محتاج باستمرار الى مساعده الآخرين؛ الذين هم أحسن تصرفا و أكثر تعقلا منه.

و قد أشرنا فى تمهيد الكتاب إلى بعض ما يمكن أن يقال فى ذلک،3.

1- الهدى إلى دين المصطفى ج 1 ص 171 عن إنجيل لوقا 13.
2- كورنتوش الثانيه الإصحاح 12 فقره 7- 9.
3- تسالونيكى الأولى الإصحاح الثانى فقره 18. و الهدى إلى دين المصطفى ج 1 ص 172 عنه.
4- إنجيل متى الإصحاح 16 فقره 23، و الهدى إلى دين المصطفى ج 1 ص 171.
5- راجع: الهدى إلى دين المصطفى ج 1 ص 169- 173.

و قلنا: إن الظاهر هو أن تلک خطه السياسيين، الذين يريدون أن يرغموا أنوف بنى هاشم، و يبزّونهم سياسيا، من أمثال: معاويه الذى أقسم على أن يدفن ذكر النبى صلى الله عليه و آله وسلم ، و مع معاويه سائر الامويين و اعوانهم.

و من أمثال عبد اللّه بن الزبير، الذى قطع الصلاه على النبى صلى الله عليه و آله وسلم مده طويله؛ لأن له أهيل سوء إذا ذكر شمخت آنافهم (1).

6- لقد كان الزبيريون يواجهون و ينافسون الامويين، و يعادون الهاشميين، و يحسدونهم على مالهم من شرف و سؤدد.

و اذا لا حظنا نصوص الروايه المتقدمه لقضيه ورقه بن نوفل، فإن عمده رواتها هم من الزبيريين و حزبهم،

كعروه بن الزبير، الذى اصطنعه معاويه ليضع أخبارا قبيحه فى على.

و كإسماعيل بن حكيم- مولى آل الزبير.

و كذلک وهب بن كيسان.

ثم أم المؤمنين عائشه خاله عبد اللّه بن الزبير.

ثم لا حظنا فى المقابل: أن خديجه هى بنت خويلد بن أسد، و ورقه هو ابن نوفل بن أسد، و الزبير هو ابن العوام بن خويلد بن أسد. فتكون النسبه بين الجميع واضحه المعالم (2)- إذا لا حظنا ذلک كله- فإننا نستطيع أن نعرف: أنه كان لابد و أن يكون لأقارب عبد اللّه بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد، و من ثم للزبيريين بشكل عام، دور حاسم فى انبعاث الإسلام، إذ لولاهم لقتل النبى صلى الله عليه و آله وسلم نفسه، أو على الأقل لمه.

1- تقدمت مصادر ذلک حين الكلام على حلف الفضول فراجع.
2- لكن من الواضح: أن كون ورقه هو ابن عم خديجه؛ يبعد كون ورقه شيخا كبيرا، قد وقع حاجباه على عينيه، كما تزعم النصوص المتقدمه.

يستطع أن يكتشف نبوه نفسه.

و إذا كان للزبيريّين هذا التاريخ المجيد، فليس للأمويين أن يفخروا عليهم بخلافه عثمان، و ليس للهاشميين أن يفخروا بمواقف أبى طالب، و ولده على أمير المؤمنين (عليه السلام).

و إذن، فلا بد من دعوى: أن ورقه قد تنصر، و أنه كان يكتب من الإنجيل بالعبرانيه ماشاء، إلى آخر ما قيل و يقال فى ذلک.

النتيجه:

و هكذا فإن النتيجه تكون هى: أن الأمويين يستفيدون من افتعال القصه على هذا النحو، و يحققون أعز أهدافهم و أغلاها، كما أن الزبيريين أيضا يستفيدون منها، أما أهل الكتاب فيكون لهم منها حصه الأسد.

و بذلک ينعقد الإجماع من قبل مسلمه أهل الكتاب، الذين لم يسلموا و لكنهم إستسلموا، إلى جانب منافقى هذه الأمه و طلقائها، و طلاب الدنيا، فأدخلوا فى الإسلام من إسرائيليات أولئک، و ترهات هؤلاء كل غريبه؛ و نسبوا إلى نبى الإسلام كل عجيبه، بعد أن نجحوا فى إبعاد أهل البيت (عليهم السلام) عن موقعهم الذى جعله اللّه سبحانه لهم، ليحتل القصاصون و أذناب الحكام محلهم، و كانت هذه الجريمه النكراء حينما التقت المصالح و الأهواء، و اجتمعت على هذا الأمر، فلماذا لا يدلى كل بدلوه؟ أو كيف لا تشجع أمثال هذه الترهات و الأباطيل.

عصمنا اللّه من الزلل، فى القول و العمل.

الفصل الثالث: الدعوه فی مراحلها الاولی

اشاره

أول من أسلم:

إن أول من أسلم، و اتبع و صدق، و آزر و ناصر، هو أمير المؤمنين، و إمام المتقين، على بن أبى طالب صلوات اللّه و سلامه عليه و على أبنائه الأئمه الطاهرين.

و أورد العلامه الأمينى فى كتابه القيم (1): أقولا عن العشرات من كبار الصحابه، و التابعين، و غيرهم من الأعلام، و عن العشرات من المصادر غير الشيعيه، تؤيد و تؤكد على ان أمير المؤمنين (عليه السلام) هو أول الأمه اسلاما.

و من هؤلاء الأعلام: 1- على (عليه السلام) نفسه، 2- الإمام الحسن (عليه السلام)، 3- الإمام الباقر (عليه السلام)، 4- عمر بن الخطاب، 5- سلمان الفارسى، 6- أنس بن مالک، 7- إبن عباس، 8- أبوذر، 9- المقداد بن عمرو، 10- خباب بن الارت، 11- جابر بن عبد اللّه الأنصارى، 12- أبو سعيد الخدرى، 13- حذيفه بن اليمان،9.

1- راجع: الغدير ج 3 ص 95 و 96 و 99 و 224- 236 و ج 10 ص 156 و 158 و 164 و 168 و 290 و 322 و ج 9 ص 115 و 122 و راجع دلائل الصدق، و الأوائل للطبرانى ص 78/ 79.

14- عبد اللّه بن مسعود، 15- أبو أيوب الأنصارى، 16- خزيمه بن ثابت (ذو الشهادتين)، 17- عمرو بن العاص، 18- سعد بن أبى و قاص، 19- زيد بن أرقم، 20- محمد بن أبى بكر، 21- جرير بن عبد اللّه البجلى، 22- بريده الأسلمى، 23- عفيف الكندى، 24- أبو رافع، 25- أبو مرازم، 26- هاشم المرقال، 27- عبد اللّه بن حجل، 28- ابو عمره (بشير بن محصن)، 29- عبد اللّه بن خباب بن الارت، 30- عبد اللّه بن بريده، 31- مالک الأشتر، 32- عدى بن حاتم، 33- محمد بن الحنفيه، 34- طارق بن شهاب الأحمسى، 35- عبد اللّه بن هاشم المرقال، 36- عمرو بن الحمق، 37- سعيد بن قيس الهمدانى، 38- عبد اللّه بن أبى سفيان، 39- كعب بن زهير، 40- ربيعه بن الحرث بن عبد المطلب، 41- الفضل بن أبى لهب، 42- أبو الأسود الدؤلى، 43- جندب بن زهير، 44- مالک بن عباده، 45- زفر بن يزيد بن حذيفه الأسدى، 46- النجاشى بن الحارث بن كعب، 47- عبد اللّه بن حكيم، 48- عبد الرحمن بن حنبل، 49- عامر الشعبى، 50- الحسن البصرى، 51- قتامه، 52- إبن شهاب الزهرى، 53- محمد بن المكندر، 54- أبو حازم سلمه بن دينار، 55- ربيعه بن عبد الرحمن، 56- محمد بن السائب الكلبى، 57- جنيد بن عبد الرحمن، 58- محمد بن إسحاق، 59- الوليد بن جابر، و زاد العسقلانى: 60- عبد اللّه بن فضاله المزنى، 61- عمر بن مره الجهنى (1).

بعض ما جاء فى سبق على الى الإسلام:

هذا كله، عدا عن الكثير من الروايات الوارده عن النبى الأعظم (صلى اللّه عليه و آله و سلم)، و كلمات أمير المؤمنين نفسه، و عدا8.

1- الإصابه ج 2 ص 357/ 358.

عن كلمات الصحابه و التابعين و أشعارهم، بل لقد ادعى البعض الإجماع عليه (1).

و لعل حصر ذلک متعذر على أى باحث و متتبع، و لذا فلا محيص لنا عن الإكتفاء بأمثله قصيره لتكون عنوانا و إشاره لغيرها من الكثير الطيب الذى لم نذكره. و نحيل القارى ء الى ما كتبه العلامه الأمينى (2) فليراجعه إن أراد.

فإنهم يقولون:

لقد بعث النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) يوم الإثنين، و أسلم على (عليه السلام) يوم الثلاثاء (3).

و مما ورد عن النبى الأعظم (صلى اللّه عليه و آله و سلم) بسند صحيح قوله: أولكم ورودا على الحوض، أولكم إسلاما على بن أبى طالب (4).

و عنه (صلى اللّه عليه و آله و سلم): إنه لأول أصحابى إسلاما، أو أقدم أمتى سلما (5).ن،

1- راجع: الصواعق المحرقه الفصل الأول، الباب التاسع، و معرفه علوم الحديث للحاكم ص 22.
2- راجع: الغدير ج 3 ص 220- 243 و ج 10 ص 158- 162.
3- راجع: الأوائل ج 1 ص 195.
4- مستدرک الحاكم ج 3 ص 136 و صححه، و تاريخ بغداد للخطيب ج 2 ص 81، و الاستيعاب هامش الإصابه ج 3 ص 28 و شرح النهج للمعتزلى و السيره الحلبيه، و السيره النبويه لدحلان، و مناقب الخوارزمى، و الغدير ج 3 ص 220 عنهم فراجعه، و الآحاد و المثانى، مخطوط فى مكتبه كوپر لى رقم 235.
5- الغدير ج 3 ص 95/ 96 عن: مسند أحمد ج 5/ 26 و الاستيعاب ج 3 ص 36، و الرياض النضره، و مجمع الزوائد، و المرقاه، و كنز العمال، و السيره النبويه لدحلان،

و عنه أنه أخذ بيد على (عليه السلام)، فقال: هذا أول من آمن بى، و هذا أول من يصافحنى يوم القيامه، و هذا الصديق الأكبر (1).

و عنه (صلى اللّه عليه و آله و سلم): هذا أول من آمن بى، و صدقنى، و صلى معى (2).

و عنه (صلى اللّه عليه و آله و سلم): إن أول من صلى معى على (3).

تصريحات أمير المؤمنين «عليه السلام» فى ذلک:

و على (4) نفسه يصرح فى كثير من المناسبات بذلک؛ فيقول عن نفسه: إنه لم يسبقه أحد فى الصلاه مع رسول اللّه، و أنه أول من أسلم مع رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) و أنه الصديق الأكبر (عليه السلام)، و أنه لا يعرف أحدا فى هذه الأمه عبد اللّه قبله غير النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم). و أنه صلى قبل أن يصلى الناس سبع سنين (5).

و لعل المراد التعبد مع النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) قبل البعثه بسنتين، أو خمس سنين؛ حيث بدأت إرهاصات النبوه، ثم يضم إليها.

1- الغدير ج 2 ص 313 عن الطبرانى و البيهقى، و العدنى، و مجمع الزوائد و كفايه الطالب و إكمال كنز العمال و لسوف يأتى فى حديث الغار حين الكلام عن تلقيب أبى بكر بالصديق المزيد من المصادر لهذا الحديث، و فرائد السمطين ج 1 ص 39.
2- شرح النهج للمعتزلى ج 13 ص 225.
3- الغدير ج 3 ص 220 عن فرائد السمطين باب 47 بأربعه طرق.
4- الغدير ج 2 ص 313 عن الطبرانى و البيهقى، و العدنى، و مجمع الزوائد و كفايه الطالب و إكمال كنز العمال و لسوف يأتى فى حديث الغار حين الكلام عن تلقيب أبى بكر بالصديق المزيد من المصادر لهذا الحديث، و فرائد السمطين ج 1 ص 39.
5- مصادر ذلک ستأتى بعد الهامش التالى.

ثلاث أو خمس سنين فتره الدعوه الإختياريه غير المفروضه بعد البعثه.

أو لعله عبد اللّه حقا مع رسول اللّه قبل البعثه سبع سنين إذا كان قد أسلم (ع) و هو إبن إثنى عشر سنه أو حتى عشر سنين. حيث كان الرسول (صلى اللّه عليه و آله و سلم) يتعبد قبل البعثه و كان (صلى اللّه عليه و آله و سلم) على دين الحنيفيه، فكان على (عليه السلام) يعبد اللّه معه (صلى اللّه عليه و آله و سلم).

إلّا أن يكون الصحيح فى الروايه هو ما ذكره إبن بطريق أنه قال:

صلت الملائكه علىّ و على على سبع سنين (1).

و مهما يكن من أمر فإن الكلمات الداله على هذا الأمر كثيره، كما أنه، (عليه السلام) قد كتب هو نفسه بهذا الأمر الى معاويه، و ردده فى كلماته الكثيره المتضافره (2).

دليل آخر:

و إن إحتجاجه (عليه السلام) بأنه أول من أسلم، و احتجاج أصحابهع.

1- كشف الغمه للإربلى ج 1 ص 334.
2- راجع هذه النصوص كلها عن أمير المؤمنين فى الغدير ج 3 ص 213 و 221 و 222 و ج 10 ص 158- 164 و ج 2 ص 25- 30 و 314 عن: شرح النهج ج 1 ص 503 و 404 و 283 و ج 2 ص 102 و أبى داود بإسناد صحيح، و تاريخ بغداد للخطيب ج 4 ص 224، و مجمع الزوائد ج 9 ص 102 عن أبى يعلى، و أحمد، و البزار و الطبرانى فى الأوسط، و فرائد السمطين باب 48، و الأوائل ج 1 ص 195 و وقعه صفين لنصر بن مزاحم ص 355 و 360 و 132 و 100 و 168 و جمهره الخطب ج 1 ص 178 و 542 و 428 و جمهره الرسائل ج 1 ص 542، و مروج الذهب ج 2 ص 59، و تذكره سبط ابن الجوزى ص 115، و مطالب السؤل ص 11، و المحاسن و المساوى ج 1 ص 36 و تاريخ القرمانى هامش الكامل ج 1 ص 218. و ثمه مصادر أخرى فى الغدير ج 10 ص 322 فراجع.

من الصحابه و التابعين بهذه الكثره العجيبه على خصومهم، فى صفين و غيرها و اهتمامهم الواضح بهذا الأمر ليدل على ذلک دلاله واضحه.

و لم نجد أحدا من أعدائه (عليه السلام) حاول إنكار ذلک، أو التشكيک فيه، أو طرح إسم رجل آخر على أنه هو صاحب هذه الفضيله دونه، رغم توفر الدواعى لذلک، و رغم أن الطرف المقابل لا يتورع حتى عن الإختلاق و الكذب على الرسول الأعظم (صلى اللّه عليه و آله و سلم)، بل على اللّه سبحانه و تعالى. فلو أنهم عرفوا: أن كذبتهم هذه تجوز على أحد لكانوا لها من المبادرين. و لكن التسالم على هذا الأمر كان بحيث لا يمكنهم معه التوسل بأيه حيله، فكل ذلک يدل على أن ذلک قد كان أمرا مسلما به و مجمعا عليه، و لا يمكن إنكاره لأحد.

و كشاهد على هذا التسالم نذكر هنا حادثه واحده فقط، جرت لسعد بن أبى و قاص، الذى كان منحرفا عن على (عليه السلام)،- كما سيأتى فى معركه أحد إن شاء اللّه تعالى- و نترک ما عداها و هو كثير جدا.

و هذه الحادثه هى أنه:

سمع رجلا يشتم عليا، فوقف عليه و قرره بقوله: يا هذا، علاماتشتم على بن أبى طالب؟ ألم يكن أول من أسلم؟ ألم يكن أول من صلى مع رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم)؟ ألم يكن أعلم الناس؟ إلخ (1).

كما أن المقداد كان يتعجب من قريش لدفعها هذا الأمر عن أول المؤمنين إسلاما، يعنى عليا (2).0.

1- مستدرک الحاكم ج 3 ص 500، و صححه هو و الذهبى فى تلخيصه هامش نفس الصفحه، و حياه الصحابه ج 2 ص 514/ 515. الصحيح من السيره النبى الأعظم، مرتضى العاملى ج 2 322 دليل آخر: ..... ص : 321
2- الغدير ج 9 ص 115 عن اليعقوبى ج 2 ص 140.

خاتمه المطاف:

و أظن أن ما ذكرناه كاف و واف فى هذا المجال، و من أراد المزيد فعليه بالمراجعه إلى الكتب المعده لذلک.

و بعد هذا، فلا يصغى لقول النواصب و الحاقدين، الذين يهتمون فى طمس فضائله (عليه السلام) بكل وسيله، و لو عن طريق الدجل و التزوير، و منهم إبن كثير، الذى قال: (و قد ورد فى أنه أول من أسلم أحاديث كثيره، لا يصح منها شى ء (1)).

لايا إبن كثير: لقد تجنيت على الحقيقه و على التاريخ كل التجنى، و لم تستطع أن تكتم ما يعتلج فى صدرک من إحن- فجرّک ذلک إلى المكابره، و إلى إنكار ما يكاد يلحق بالضروريات. فإن الروايات الصحيحه و الصريحه الداله على هذا الامر كثيره و كثيره جدا، كما يعلم بالمراجعه (2).

القول بأن خديجه أول من أسلم:

و نجد فى مقابل ذلک قولا آخر مفاده: أن خديجه كانت هى السباقه إلى الإسلام و انها أول مخلوق آمن به. بل لقد ادعى البعض الإجماع على هذا القول (3).

و لكنه قول مردود، لأن العديد من الروايات عن النبى (صلى اللّه0.

1- البدايه و النهايه ج 7 ص 335.
2- راجع الغدير ج 3 و إحقاق الحق، قسم الملحقات، و غير ذلک.
3- راجع: السيره الحلبيه ج 1 ص 267، و فى تهذيب الأسماء و اللغات ج 2 ص 182 نقل عن الثعلبى الاتفاق عليه. و قال ابن الأثير: إنها أول خلق اللّه إسلاما بإجماع المسلمين. راجع السيره النبويه لدحلان ج 1 ص 90. و إسعاف الراغبين بهامش نور الأبصار ص 148 و الأوائل للطبرانى ص 80.

عليه و آله و سلم)، و عن على (عليه السلام)، و عن الصحابه و التابعين تعبر بأن عليا أول من صلى، أو أول من آمن، أو أول الأمه أو الناس إسلاما (1)، و لا يمكن أن يكون المقصود بالأمه أو الناس خصوص الرجال بناء على هذا القول، و لا خصوص الصبيان، بناء على قول آخر يأتى.

أبو بكر، و سبقه إلى الإسلام:

و بعد كل ما تقدم نعرف: أن ادعاء سبق غير أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى الإسلام قد جاء متأخرا عن عهد الخلفاء الأربعه، و وضع بعد وفاه أمير المؤمنين (عليه السلام)، و لربما يكون قد حصل ذلک حينما كتب معاويه إلى الأقطار يأمرهم أن لا يدعوا فضيله لعلى إلا و يأتوه بمثلها لغيره من الصحابه (2).

و من هنا، فإننا نعتقد: بأن القول بأوليه إسلام أبى بكر، و المروى عن: 1- إبن عباس 2- الشعبى 3- أبى ذر 4- عمرو بن عبسه 5- ابراهيم النخعى 6- حسان بن ثابت، الذى يروى عنه قوله:

إذا تذكرت شجوا من أخى ثقهفاذكر أخاک أبا بكر و ما فعلا

خير البريه أتقاها و أعدلهاإلا النبى و أوفاها بما حصلا

و الثانى الصادق المحمود مشهده و أول الناس منهم صدق الرسلا

عاش حميدا، لأمر اللّه متبعابهدى صاحبه الماضى و ما انتقلا (3) ا.

1- راجع: السيره النبويه لدحلان ج 1 ص 91، و السيره الحلبيه ج 1 ص 268 و 275 و مناقب المغازلى، و مناقب الخوارزمى، ص 18- 20 و الغدير ج 3 ص 220- 236 و ج 10 ص 168 و 290 و 322 و ج 9 ص 392 تجد الكثير من التصريحات بذلک و كذا فى تاريخ بغداد ج 4 ص 233 و حليه الأولياء ج 1 ص 66 و تهذيب تاريخ دمشق ج 3 ص 407.
2- راجع: النصائح الكافيه لمن يتولى معاويه من 72 حتى ص 74.
3- ديوان حسان ص 29 ط أوروبا.

نعم، إننا نعتقد: أن ذلک کله موضوع فی وقت متأخر، تزلفا للأمويين، کما أن شعر حسان هذا لا يبعد أن يکون منحولا، إذ لا يمکن أن يبادر إلی مخالفه ما کان متسالما عليه بين الأمه، و لا سيما الصحابه منهم.

کما أننا نلاحظ: أن البيتين الأخيرين، فيهما حشو ظاهر، و ليس لهما صياغه منسجمه (1).

و لربما يقال: إنهما بعيدان عن نفس حسان، و عن شاعريته، و عن سبکه، و طريقته

و مما يدل علی عدم صحه ذلک بالإضافه الی ما تقدم:

أولا: إنه قد تقدم: أن إبن عباس، و الشعبی، و أبا ذر الذين روی عنهم القول بأوليه أبی بکر هم أنفسهم يقولون: إن أمير المؤمنين (عليه السلام) هو أول من أسلم. و يقول الإسکافی (2): إن حديثهم فی علی أقوی سندا، و أشهر من الحديث الآخر المنسوب إليهم فی أبی بکر.

و أما روايه أبی ذر، و عمر بن عبسه؛ فهی مضطربه، لأنها تذکر: أن أبا ذر، و عمرو بن عبسه کلاهما ربع الإسلام، و أن بلالا أسلم قبل أبی بکر، و لا تذکر عليا (عليه السلام)، و لا خديجه، و هذا يعنی: أن بلالا قد أسلم قبل خديجه و علی؛ مع أن العکس هو الصحيح، فإذا کانت خديجه رحمها اللّه و علی (عليه السلام) و بلال، و عمرو بن عبسه قد أسلموا أولا؛ فأين يکون إسلام أبی بکر بعد هذا؟!

و ثانيا: إن عائشه نفسها تعترف بأن أباها کان رابعا فی الإسلام، و قده.

1- فليلاحظ مثلا: کلمه منهم فی البيت الثالث. و قوله فی الرابع: (متبعا بهدی) و قوله: و ما انتقلا إلی غير ذلک من وجوه الضعف فی السبک و الصياغه.
2- راجع، الغدير، و شرح النهج للمعتزلی ج 13، و آخر کتاب العثمانيه.

سبقه إلى ذلک خديجه، و زيد بن حارثه، و على (عليه السلام) (1).

و ثالثا: قد تقدم: أننا لم نجد أحدا يعترض على الصحابه، و لا على التابعين، و لا على أمير المؤمنين (عليه السلام) فى إحتجاجاتهم المتعدده على معاويه و غيره بأن عليا هو أول الأمه إسلاما- لم نجد أحدا يعترض، و يقول: بل أبو بكر هو الأول.

و ما روى من ذلک من أن أبا بكر قد احتج به، فقد فنّده العلامه الأمينى فى الغدير و اثبت أنه غير صحيح فليراجع (2).

فإلى متى يدخرون هذه الحجه؟! و لماذا يدخرونها؟!

بل إننا لم نجد أبا بكر، و لا أحدا من أنصاره و محبيه يحتج له بأنه أول من أسلم، رغم احتياجاتهم الشديده إلى ذلک، و لا سيما فى السقيفه؛ حيث لم يجدوا ما يحتجون به من فضائله إلا كونه كبير السن، و صاحب رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) فى الغار- كما احتج به صاحبه عمر، و غيره ثمه (3)- و ستأتى الإشاره إلى إحتجاجاتهم تلک حين الحديث على قضيه الغار إن شاء اللّه تعالى.

هذا كله، عدا عن تصريح البعض بأن أبا بكر كان رابع أو خامس من أسلم (4).6.

1- راجع: الأوائل ج 1 ص 202 و راجع ص 206.
2- راجع: الغدير ج 7 ص 91- 94 و 224 فما بعدها.
3- مستدرک الحاكم ج 3 ص 66، و سنن البيهقى ج 8 ص 153 و الغدير ج 5 ص 369 و ج 7 ص 92 و ج 10 ص 7 و 13 عن عدد كبير من المصادر، و كنز العمال ج 8 ص 139 عن ابن أبى شيبه، و عن الكنز أيضا ج 3 ص 140. و لسوف نذكر طائفه من المصادر حين الكلام عن قضيه الغار.
4- راجع: سير اعلام النبلاء ج 1 ص 216.

و عدا عن قول أمير المؤمنين على (عليه السلام): أنا الصديق الأكبر، أسلمت قبل أن يسلم أبو بكر (1).

و عدا عن الروايه التى تقول: إن العباس قد أخبر عفيفا بأنه لم يسلم سوى خديجه و على، فلو أن عفيفا أسلم حينئذ كان فى الإسلام ثانيا (2).

و رابعا: إننا نقول: إن إسلام أبى بكر قد تأخر عن البعثه عده سنوات و يدل على ذلک- و نحن نلزمهم بما ألزموا به أنفسهم- الأمور التاليه:

1- ما قالوه من أنه لما أسلم سماه النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) صديقا (3) مع أن تسميته هذه- كما يدّعون- إنما كانت بعد الإسراء حين صدقه أبو بكر و كذبته قريش (4).

أو حين الهجره فى الغار (و كلاهما لا يصح أيضا كما سيأتى فى حديث الغار إن شاء اللّه تعالى). و هم يدّعون: أن الإسراء كان بعد البعثه بإثنتى عشره سنه و إن كنا نحن نعتقد بخلاف ذلک. و أنه كان فى السنه الثانيه أو الثالثه، كما سيأتى فى الفصل الآتى.

2- يروى البعض: أنه أسلم و آمن بعد الإسراء و المعراج فسمى يومئذ ب (الصديق) (5) مع قولهم: أن الإسراء و المعراج كان قبل الهجره بقليل- كما سنرى-ر.

1- ستأتى مصادر ذلک فى أواخر الجزء الثانى من هذا الكتاب.
2- راجع: لسان الميزان ج 1 ص 395 و غير ذلک.
3- السيره الحلبيه ج 1 ص 273، و السيره النبويه لدحلان ج 1 ص 8.
4- السيره الحلبيه ج 1 ص 273.
5- مجمع الزوائد ج 1 ص 76 عن الطبرانى فى الكبير.

3- لقد روى الطبرى- بسند صحيح كما يقول الأمينى (1)- عن محمد بن سعيد، قال: قلت لأبى: أكان أبو بكر أولكم إسلاما؟ فقال:

لا، و لقد أسلم قبله أكثر من خمسين (2).

و هذا يعنى: أنه قد أسلم بعد انتهاء الفتره الإختياريه للدعوه، و بعد خروجه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) من دار الأرقم، لأنهم قد خرجوا بعد أن تكاملوا أربعين رجلا، كما يقولون. و سيأتى ذلک إن شاء اللّه تعالى.

حين الكلام حول إسلام عمر بن الخطاب.

4- و لسوف نذكر إن شاء اللّه فى أواخر حديث الغار: أن أبا قحافه يذكر: أن إبن مسعود قد أسلم هو و جماعه قبل إسلام أبى بكر، و إبن مسعود قد أسلم قبل إسلام عمر كما ذكره النووى فى تهذيب الأسماء و اللغات.

5- لقد ورد: أنه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) قد بعث و أبو بكر غائب فى اليمن، قال أبو بكر، فقدمت مكه، و قد بعث النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) فجاءنى صناديد قريش. إلى أن قال: (فقالوا: يا أبا بكر، أعظم الخطب، و أجل النوائب، يتيم أبى طالب يزعم أنه نبى. و لو لا أنت- أو: و لو لا انتظارک ما انتظرنا به؛ فإذ قد جئت فأنت الغايه و الكفايه (3)).

و الذى عند أبى هلال، عن الشعبى، عن أشياخه، منهم جرير، فى خبر طويل هو: (قال أبو بكر: فلما قدمت مكه استبشروا، و ظنوا أنه فتح عليهم بقدومى فتح، و اجتمعوا إلى، و شكوا أبا طالب، و قالوا: لولا7.

1- الغدير ج 3 ص 240.
2- تاريخ الطبرى ج 2 ص 60 و البدايه و النهايه ج 3 ص 28 و التعجب للكراجكى ص 34.
3- الصواعق المحرقه ص 148 ط سنه 1324 ه. و السيره الحلبيه ج 1 ص 275، و السيره النبويه لدحلان ج 1 ص 89، و تاريخ الخميس ج 1 ص 287.

تعرّضه دونه لما انتظرنا به. قلت: و من تبعه على مخالفه دينكم؟ قالوا:

بنى أبى طالب (1)).

و لكن لنا تحفظ على هذا النص الذي يعطى لأبى بكر منزله كبيره فى قريش، و هى منزله لا يؤيد التأريخ أن أبا بكر كان قد بلغها أصلا، كما سنشير اليه فى موضعه.

6- و عن إبن اسحاق، قال: إن أبا بكر لقى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم)، فقال: أحق ما تقول قريش يا محمد، من تركك آلهتنا، و تسفهيک عقولنا، و تكفيرک آباءنا إلخ. ثم ذكر إسلام أبى بكر (2).

و ان كنا نشک فى صحه هذا النص الأخير، إذ أن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) لم يعبد تلک الآلهه قط، فما معنى سؤاله عن ذلک؟! إلا إذا قلنا إنه لم يكن يتجاهر برفضها، فصحّ أن يسأله عن ذلک.

و يؤيد ذلک مارواه المقدسي، قال: (إسلام أبى بكر- زعم بعض الرواه: أنه كان فى تجاره له بالشام، فأخبره راهب بوقت خروج النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) من مكه، و أمره باتباعه، فلما رجع سمع رسول اللّه يدعو الى اللّه، فجاء و أسلم (3)).

و يؤيد ذلک أيضا قولهم: إن أبا بكر قال للنبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم): فقدت من مجالس قومک، و اتهموک بالعيب لآبائها و أمهاتها.

فدعاه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) إلى الإسلام فأسلم (4).9.

1- الأوائل للعسكرى ج 1 ص 194.
2- دلائل النبوه للبيهقى ج 1 ص 416/ 417. و السيره النبويه لابن كثير ج 1 ص 432/ 433. و سيره ابن إسحاق ص 139.
3- البدء و التاريخ ج 5 ص 77.
4- البدايه و النهايه ج 3 ص 29/ 30 و السيره النبويه لابن كثير ج 1 ص 439.

فكل ذلک يدل على أن إسلام أبى بكر كان بعد الفتره السريه و بتعبير أدق بعد (فتره الدعوه الإختياريه، و غير المفروضه) التى استمرت ثلاث أو خمس سنوات.

و بعد أن أنذر عشيرته الأقربين، و بعد أن أمر بالصدع بالأمر، و دعوه الناس عامه.

و بعد تكفيره للآباء و الأمهات.

و بعد عرض قريش على أبى طالب أن يقنع ولده بالعدول عن هذا الأمر.

و بعد عرضهم عليه ولدا آخر على أن يخلى بينه و بينهم.

و بعد وقوع المواجهه بين قريش و بينه، ثم قيام أبى طالب دونه، و لو لا انتظارهم لأبى بكر ما انتظروا به. و كل ذلک يدل على أن إسلامه قد تأخر إلى السنه الرابعه أو الخامسه إن لم يكن بعد ذلک أيضا؛ فقد قال أبو القاسم الكوفى: إن أبا بكر قد أسلم بعد سبع سنين من البعثه (1).

و لربما يكون ذلک صحيحا أو قريبا من الصحيح، إذا أخذنا بالروايات المتقدمه الداله على أنه قد أسلم بعد اشتداد المواجهه بين الرسول و بين المشركين، و قيام أبى طالب دونه، و بعد أكثر من خمسين رجلا، فلربما يكون المراد بالخمسين هو خصوص من أسلم بعد الإعلان بالدعوه. أو بعد الهجره الى الحبشه.

و هكذا يتضح أن القول بأن أبا بكر هو أول من أسلم لا يمكن إلا أن يكون من القول الجزاف، و الدعوى الفارغه، و من المختلقات التى افتعلت فى وقت متأخر.1.

1- الاستغاثه ج 2 ص 31.

طریق جمع فاشل:

و قال البعض: الأورع أن یقال: أول من أسلم من الرجال الأحرار أبو بکر، و من الصبیان علی، و من النساء خدیجه، و من الموالی زید بن حارثه، و من العبید بلال (1).

و هو کلام فارغ، بعد أن ثبتت أولیه علی (علیه السلام) علی کل احد.

و قولهم: إنه أول من أسلم من الصبیان عجیب، و ذلک لما یلی:

1- إنه قد جاء عنه (علیه السلام)، و عن غیره القول: بأنه أول رجل أسلم (2)، مما یعنی أنه کان حینئذ رجلا بالغا. و قد قلنا: إنه قد أسلم و عمره عشر سنوات أو إثنتا عشره سنه و من الواضح: أن الرجولیه و البلوغ لا ینحصر بالسن، فإن عمرو بن العاص- کما یقولون- کان یکبر ولده عبد اللّه بإثنتی عشره سنه فقط (3). و الراشد باللّه قد وطأ جاریه و هو إبن تسع سنین، فحملت منه کما یدّعون (4).

کما أن ثمه أقوالا کثیره فی سن علی (علیه السلام) حین إسلامه، و قد راینا الحافظ عبد الرزاق، و ابن ابی شیبه، و الکلینی، و الحسن البصری، و الاسکافی و غیرهم کثیر، یذکرون فی سن علی رقما یتراوح ما بین 12 سنه الی 16 سنه، و بعضهم یتجاوز ذلک ایضا، کما تقدم بیانه فی9.

1- السیره الحلبیه ج 1 ص 275، و السیره النبویه لدحلان ج 1 ص 90 و نزهه المجالس ج 2 ص 147 و البدایه و النهایه ج 3 ص 17 و 26 و 29.
2- و فی سیره إبن إسحاق ص 138: أول الرجال إسلاما. و فی مصادر أخری: أول أصحابی إسلاما: راجع السیره الحلبیه ج 1 ص 268.
3- المعارف لابن قتیبه ص 125 ط دار إحیاء التراث العربی سنه 1390 ه.
4- السیره الحلبیه ج 1 ص 269.

مبحث ولادته علیه السلام.

2- قد ذکر غیر واحد: ان البلوغ قد حدد بعد الهجره، ای فی غزوه الخندق، فی قضیه ردّ ابن عمر و قبوله فی الغزو. اما قبل ذلک فقد کان المعتمد هو التمییز و الإدراک (1)، و علیه یدور مدار التکلیف، و الدعوه الی الاسلام و الایمان و عدمه.

و لو لا ان امیر المؤمنین علیه السلام کان فی مستوی الاسلام و الایمان، لم یقدم النبی الاعظم (صلی اللّه علیه و آله و سلم) علی دعوته الی الاسلام، ثم قبوله منه. و الا لکان ذلک سفها، و لا یمکن صدور السفه من الرسول الاکرم (صلی اللّه علیه و آله و سلم).

3- بل اننا نستطیع ان نستفید من دعوته الی الاسلام و هو صبی امتیازا له خاصا، یؤهله لأن یکون هو الوصی له (صلی اللّه علیه و آله و سلم)، او لیس قد تکلم عیسی فی المهد صبیا. و یحیی ایضا قد أوتی الحکم صبیا کما نص علیه القرآن؟

4- و أیضا، لو کان الأمر کما ذکروه؛ فلا یبقی معنی لقول النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) عنه: إنه أول من أسلم، أو: أولکم إسلاما؛ فإن معنی ذلک هو أن أولیته بالنسبه إلی النساء و الرجال و العبید و الأحرار علی حد سواء.

5- و أخیرا، فإن هذا الورع المصطنع لم یوجد إلا عند هؤلاء المتأخرین، و لم نجد أحدا واجه احتجاج أمیر المؤمنین و الصحابه و التابعین بحجه من هذا القبیل، و لعله لم یکن لدیهم ورع یبلغ ورع هؤلاء الغیاری علی أبی بکر و علی فضائله!!.ی.

1- راجع إسعاف الراغبین بهامش نور الأبصار ص 149 و السیره الحلبیه ج 1 ص 269. و الکنز المدفون ص 256/ 257 عن البیهقی.

هدف الورعين من الجمع بين الروايات.

و نستطيع أن نرجح: أن هدف أولئک الورعين من هذا الجمع بين الروايات هو إظهار: أن إسلام غير على (ع) كان أفضل من إسلامه، لأن إسلام ذلک الغير كان عن تدبر و تعقل، و نظر و تبصر. أما أمير المؤمنين (عليه السلام)، فقد كان إسلامه عن طيش و تقليد، كما هو شأن الصبيان كما ذكره الجاحظ (1).

و لا نريد أن نفيض فى الرد على هذه المزعمه، فإن إسلام على (عليه السلام) كان عن تدبّر و تعقّل، و عن تفكير و تأمل و قد أسلم استنادا الى فكره و رأيه، و لم يستشر حتى أباه رضوان اللّه تعالى عليه (2).

و قد أجاب الإسكافى و إبن طاووس عن كلام الجاحظ بما فيه الكفايه، فليراجع (3).

تنبيه:

و بالمناسبه فإن من الملاحظ: أن عمر بن الخطاب كان يعتبر البلوغ بالشبر؛ فمن بلغ سته أشبار أجرى عليه الأحكام، و من نقص عنها و لو أنمله تركه. و كذلک كان رأى إبن الزبير أيضا (4).

و على ذلک جرى العباسيون من بعد، فقد أمر ابراهيم الإمامط.

1- راجع: العثمانيه ص 6 و 7.
2- الفصول المختاره ص 227.
3- راجع شرح النهج للمعتزلى ج 13 حينما يورد كلام الإسكافى و راجع أيضا: بناء المقاله الفاطميه، الصفحات الأولى من الكتاب، و البحار ج 38 ص 286.
4- المصنف ج 10 ص 178 و عن خصوص عمر راجع: الغدير ج 6 ص 171 عن كنز العمال ج 3 ص 116 عن ابن أبى شيبه و عبد الرزاق، و مسدد، و ابن المنذر فى الأوسط.

العباسی أبا مسلم الخرسانی: أن یقتل فی خراسان کل من یتهمه، إذا کان قد بلغ خمسه أشبار (1).

و نحن لا نرید التعلیق علی هذا، و نکل ذلک إلی القاری ء نفسه؛ لیحکم حسبما یقتضیه ضمیره و وجدانه.

مقارنه، و هدف:

و جدیر بالملاحظه هنا: أن البعض یذکر: أن النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) قال لعلی: (أدعوک إلی ترک (أو الکفر ب) اللات و العزی (2)).

و نحن نجزم بعدم صحه هذا القول عنه (صلی اللّه علیه و آله و سلم)؛ إذ لم یسبق لعلی (علیه السلام) إیمان بها، لیدعوه (صلی اللّه علیه و آله و سلم) إلی ترکها (3). کیف و قد تربی فی حجر الرسول الأعظم (صلی اللّه علیه و آله و سلم)، و تلقی التوحید، و کل المکارم و الفضائل عنه (صلی اللّه علیه و آله و سلم).

و لنقارن بین هذا و بین ما یذکره البعض عن أبی بکر من أنه لم یسجد لصنم قط (4)، رغم أنه کان حین أسلم قد بلغ الأربعین أو تجاوزها؟!

فأبو بکر إذن قد ضارع النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) فی عدم2.

1- راجع حیاه الإمام الرضا للمؤلف ص 122 عن: الطبری ط لیدن ج 9 ص 1974 و ج 10 ص 25، و الکامل لابن الأثیر ج 4 ص 295، و البدایه و النهایه ج 10 ص 28 و 64 و الإمامه و السیاسه ج 2 ص 114، و النزاع و التخاصم للمقریزی ص 45، و العقد الفرید ط دار الکتاب ج 4 ص 479، و شرح النهج للمعتزلی ج 3 ص 267 و ضحی الإسلام ج 1 ص 32.
2- السیره الحلبیه ج 1 ص 268، و السیره النبویه لدحلان ج 1 ص 91.
3- الامتاع للمقریزی ص 16.
4- السیره النبویه لدحلان ط دار المعرفه ج 1 ص 39 و 92.

السجود للأصنام.

و لكننا لا ندرى لماذا ترک دين قومه؟، و كيف لم يشتهر هذا الأمر عنه، فى زمن الصحابه و التابعين؟ و بقى هكذا مخفيا الى زمان متأخر جدا، حتى اكتشفه هؤلاء؟

و كيف غفل عنه الصحابه و منافسوه منهم، و غفل عنه هو نفسه و أنصاره يوم السقيفه، فلم يحتج و لا احتجوا به على استحقاقه للخلافه، رغم أنهم احتجوا بكبر سنه، و ما شاكل ذلک، مما لا يجدى و لا يسمن و لا يغنى من جوع؟!.

من أسلم بدعايه أبى بكر:

و يذكرون أن عددا من كبار الصحابه قد أسلموا على يد أبى بكر، و استجابه لدعوته، منهم: (طلحه، و الزبير، و سعد بن أبى و قاص، و عبد الرحمن بن عوف، و أبو عبيده الجراح، و خالد بن سعيد بن العاص، و أبوذر، و عثمان بن عفان، و أبو سلمه بن عبد الأسد، و الأرقم بن أبى الأرقم (1)).

قال الجاحظ: (و قالت أسماء بنت أبى بكر: ما عرفت أبى إلا و هو يدين بالدين. و لقد رجع الينا يوم أسلم فدعانا إلى الإسلام، فما دمنا حتى أسلمنا، و أسلم أكثر جلسائه (2)).

و لكن ذلک كله محل شک و ريب و ذلک للأمور التاليه:1.

1- راجع: البدايه و النهايه ج 3 ص 29، و السيره النبويه لدحلان ج 1 ص 94- و السيره الحلبيه ج 1 ص 276 و تهذيب الأسماء و اللغات ج 2 ص 182، و تاريخ الإسلام للذهبى ج 2 ص 78.
2- شرح النهج للمعتزلى ج 13 ص 270 و عثمانيه الجاحظ ص 31.

1- إنه قد تقدم ما يدل على أن إسلام أبى بكر قد كان بعد الخروج من دار الأرقم، و بعد اشتداد الأمر بين النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) و قريش، و قيام أبى طالب دونه ينافح عنه و يكافح. و هؤلاء قد أسلم أكثرهم قبل ذلک، و ذلک لأنه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) قبل نزول قوله تعالى:

وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَکَ الْأَقْرَبِينَ لم يكن مأمورا بدعوه أحد. بل كان من يسلم إنما يسلم باختياره. ثم أمر (صلى اللّه عليه و آله و سلم) بدعوه عشيرته، ثم أمر بإنذار أم القرى و من حولها، حتى انتهى الأمر بإنذار كافه الناس.

و لكنه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) لما أسلم معه من أسلم و خشى حصول بعض الصدامات لهم مع قريش اختار دار الأرقم ليصلى أصحابه فيها، و بعد شهر اعلن بالأمر، فلم تكن هناک سرّيه فى دار الأرقم بالمعنى الدقيق للكلمه.

و أما الذين أسلموا قبل المواجهه مع قريش، فنذكر منهم:

زيد بن حارثه الذى أسلم ثانيا، و فى نفس الوقت أسلم خالد بن سعيد بن العاص، و سعد بن أبى و قاص، و عمرو بن عبسه، و عتبه بن غزوان، و مصعب بن عمير (1) أما الأرقم ابن أبى الأرقم فكان سابعا (2)، و قصه إسلام أبى ذر معروفه، و كان إسلامه على يد النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) نفسه، و على هو الواسطه، و سيأتى ذلک بعد صفحات يسيره.

و من الأولين أيضا: جعفر بن أبى طالب، و بلال، و خباب بن الأرتّ، و الزبير بن العوام، و كل هؤلاء اسلم قبل أبى بكر- على حد تعبير الاسكافى فى نقض العثمانيه (3)، و يرى المقدسى: أن الزبير أسلم رابعا،1.

1- تاريخ اليعقوبى ج 2 ص 232 و سيره ابن هشام ج 1 ص 264 و غير ذلک.
2- الإصابه، ترجمه الأرقم ج 1 ص 28.
3- شرح النهج ج 13 ص 224، و العثمانيه فى أواخرها حيث ينقل كلام الإسكافى ص 286 و الغدير ج 3 ص 241.

أو خامسا.

2- و عدا عما تقدم، فان ابا اليقظان خالد بن سعيد بن العاص، كان هو نفسه يزعم: أنه أسلم قبل أبى بكر (1)

و عليه فلا يصغى لما حكاه البيهقى من أنه رأى فى منامه النار، ثم لقى أبا بكر فأخذه الى النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم)، فاسلم (2) فان أبا اليقظان نفسه يكذب ذلک و ينكره. و هو أعرف بنفسه من كل أحد.

و أما عثمان فقد اشترط لإسلامه أن يزوجه الرسول (صلى اللّه عليه و آله و سلم) رقيه، ففعل، فأسلم (3) فأين هى دعوه أبى بكر له، و الحاله هذه؟!.

و يروى المدائنى عن عمر بن عثمان: أن عثمان قال: إنه دخل على خالته أروى بنت عبد المطلب يعودها، فدخل رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم)، فجعل ينظر إليه، و قد ظهر من شأنه يومئذ شى ء؛ فجرى له معه (صلى اللّه عليه و آله و سلم)، حديث، و قرأ عليه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) بعض الآيات، ثم قام (صلى اللّه عليه و آله و سلم) فخرج. قال عثمان: فخرجت خلفه فأدركته، و أسلمت (4). فإذا أخذنا بهذه الروايه ايضا لم يكن لأبى بكر فى اسلام عثمان يد و لا نصيب.

و أما سعد بن أبى وقاص ف (كان سبب اسلامه: أنه رأى فى المنام قال: كأنى فى ظلام، فأضاء قمر، فاتبعته، فإذا أنا بزيد و على قد سبقانى5.

1- البدء و التاريخ ج 5 ص 96.
2- مستدرک الحاكم ج 3 ص 248، و البدايه و النهايه ج 3 ص 32 و طبقات ابن سعد ج 4 ص 67/ 68 و الاستيعاب ج 1 ص 401/ 442 و الإصابه ج 1 ص 406 و مع ذلک فإن الروايه لا تدل على أنه أسلم بدعوه أبى بكر بل هى فى ضد ذلک أظهر.
3- مناقب آل أبى طالب ج 1 ص 22.
4- الاستيعاب ج 4 ص 225.

إليه، و روى: فاذا أنا بزيد و أبى بكر، قال: ثم بلغنى: أن رسول اللّه يدعو الى الاسلام مستخفيا، فلقيته بأجياد، فأسلمت، و رجعت الى أمى إلخ (1)).

و عن اسلام طلحه يقولون: انه كان فى بصرى، فسمع خبر خروج نبى اسمه أحمد فى ذلک الشهر من راهب، فلما قدم مكه سمع الناس يقولون: تنبّى محمد بن عبد اللّه، فأتى إلى أبى بكر، فسأله فأخبره، ثم أدخله على رسول اللّه فاسلم، فأخذهما نوفل بن خويلد و قرنهما بحبل، فسميا القرينين (2).

و لكن هذه الروايه كما ترى، لا تدل على أنه اسلم بدعوه ابى بكر إياه، بل هى فى خلاف ذلک أظهر كما هو واضح، كما أنهم يذكرون روايه أخرى مفادها: أن طلحه ذهب بنفسه إلى رسول اللّه فأسلم (3). و أما أن أبا بكر و طلحه قد سميا القرينين فسيأتى أنه لا يصح أيضا، و ذلک ضعف آخر فى هذه الروايه.

بل لقد كذّب على (عليه السلام) أن يكون أحد من قريش قد عذّب كما سنرى فكيف يكون طلحه و ابو بكر قد عذّبا، و قرن احدهما الى الآخر؟!

3- يقول الاسكافى هنا ما ملخصه: إن أبا بكر قد عجز عن إدخال أبيه، مع أنه معه فى بيت واحد، و ابنه الوحيد عبد الرحمن فى الاسلام، و بقيا على شركهما إلى عام الفتح، و كذا الحال فى أخته أم فروه، و زوجته نمله- أو قتيله- بنت عبد العزى، التى فارقها حين نزل قوله تعالى: و لا2.

1- البدء و التاريخ ج 5 ص 84/ 85.
2- مستدرک الحاكم ج 3 ص 369، و البدء و التاريخ ج 5 ص 82 و البدايه و النهايه ج 3 ص 29 و دلائل النبوه للبيهقى ج 1 ص 419.
3- البدء و التاريخ ج 5 ص 82.

تمسکوا بعصم الکوافر، بعد الهجره بعده سنین.

و یمضی الاسکافی هنا فیقول: کیف استطاع أبو بکر أن یهیمن علی سعد، و الزبیر، و طلحه، و عبد الرحمن و غیرهم و هم لیسوا من أترابه، و لا من جلسائه، و لا کان له معهم صداقه أو موده، و لم یستطع أن یقنع عتبه و شیبه ابنی ربیعه، و هما من جلسائه، بل و اکبر منه سنا، و یأنسان إلی حدیثه و طرائفه- کما یزعم أنصاره-؟! و ماله لم یدخل جبیر بن مطعم فی الاسلام، و هو الذی أدبه و علمه، و عرفه أنساب العرب، و قریش و طرائفها و أخبارها کما یدعون؟!.

و کیف لم یقبل منه عمر بن الخطاب الدخول فی الاسلام فی تلک الفتره، و کان صدیقه و أقرب الناس شبها به، و بحالاته. و لئن رجعتم إلی الانصاف لتعلمن بأن اسلام هؤلاء لم یکن إلا بدعاء النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) و علی یدیه (1).

4- و أما ما تقدم نقله عن اسماء، فهو یقتضی أن تکون اسماء و أهل بیت أبی بکر أسبق الناس إلی الاسلام، و قد عد ابن هشام ممن اسلم فی الفتره الأولی من الدعوه بحیث یعد من السابقین الأول اسماء و عائشه ابنتی أبی بکر (2)، و عند النووی و غیره: أن عائشه قد اسلمت بعد ثمانیه عشر إنسانا و أختها أسماء أسلمت بعد سبعه عشر (3). ط.

1- شرح النهج للمعتزلی ج 13 ص 271 عن الإسکافی. و لا یردّ علی الإسکافی بامرأه نوح و ولده؛ حیث لم یکونا مؤمنین، فإن الإسکافی یرید أن یقول: إن المستفاد من القرائن العامه هو أن أبا بکر لم یکن یملک المؤهلات و الکفاءات التی تعطیه القدره علی أن یقنع أحدا بالدخول فی الإسلام.
2- سیره ابن هشام ج 1 ص 271.
3- تهذیب الأسماء و اللغات ج 2 ص 329 و 351 عن ابن أبی خیثمه فی تاریخه عن ابن إسحاق، و الإصابه ج 4 ص 229 بالنسبه لأسماء فقط.

و لكن قد فات هؤلاء: أن كل ما تقدم يكذب هذا الذى ذكروه هنا.

أضف الى ذلک: أن عمر اسماء كان حين البعثه أربع سنين على أبعد التقادير. أما عمر عائشه فنحن نقول: إنها أيضا كان عمرها قريبا من هذا (1). و لكن نفس اولئک يقولون: إنها قد ولدت بعد البعثه بخمس سنين (2)، فكيف تكونان قد اسلمتا بعد ثمانيه عشر انسانا؟ مع أن الفتره السريه أو فقل الدعوه الاختياريه، و عدم الاعلان، قد انتهت باسلام اربعين؟! و أما جلساؤه و أهل بيته فقد تكلمنا عنهم، و لم يبق الا ولده محمد، و هو إنما ولد بعد مبعث النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) بثلاث و عشرين سنه، أى قبل وفاته (صلى اللّه عليه و آله و سلم) بقليل.

سر التأكيد على دور أبى بكر:

و أما سر التأكيد على دور أبى بكر فقد أوضحه لنا الجاحظ، حين قال: (و لذلک قالوا: إن من اسلم بدعاء أبى بكر اكثر ممن اسلموا بالسيف. و لم يذهبوا فى ذلک إلى العدد، بل عنوا الكثره فى القدر، لأنه اسلم على يديه خمسه من أهل الشورى، كلهم يصلح للخلافه، و هم اكفاء على (عليه السلام) و منازعوه فى الرياسه و الامامه، فهؤلاء اكثر من جميع الناس (3)).

نعم يا جاحظ: لقد تجاوز أبو بكر كل التوقعات، حتى لقد بز النبى نفسه، و لم يستطع و هو الرسول الاعظم أن يجاريه فى تلک الفضائل1.

1- وعد المقدسى عائشه مع الذين أسلموا فى السنوات الأولى من البعثه فى الفتره السريه قبل أن يدخل صلى الله عليه و آله وسلم دار الأرقم و قال: انها كانت صغيره فراجع البدء و التاريخ ج 4 ص 146.
2- سيأتى بعض الكلام فى ذلک، فى فصل: حتى بيعه العقبه.
3- العثمانيه للجاحظ ص 31/ 32 و شرح النهج ج 13 ص 270/ 271.

المجعوله- كما قدمنا- و لا ندرى لماذا غلط جبرئيل و نزل عليه دونه !.

و حسبنا هنا ما ذكرناه حول هذا الموضوع؛ فان استقصاء الكلام فيه يحتاج إلى جهد مضن و وقت طويل.

هل عمير بن أبى و قاص من السابقين؟!

و يذكر ابن هشام هنا: أن عمير بن أبى و قاص كان من جمله السابقين إلى الاسلام (1).

و لكن ذلک لا يصح؛ لأنهم يقولون: إن عميرا قد قتل فى بدر، و له سته عشر عاما. فيكون عمره حين البعثه سنه واحده (2)؛ فكيف يكون من السابقين إذن؟!.

اسلام أبى قحافه:

و فى روايه: أنه لما نبّى ء رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم)، و هو ابن أربعين سنه، صدّقه أبو بكر و هو ابن ثمانيه و ثلاثين سنه، فلما بلغ أبو بكر أربعين سنه، قال: (رب أوزعنى أن أشكر نعمتک التى انعمت على و على والدى (3)). و استجاب اللّه له فاسلم والداه و أولاده كلهم.

و لكن هذه الروايه لا تصح، و ذلک.2.

1- سيره ابن هشام ج 1 ص 272.
2- تهذيب الأسماء و اللغات ج 2 ص 39 و الإصابه ج 3 ص 36.
3- فتح القدير ج 5 ص 118 و الغدير ج 7 ص 327 عنه و عن الكشاف ج 3 ص 99، و تفسير القرطبى ج 2 ص 193/ 194 و الرياض النضره ج 1 ص 47، و مرقاه الأصول ص 121، و تفسير الخازن ج 4 ص 132، و تفسير النسفى بهامشه ج 4 ص 132.

أولا: لما تقدم من أن أبا بكر إنما اسلم بعد عده سنوات من البعثه.

و كان عمره حينئذ حوالى خمس و أربعين سنه.

و ثانيا: إن أبا قحافه إنما اسلم سنه ثمان عام الفتح (1) و أم أبى بكر أسلمت- كما قالوا- سنه ست من البعثه (2)، و أولاد أبى بكر حالهم معلوم، حتى إن احدهم قد طلب مبارزه أبيه- أبى بكر- يوم أحد أو بدر، كما سيأتى، فكيف يقول: انه قد أنعم اللّه عليه و على والديه بعد النبوّه بسنتين، و يطلب من اللّه أن يوفقه لشكر هذه النعمه؟!.

و ثالثا: إن الآيه المذكوره هى التى فى سوره الاحقاف رقم 15، لأنها هى التى ذكرت الأربعين سنه، دون الآيه التى فى سوره النمل رقم 19.

و على هذا نقول: الأحقاف قد نزلت فى المدينه، لا فى مكه.

و اسلام ابى بكر كان فى مكه قبل عده سنوات.

الدعوه فى مراحلها، التى اجتازتها:

و يرى البعض: أن الدعوه قد مرت بمراحل أربع:

الأولى: المرحله السريه، و استمرت ثلاث أو خمس سنوات.

الثانيه: الإعلان بالدعوه إلى اللّه بالقول فقط، دون اللجوء إلى العنف، و استمرت حتى الهجره.

الثالثه: مرحله الدفاع عن الدعوه بالسيف. و استمرت إلى صلح الحديبيه.4.

1- أسد الغابه ج 5 ص 275 و الاستيعاب (مطبوع بهامش الإصابه) ج 4 ص 162 و قاموس الرجال ج 10 ص 166 عن المعارف لابن قتيبه.
2- راجع الغدير ج 7 ص 324.

الرابعه: قتال كل من وقف فی سبیل الإسلام، من الوثنیین و المشرکین، و غیرهم، و هو ما استقر علیه أمر الدعوه و حکم الجهاد (1).

المرحله السریه:

و لکننا لا نوافق علی إستعمال مصطلح (الفتره السریه) هنا إذ أن الظاهر هو أن النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) لم یکن حینما بعث مأمورا بدعوه عموم الناس کما قدمنا، و لکنه کان یعرض هذا الدین بصوره طوعیه و عفویه، و بدون أن یوجه الأنظار الی ذلک. فکان هناک أفراد یسلمون تباعا.

و قد کان هذا الأسلوب فی تلک الفتره ضروریا من أجل الحفاظ علی مستقبل الدعوه، حتی لا تتعرض لعمل مسلح یقضی علیها فی مهدها، حیث لا بد من إیجاد ثله من المؤمنین، و من مختلف القبائل یحملون هذه العقیده و یدافعون عنها، حتی لا یبقی مجال لتصفیتهم السریعه و الحاسمه من قبل أعدائهم الأشرار.

کما أنه (صلی اللّه علیه و آله و سلم) أراد أن لا تهدر الطاقات، و تذهب الجهود سدی، و ینتهی الأمر الی تمزق، و توزع فی الثله المؤمنه، ثم الی ضیاع مدمّر.

و أیضا، فقد کانت هذه الفتره بمثابه إعداد نفسی، و تربیه عقیدیه و روحیه لتلک الصفوه المؤمنه بربها، و برساله نبیه الأکرم (صلی اللّه علیه و آله و سلم)، تمکنهم من الصمود فی وجه التحدیات التی تنتظرهم.

و إذا کان (صلی اللّه علیه و آله و سلم) یرید: أن یقود عملیه تغییر شامله، فلا بد له من إتاحه الفرصه لتهیئه و إعداد القوی، التی تستطیع أن تحقق هدفا کبیرا کهذا، و تتمکن من الحفاظ و الإحتفاظ بالوجود الفعال1.

1- فقه السیره للبوطی ص 91.

و المؤثر فی بقاء ذلک الهدف.

دخول النبی «صلی اللّه علیه و آله و سلم» دار الأرقم:

قال المؤرخون: و لما صار عدد المسلمین ثلاثین رجلا- کما قیل- و صار بعض المسلمین یخرجون الی الشعاب و الجبال خارج مکه لأداء الفرائض، و إقامه الشعائر، و صار بعض المشرکین یترصدونهم، و یتعمدون إیذائهم، و حصلت صدامات فردیه لهم معهم، و منها أنه کما یقولون:

خرج جماعه من المسلمین الی شعاب مکه للصلاه، فظهر علیهم نفر من قریش کانوا یرصدونهم، و یتبعون آثارهم، و هم یصلون؛ فناکروهم، و عابوا علیهم ما یصنعون، حتی قاتلوهم، فضرب سعد ابن أبی و قاص- و العهده علی الراوی- یومئذ رجلا من المشرکین بلحی بعیر، فشجه، فکان أول دم اهریق فی الإسلام (1).

و لکن قد قال الزبیر (أی إبن بکار): و طلیب أول من دمیّ مشرکا فی الإسلام؛ بسبب النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) فإنه سمع عوف بن صبره السهمی یشتم النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم)، فأخذ له لحی جمل، فضربه فشجه الخ (2).

و مره أخری تعقب مشرکان مسلمین، خرجا للصلاه فی أحد الشعاب، فباطشاهما (3).

فهذه الحوادث الجزئیه- علی ما یظهر- قد دفعت بالنبی (صلی اللّه7.

1- تاریخ الطبری ج 2 ص 62 و سیره ابن هشام ج 1 ص 282، و البدایه و النهایه ج 3 ص 37، و السیره الحلبیه ج 1 ص 283، و السیره النبویه لدحلان ج 1 ص 99.
2- الإصابه ج 2 ص 233.
3- أنساب الأشراف للبلاذری ج 1 ص 117.

علیه و آله و سلم) الی اختیار دار الأرقم (1)، الواقعه علی الصفا لیجعلها مرکزا لدعوته، و محلا لاجتماع أصحابه به، ثم الإبتعاد عن أنظار المشرکین فی عبادتهم و شعائرهم، بدلا من الخروج الی الشعاب من أجل الصلاه.

فکانت هذه الدار هی مرکز حرکته و نشاطاته و بقی فیها شهرا (2) و لم یخرج منها حتی تکامل المسلمون أربعین رجلا کما قیل (3). و قیل: أکثر.

و قیل: أقل. و حینئذ خرج (صلی اللّه علیه و آله و سلم) لیعلن دعوته، و لیبدأ مرحله جدیده هی أصعب مرحله، و أخطرها، و أکثر عنفا، و أشد بلاء.

هذا، و لکن بعض المحققین (4)، یحتمل أن یکون (صلی اللّه علیه و آله و سلم) قد دخل دار الأرقم مره أو مرات، و لکن ید السیاسه قد طوّرت هذا الأمر؛ لتکون دار الأرقم فی مقابل شعب أبی طالب، بل یدعون: أنها دعیت دار الإسلام (5).

لکننا فی المقابل لا نری أن دار الأرقم کانت لها هذه الأهمیه، و لا هذا الدور، و لذلک تجد ابن اسحاق و هو من نعرف- لا یشیر إلی دار الأرقم لا من قریب و لا من بعید- کما أن البلاذری یذکرها بصوره عابره، دون أیه أهمیه.8.

1- أسلم سابع سبعه، أو بعد عشره کما فی الإصابه ج 1 ص 28 و الاستیعاب هامش الإصابه ج 1 ص 107.
2- و قیل: أربع سنین. راجع السیره الحلبیه ج 1 ص 283 و السیره النبویه لدحلان ج 1 ص 99.
3- الإصابه ج 1 ص 28 و السیره الحلبیه ج 1 ص 285 و السیره النبویه لدحلان ج 1 ص 99 و الاستیعاب هامش الإصابه ج 1 ص 108.
4- هو العلامه السید مهدی الروحانی حفظه اللّه.
5- التراتیب الإداریه ج 1 ص 408.

و الذى يهتم بدار الأرقم و يبرزها على انها مفصل تاريخى هو الواقدى بالدرجه الأولى. فلعل المسلمين ترددوا على هذه الدار مرات، فعظمت السياسه ذلک و طورته، حتى دعيت هذه الدار دار الإسلام، للتعتيم على شعب أبى طالب حسبما تقدم، و ذلک عن منطق السياسه الذى عرفناه و ألفناه غير بعيد.

قريش لا تهتم لمرحله ما قبل الإعلان:

كان المشركون قد عرفوا بتنبؤ النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) من أول الأمر، و لكنهم لم يهتموا كثيرا بالأمر- بادى ء ذى بدء- ربما لأنهم اعتبروا أن القضيه ليست بذات أهميه كبيره؛ إلّا من وجهه قبليه بالدرجه الاولى، و لكنهم ظلوا يتنسمون الاخبار، و يستطلعونها و كانوا يقولون: ان فتى عبد المطلب ليكلّم من السماء.

اسلام ابى ذر رحمه اللّه:

و فى هذه الفتره كان اسلام ابى ذر (رحمه اللّه) الذي كان رابع، او خامس من اسلم (1)، حيث انه سمع بمبعث النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) فارسل اخاه ليستقصى له الخبر، فرجع اليه، و لم يشف له غليلا.

فذهب هو بنفسه الى مكه؛ فكره ان يسأل عن النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) علانيه و رآه على (عليه السلام) مضطجعا فى ناحيه المسجد3.

1- دلائل النبوه للبيهقى ج 1 ص 458، طبقات ابن سعد ج 4 قسم 1 ص 164، و حليه الأولياء ج 1 ص 157. و مستدرک الحاكم ج 3 ص 342، و الاستيعاب هامش الإصابه ج 1 ص 313، و الإصابه ج 4 ص 63، و أسد الغابه ج 5 ص 186، و الغدير ج 8 ص 308- 309 عن بعض من تقدم و عن شرح الجامع الصغير للمناوى ج 5 ص 423.

الحرام، فعرف انه غريب، فاستضافه ثلاثه ايام لا يسأله عن شی ء، ثم سأله ابوذر عن النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم)، فاخذه الیه بصوره سریه؛ حیث امره ان یتبعه، فان رأی ما یخاف منه عطف کأنه یرید أن یقضی حاجه، او یصلح نعله.

و بعد ان أسلم أبوذر خرج الی المسجد الحرام؛ فنادی باعلی صوته: أشهد ان لا إله إلا اللّه، و ان محمدا رسول اللّه، فقام الیه المشرکون فضربوه حتی اضجعوه، فاتی العباس؛ فاکبّ علیه، و قال:

و یحکم، الستم تعلمون: أنه من غفار، و ان طریق تجارتکم الی الشام؛ فترکوه، و لکنه عاد فی الیوم الثانی الی مثل ذلک، فخلصه العباس (1).

و ثمه نصوص اخری لا مجال لذکرها هنا.

و لما ضرب أبوذر جاء الی النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) فقال:

یا رسول اللّه، اما قریش فلا ادعهم حتی أثأر منهم، ضربونی.

فخرج حتی اقام بعسفان، و کلما اقبلت عیر لقریش، یحملون الطعام، ینفّر بهم علی ثنیه غزال؛ فتلقی احمالها؛ فجمعوا الحنط، و یقول ابوذر لقومه: لا یمسّ احد حبه حتی تقولوا: لا إله إلا اللّه. فیقولون: لا إله إلا اللّه، و یأخذون الغرائر (2).

و حسب نص آخر: کان ابوذر رجلا شجاعا یتفرد وحده بقطع الطریق، و یغیر علی الصرم فی عمایه الصبح علی ظهر فرسه، أو علی4.

1- هذا ملخص ما فی البخاری ج 2 ص 206- 207 ط سنه 1309. و البدایه و النهایه ج 3 ص 34، و حلیه الأولیاء ج 1 ص 159، و مستدرک الحاکم ج 3 ص 339، و الغدیر ج 8 ص 309- 310 عن بعض من تقدم و صحیح مسلم ج 7 ص 156 و الاستیعاب هامش الإصابه ج 4 ص 63 دلائل النبوه لأبی نعیم ج 2 ص 86، و طبقات ابن سعد ج 4 قسم 1 ص 161- 162 و 164- 165 و الإصابه ج 4 ص 63.
2- طبقات ابن سعد ج 4 قسم 1 ص 164.

قدميه كانه السبع ... إلى أن قال: (فكان يعترض لعيرات قريش، فيقطعها، فيقول: لا أرد اليكم منها شيئا، حتى تشهدوا: أن لا إله إلا اللّه، و أن محمدا رسول اللّه: فكان على ذلک حتى هاجر رسول اللّه، و مضى بدر، و أحد، ثم قدم فأقام بالمدينه (1)).

و اسلم على يده نصف قبيلته غفار، و وعده الباقون بأن يسلموا إذا قدم النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) المدينه.

و كان أبوذر يتأله فى الجاهليه، و يقول: لا إله إلا اللّه، و لا يعبد الاصنام، و يقال: إنه صلى قبل مبعث النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) عده سنوات (2).

ما يستفاد من حديث اسلام أبى ذر:

أولا: إن عدم عباده أبى ذر للاصنام، ليس إلا من أجل منافرتها لحكم العقل، و للفطره السليمه، حين لا تطغى على الانسان أى من العوامل الخارجيه التى تجعل على قلبه و بصره غشاوه.

و يلاحظ: أن القرآن ما زاد فى مقاومته لعباده الاصنام، و التوجيه إلى اللّه تعالى على أن نبه العقل، و أثاره، و ارشد إلى ما تقتضيه الفطره السليمه فى هذا المجال. و كل من يستعرض الآيات القرآنيه يرى كيف أن القرآن يهتم فى الارجاع إلى الفطره، و حكم العقل، و يعتبر أن، لهما وحدهما الحق فى الحكم فى هذا المجال.

و ثانيا: إن اسلوب على (عليه السلام) فى المحافظه على عنصر7.

1- و (2) طبقات ابن سعد ج 4 قسم 1 ص 163، و راجع تاريخ الإسلام للذهبى ج 2 ص 100.
2- طبقات ابن سعد ج 4 ق 1 ص 163. و لا بأس بمراجعه ما كتبناه حول أبى ذر فى مقال لنا فى كتاب: دراسات و بحوث فى التاريخ و الإسلام. و حليه الأولياء ج 1 ص 157.

السريه، حتى لا يلتفت المشركون إلى طبيعه تحركاته و أهدافه، و اسلوبه فى ايصاله أباذر إلى الرسول الاعظم (صلى اللّه عليه و آله و سلم)- و هو لم يبلغ الحلم بعد- إن دل على شى ء؛ فانما يدل على درايه و رويه، و تبصر و تدبر بالأمور، مما يؤكد امتيازه عليه السلام على غيره، ممن عاش و مارس الامور.

كما أن اتكال ابى ذر رجل الحكمه و التبصر على دعوه على (صلى اللّه عليه و آله و سلم) له، و استجابته لدعوته و نزوله ضيفا عليه، يدل على أنه كان يرى فى على من الحكمه و الرويه ما لا يراه فى غيره. مهما كان فارق السن بينه و بين ذلک الغير كبيرا.

و لقد كان (عليه السلام) يهدف الى الحفاظ على أبى ذر من جهه، و على ان لا يلفت نظر المشركين الى أنه يقوم بنشاط من أجل إدخال الناس فى هذا الدين الجديد من جهه اخرى. و هذا الثانى هو الاهم بالنسبه اليه.

فانه لا يمكن أن يتخلى عن الدعوه فى سبيل الشخص، و لكن الشخص هو الذى يضحى بنفسه و بكل ما لديه فى سبيل الحفاظ على الدعوه و بقائها. و لكن هذه التضحيه لابد أن تكون فى وقت الحاجه إليها، و حين يكون لابد منها و لا غنى عنها. و إلا فلربما يكون ضررها اكثر من نفعها، أو على الأقل يكون هدرا لطاقات، و اتلافا لقدرات ربما تكون الدعوه فى يوم مّا بامسّ الحاجه إليها.

ثالثا: ما فعلته قريش بأبى ذر لم يكن بسبب أن المواجهه كانت قد وقعت بينها و بين النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم)؛ فان هذه المواجهه لم تكن حصلت حينئذ، و إنما رأت فى تصرف أبى ذر هذا تحديا لها، و اعتداء على شرفها، و كبريائها، و لا يقصد منه إلا تحقيرها و إذلالها، من دون مبرر ظاهر تراه و تتعقله لتصرف كهذا سواه. و لعلها أرادت من بطشها بهذا الرجل الغريب و الوحيد ردع الآخرين، و ارهابهم، و منعهم من الإقبال على الدخول فى الإسلام، أو من التظاهر به.

رابعا: انتقام أبى ذر من قريش على ذلک النحو قد أثر فيها نفسيا، و روحيا إلى حد بعيد، و عرفها: أنها لا يمكن أن تتعامل مع الآخرين، كما يحلو لها، و على حسب ما تشتهى، لأن الآخرين يملكون من الوسائل الفعاله للضغط عليها مالا تجد معه حيله، و لا تستطيع سبيلا.

خامسا: إن نجاح أبى ذر فى دعوته قومه من قبيلتى غفار و أسلم، حتى إنه يستغل تشوقهم للحصول على غرائر الحنطه لطرح الخيار النهائى عليهم- إن نجاحه هذا- ليدل على أنه كان بعيد الهمه و النظر عاقلا لبيبا أريبا، يدرک أهداف الرساله السماويه الحقه التى اعتنقها خير إدراک، و يدرک واجباته تجاهها، ثم هو ينفذ مهمته، و يقوم بواجباته على النحو الاكمل و الامثل.

سادسا: إن محاولات أبى ذر الجاده للتعرف على صدق النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) فى دعواه، و ارساله أخاه أولا، ثم ذهابه هو بنفسه، و بقاؤه ثلاثه أيام يبحث عن النبى الاكرم (صلى اللّه عليه و آله و سلم)، إنما كانت بدافع ذاتى ينبع من داخله، يدفعه إلى البحث عن الحق، و العمل من أجله، و فى سبيله.

و هذا يؤيد القول بأن العقل هو الذى يحكم و يدفع إلى تعلم ما ينفع، و ما يضر، للالتزام بذاک، و الابتعاد عن هذا. بل هو امر فطرى مغروس فى فطره الانسان و طبيعته و سجيته، حتى انک تجد الطفل الذى يحس بألم النار ليس فقط لا يحاول بعد ذلک الاقتراب منها، و انما هو يجهد بكل ما أوتى من قوه و حول فى الابتعاد عنها.

سابعا: ان موقف على (عليه السلام) من أبى ذر ليعكس لنا: أن هذا الشاب الذى ربما لم يكن قد بلغ الحلم آنذاک؛ لأنه إنما أسلم و عمره عشر أو اثنا عشره سنه- إن هذا الشاب- الناشى ء كان يعتز بنفسه، و يثق بها، فيدعو أباذر ليكون ضيفه ثلاثه أيام، ثم هو يساعده على الوصول إلى

النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) بشکل ذکی و حذر. ثم هو یترکه ثلاثه أیام لا یسأله عن أمره حتی لا یشعر هذا الضیف بأن مضیفه ربما یکون قد ضاق به ذرعا، أو ملّ وجوده؛ و لیکون قد أتاح له الفرصه لیستأنس فی هذا البلد الذی یراه غریبا علیه، و یألفه، و یرتاح إلیه نفسیا، کما ارتاح جسدیا؛ و لیکون أنفذ بصیره، و اکثر اطمینانا فی بیان حاجته التی جاء من أجلها.

و ثامنا: ان جهر أبی ذر باسلامه، و تعریضه نفسه للضرب و الاهانه من قبل المشرکین، إنما یعکس لنا مدی اعتزاز أبی ذر باسلامه هذا، و مدی استعداده للتضحیه فی سبیله. ثم هو یعکس مدی حنق قریش و رعونتها فی مواجهه الدعوه إلی اللّه تعالی، حتی إنها تنسی: أن من تبطش به ربما یکون فی المستقبل سببا فی عرقله تجاراتها إلی الشام، و مضایقتها اقتصادیا. نعم، تنسی ذلک، و تهجم علیه لتضربه، ثم ترتد عنه لا بدافع انسانی، و لا عن قناعه فکریه، و إنما لدوافع اقتصادیه دنیویه، تعکس أنانیتها، و مستوی تفکیرها أولا و أخیرا. و لا شی ء أخطر علی الانسان من الانانیه التی ربما تضع علی عینیه غشاوه؛ فلا یبصر الحق الابلج، و لا یهتدی سواء السبیل.

و تاسعا: لعل أباذر قد اراد کسر شوکه اعداء الاسلام، و فتح ثغره فی هذا الجبروت. ثم کسر حاجز الخوف لدی المسلمین، لیتشجعوا علی مواجهه الأخطار، و ضرب المثل الحی لهم فی مجال التضحیه من اجل الدین و الحق، کما أن ذلک لسوف یؤثر علی من یمیلون الی هذا الدین و یتعاطفون مع المسلمین، و یثیر إعجابهم بصوره کبیره.

و أخیرا، فلسوف نری: أن ثمه محاولات لنسبه موقف أبی ذر الشجاع و الجری ء، و الفذ هذا تجاه قریش إلی غیره من الصحابه، کابی بکر تاره، و عمر أخری.

و لکن کل ذلک لا یمکن أن یصح، کما سنذکره حین الحدیث عن إسلام عمر، و هجره ابی بکر.

ص: 352

ص: 353

الفهارس

اشاره

ص: 355

الدليل الاجمالى للكتاب:

القسم الأول: ما قبل البعثه 11

الفصل الأول: ما قبل ميلاد النبى صلى الله عليه و آله وسلم 13- 60

الفصل الثانى: عهد الفطوله 61- 102

الفصل الثالث: خديجه فى بيت النبى صلى الله عليه و آله وسلم 103- 134

الفصل الرابع: حتى البعثه 135- 181

الفصل الخامس: بحوث تسبق السيره 183- 236

القسم الثانى: من البعثه إلى الهجره 239

الباب الأول: من البعثه إلى الاعلان بالدعوه 239

الفصل الأول: البعثه و المعجزه 241- 284

الفصل الثانى: روايات بدء الوحى 285- 314

الفصل الثالث: الدعوه فى مراحلها الأولى 315- 351

الفهارس 353- 366

ص: 356

ص: 357

الدليل التفصيلى للكتاب:

إيضاحات ضروريه 5

القسم الأول: ما قبل البعثه 11

الفصل الأول: ما قبل ميلاد النبى صلى الله عليه و آله وسلم 13- 60

البدايه الطبيعيه 15

الوضع الجغرافى لشبه جزيره العرب 15

الحضر فى شبه جزيره العرب 17

الحاله الاجتماعيه عند العرب 17

المرأه فى الجاهليه 19

شواهد عن حاله العرب فى الجاهليه 20

علوم العرب 21

ميزات و خصائص 24

من امتيازات العرب 25

الاسلام و تلک الصفات 28

متى كان بناء مكه 31

أ- بناء الكعبه 31

ب- دعاء ابراهيم 33

ج- تقديس الكعبه 33

ص: 358

الأصنام و الكعبه 36

ولايه الكعبه 38

مكانه قريش 40

أنا ابن الذبيحين 42

من هو الذبيح 43

خلاصه و بيان 46

أهل الكتاب هم الداء الدوى 47

ملاحظات هامه 48

النسخ فى قصه ابراهيم 54

البداء عند الشيعه 55

التوضيح و التطبيق 57

إشكال و جوابه 58

اليهود و البداء 60

الفصل الثانى: عهد الطفوله 61- 102

نسب النبى صلى الله عليه و آله وسلم 63

مولد النبى صلى الله عليه و آله وسلم 64

تعقيب هام و ضرورى 65

قصه كاذبه 66

مصير الدار التى ولد فيها النبى صلى الله عليه و آله وسلم 68
رضاعه صلى الله عليه و آله وسلم 68
لماذا الرضاع فى الباديه 69
أخوا النبى صلى الله عليه و آله وسلم من الرضاعه 71
إرضاع ثويبه للرسول صلى الله عليه و آله وسلم لا يصح 71
مع أبى عمر فى ترجيحه للقول الثانى 74
توجيه غير وجيه 75

ص: 359

مناقشه غیر موفقه 76

عدد أولاد عبد المطلب 78

أبو لهب و عتق ثویبه 78

شرک أبی لهب 81

تنازع الظئر فی رضاعه صلی الله علیه و آله وسلم 82

حدیث شق الصدر 83

توجیه غیر وجیه 84

رأینا فی الروایه 85

المسیحیون و حدیث شق الصدر 88

أصل الروایه جاهلی 89

فقد النبی صلی الله علیه و آله وسلم لأبویه 90

کفیل النبی صلی الله علیه و آله وسلم 91

الرحله الأولی إلی الشام و بحیرا 93

روایه مکذوبه 93

سر الوضع و الاختلاق 95

إشارات خاطفه فی قصه بحیرا 96

رعیه صلی الله علیه و آله وسلم الغنم 97

ملاحظه

الفصل الثالث: خديجه فی بیت النبی صلی الله علیه و آله وسلم 103-134

السفر الثانی إلی الشام 105

زواجه صلی الله علیه و آله وسلم بخدیجه 107

خطبه أبی طالب 110

نظره فی کلمات أبی طالب 110

و دین شائع 111

مهر خدیجه 112

ص: 360

عمر خديجه حين الزواج 114

يتيم قريش: أكذوبه مفضوحه 117

هل تزوج صلى الله عليه و آله وسلم خديجه طمعا فى مالها 119

خديجه مثل أعلى 120

خديجه بين نساء قريش 121

هل تزوجت خديجه بأحد قبل النبى صلى الله عليه و آله وسلم 121

زوجتا عثمان هل هما بنات النبى صلى الله عليه و آله وسلم 126

هل زينب بنت الرسول أم ربيبته؟! 129

منافسون لعلى 131

خؤوله هند بن أبى هاله للحسن (ع) 132

الفصل الرابع: حتى البعثه 135- 181

حضور النبى صلى الله عليه و آله وسلم حرب الفجار 137

سر التلاعب فى الروايات هنا 139

حلف الفضول 140

سبب هذا الحلف 141

بنو أميه و حلف الفضول 142

ملاحظه 145

ملاحظات هامه على حلف الفضول 146

تاريخ ولاده أمير المؤمنين (ع) 156
أول هاشمى ولد من هاشميين 158
ولاده أمير المؤمنين (ع) فى الكعبه 159
لماذا حكيم بن حزام 161
تجديد بناء الكعبه أعزها اللّه تعالى 162
وضع الحجر الأسود 164
ملاحظات هامه 165

ص: 361

خرافه انحلال الازار 167

طریق جمع فاشل 169

ثوبی حجر 172

حیاء عثمان 174

أهل الکتاب و تعری الأنبیاء 176

ولاده فاطمه بنت الرسول صلی الله علیه و آله وسلم 177

القول الحق 178

الفصل الخامس: بحوث تسبق السیره 183

البحث الأول: إیمان آباء النبی صلی الله علیه و آله وسلم إلی آدم (ع) 185

بعض الأدله علی إیمانهم 187

استغفار ابراهیم لابیه 189

إن أبی و أباک فی النار 191

غریبه 194

ملاحظه 194

البحث الثانی: بماذا کان یدین النبی صلی الله علیه و آله وسلم قبل البعثه 195

مله أبیکم ابراهیم 198

و وجدک ضالا فهدی 200

أولوا العزم 200

من الأساطير 201

استلام الأصنام 204

البحث الثالث: شروط النهضه 205

البحث الرابع: العوامل المساعده على انتصار الاسلام و انتشاره 210

1- منطلق الدعوه مكه 210

2- خصائص شخصيه الرسول صلى الله عليه و آله وسلم 211

3- الحاله الاجتماعيه 216

4- نوع معجزته صلى الله عليه و آله وسلم 217

5- بشائر اليهود و النصارى به صلى الله عليه و آله وسلم 219

مناطق سكنى أهل الكتاب 222

أهل الكتاب و هيمنتهم العلميه على العرب 222

6- الفراغ العقائدى و السياسى 225

7- الحياه الصعبه و التضحيه بالنفس 229

8- بقايا الحنيفيه فى العرب 230

9- الخصائص و العادات العربيه 231

10- دور أبى طالب و على و أموال خديجه 233

تنبيه هام و ضرورى 235

القسم الثانى: من البعثه إلى الهجره 237

الباب الأول: من البعثه إلى الإعلان بالدعوه 239

الفصل الأول: البعثه و المعجزه 241- 284

عمر النبى صلى الله عليه و آله وسلم حين البعثه 243

تاريخ البعثه و كيفيه نزول القرآن 244

بدء الوحى و أول ما أنزل 251

اعجاز القرآن 253

لماذا الأخير فقط 255

بلاغه القرآن 257
البلاغه 257
الاعجاز بالبلاغه کیف و لماذا 258
التوضیح و التطبیق 259
ترجمه القرآن و تفسیره 266
للقرآن ظهر و بطن 266
التقوی تعین علی فهم القرآن 269

ص: 363

المحکم و المتشابه 270

لا بد من وجود المتشابه فی القرآن 271

التأویل 272

الحروف المقطعه فی القرآن 275

آخر ما نقوله حول الحروف المقطعه 284

الفصل الثانی: روایات بدء الوحی 285- 314

ما روی فی بدء الوحی 287

مناقشه روایات بدء الوحی 292

إشاره 297

وثمه أسئله أخری 304

و من الطعن فی النبوه أیضا 305

ما هو الصحیح فی قضیه بدء الوحی 307

لماذا الکذب و الافتعال إذن 309

الفصل الثالث: الدعوه فی مراحلها الأولی 315- 351

أول من أسلم 317

بعض ما جاء فی سبق علی (ع) إلی الإسلام 318

تصریحات أمیر المؤمنین (ع) فی ذلک 320

دلیل آخر 321

خاتمه المطاف 323

القول بأن خديجه أول من أسلم 323

أبو بكر و سبقه إلى الإسلام 324

طريق جمع فاشل 331

هدف الورعين من الجمع بين الروايات 333

تنبيه 333

مقارنه و هدف 334

ص: 364

من أسلم بدعايه أبى بكر 335

سر التأكيد على دور أبى بكر 340

هل عمير بن أبى و قاص من السابقين 341

إسلام أبى قحافه 341

الدعوه فى مراحلها التى اجتازتها 342

المرحله السريه 343

دخول النبى صلى الله عليه و آله وسلم دار الأرقم 344

قريش لا تهتم لمرحله ما قبل الاعلان 346

إسلام أبى ذر 346

ما يستفاد من حديث إسلام أبى ذر 348

الفهارس 352- 366

1- الدليل الاجمالى للكتاب 355

2- الدليل التفصيلى للكتاب 357

و الحمد للّه و الصلاه و السلام على محمد و آله و سلم

بسم الله الرحمن الرحيم
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ
الزمر: 9

المقدمة:
تأسّس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامي عام 1426 الهجري في المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين في الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:
نظراً لقلة المراكز القائمة بتوفير المصادر في العلوم الإسلامية وتبعثرها في أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين في العلوم الإسلامية وتقدم المؤسسة مجاناً مجموعة الكترونية من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهي منظمة في برامج إلكترونية وجاهزة في مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها.
وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدة على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوي تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:
نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبيّ عليهم السلام
تحفيز الناس خصوصا الشباب على دراسة أدقّ في المسائل الدينية
تنزيل البرامج المفيدة في الهواتف والحاسوبات واللابتوب
الخدمة للباحثين والمحققين في الحوازت العلمية والجامعات
توسيع عام لفكرة المطالعة
تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها في ملفات الكترونية

السياسات:
مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية
إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة
الاجتنباب عن الروتينية وتكرار المحاولات السابقة

العرض العلمي البحت للمصادر والمعلومات
الالتزام بذكر المصادر والمآخذ في نشر المعلومات
من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:
طبع الكتب والملزمات والدوريات
إقامة المسابقات في مطالعة الكتب
إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما في الأمكنة الدينية والسياحية
إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية
افتتاح موقع القائمية الانترنتي بعنوان : www.ghaemiyeh.com
إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...
الإطلاق والدعم العلمي لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها
تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسک kiosk، الرسالة القصيرة ((sms
إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس
إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين
إنتاج آلاف برامج في البحث والدراسة وتطبيقها في أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على 8 أنظمة؛
JAVA.1
ANDROID.2
EPUB.3
CHM.4
PDF.5
HTML.6
CHM.7
GHB.8
إعداد 4 الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمية ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية
ANDROID.1
IOS.2
WINDOWS PHONE.3
WINDOWS.4

وتقدّم مجاناً في الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة
نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتّاب وكل من قدّم لنا المساعدة في تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.
عنوان المكتب المركزي
أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده اى، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلى، الرقم 129، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir
البريد الالكتروني : Info@ghbook.ir
هاتف المكتب المركزي 03134490125
هاتف المكتب في طهران 88318722 ـ 021
قسم البيع 09132000109شؤون المستخدمين 09132000109.